حوليات جزائرية

بقلم

أ. بيليسيي

المجلد الأول



Assala culture

حوليات جزائرية

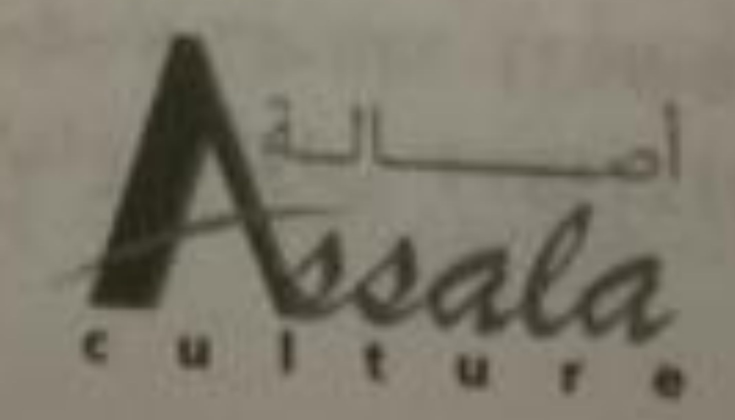
بقلم:

أ. بيليسيي

قائد الأركان ورئيس مكتب العرب بالجزائر في 1833 و1834

انشاء مستعمرة يتطلب الحكمة أكثر
من النفقات (المصاريف)
راينال

المجلد الأول



العنوان الأصلي: Annales algériennes
Tome premier
الترجمة: دليلة حياني
انفوغرافيا: محمد مغازي

ردمك: 978-9931-340-47-8
الإيداع القانوني: 2012-3877

تمهيد

عندما كنت أقدر لأول مرة حجم المهمة التي أردت من خلالها أن أفرض نفسي بنشر حوليات الجزائر، كان يبدو لي أن الإعفاءات التي كانت تفرض علي موقف التبعية والدونية ستزيد من الصعوبات التي تواجهها المهمة. ولهذا اخترت بعض الموضوعات التي يكون فيها اللوم عاما ومرتبطا بكثيرمن العدالة مع أعمال الإدارة الجزائرية، وأجبرت نفسي على التعامل معها بما أمكن من اعتدال، دون تشويه طبيعة الأحداث. تركت هذه المؤلفات جانبا لبعض الوقت، وأعدت قراءتها بعد ذلك بعيدا عن دور الكاتب

(المؤلفة). لم أكن راضيا عن الانطباع الذي تركته في نفسيتي، لأنها كانت في الحقيقة شيئا خاليا من الحياة واللون، والذي لم يكن حقيقة أسلوب إطراء لكنه لم يكن أيضا لغة الحقيقة.

رميت الصفحات التي كتبتها في النار، وعدت للكتابة حول أحداث جديدة، وهذه المرة اقترحت على نفسي عدم إهمال أي شيء في تقييم الحقائق، ولكن مع تركها على شكلها الخام الأولي، حتى تركز كتاباتي على ظروف الأخطاء التي أحسست أنها تنسب لبعض الأشخاص. كما وقع اختياري أيضا على مواضيع صالحة للمدح، وقد تعاملت معها بشكل يجعلها كاملة يرغب في قراءتها، مع أمل تحطيم مشاعر اللوم والاستياء بما تحويه من مدح. ومن خلال اختيار ما كتبت لم أكن سعيدا بهذه الطريقة التي يكون الانطلاق فيها من الأمر فقط، مما يجعل السيرة مربكا ومزعجا ومملا، خصوصا وأنها بدت خالية للتقليل من الكرامة. وفي حين أحسست باليأس لأنني لم أستطع أن أوفق بين مصالحي ومصالح الحقيقة، في ظروف لا يجري فيها شيء على الكتابة، قررت أن أتخلى عن مشروعي لبعض الوقت.

لكنني شعرت بالحاجة إلى نشر مذكراتي، لوجودنا في الوقت

مرتبط، حسب تفكيري، بمزيج من نظام سام من أجل مستقبل الشعوب والرجعة الوراثية الاجتماعية. الآن أرى أنها خطوة نحو اندماج وانصهار كبير بين الشرق والغرب لإعلان وتحضير كل شيء بطريقة المنطق، كما كان في زمن المسيح ومحمد عليهما السلام، كدفعة جديدة للتطور وتحول جديد للمجتمع البشري.

رؤية الأشياء من هذه النقطة المرتفعة بالنسبة لي حاجة [illegible] تقريبا، فالاهتمام بهذه [illegible] في المجتمع المعاصر، موضوعات في اتصال مستمر، [illegible] وبالنسبة لي [illegible] الأحكام المسبقة التي توضع حاجزا بين [illegible]، كما يعتبر ذلك بالنسبة لي حاجة إلى الإعلان عن الأخطاء التي اقترفتها والأخطاء التي يجب تفاديها، كما أنه محاولة لإبراز حسن وقدسية المهمة لهؤلاء الذين يشغلون منصب الريادة، إلى جانب كون ذلك في الأخير مجرد وسيلة من أجل تحقيق المصالح الخاصة لهؤلاء الرجال في هذه المناصب العالية.

لذلك استأنفت كتابة مذكراتي، لأنني كنت أعتقد أنها مفيدة [illegible] في كلمة واحدة قول الحقيقة كما أشعر بها، وكما [illegible] إلى الجميع [illegible] حدودا أخرى مثل التي تفرض على الكاتب الذي

يحترم نفسه، وعلى قواعد اللغة التي يكتب بها وعادات الناس الذين يكتب لهم. صراحتي ليست نتيجة للحقد ولكنها نتيجة قناعتي، وسيسامحني عليها رجال نزهاء كما أتمنى أن يسامحني عليها كل من يمكن أن نجرحهم للحظة. أريد بهذه المناسبة أن أذكر خصلة تشرف الجنرال مونك دوزي. هذا الضابط العام كتب تقريرا مشرفا جدا لأحد أتباعه. بعض الأشخاص الذين كانت لهم مصلحة في القضاء على تأثير هذا التقرير، حاولوا أن يثبتوا للجنرال بأن الضابط الذي تعاطف معه انتقد بمرارة أعمال ادارته، وأنه لم يحترم شخصه. وكان رد السيد أوزي في هذا السياق: ربما يكون هذا الضابط مخطئا وقد يكون محقا. اذا كان محقا، ليس لدي شيء أفعله إلا الإستفادة من نقده، أما إذا كان مخطئا، لا يجب أن أكون غير منصف نحوه لأنه كان كذلك نحوي.

كان هذا الرد سخيا جدا، لأن الجنرال دوزي كانت لديه دوافع من أجل الاكتفاء بقول مثل شخصية أخرى متواجدة في نفس الحالة، ماذا تريدون؟ يمكن لكلينا أن يخطئ وعلاوة على ذلك، فان المساوئ الشخصية التي يمكن أن تأخذ حيز من الحقيقة ليست بالنوع القوي الخطير، ولا يمكنها إلا تأخير تقدمي في حياتي المهنية

التي أرى فيها مستقبلا مشرقا. وبالإضافة فان الرتبة لا توفر الكثير من الراحة النفسية العابرة، وأتمنى أن أتمتع بفضل رغباتي المعتدلة بزيادة طفيفة في راحتي الجسدية. ان هذا التصريح عن اللامبالاة من أجل المصالح التي نعتبرها كبيرة عموما، لا يجعل غيري يعتقد بأن هدفي هو وضع اللوم على كل تصرفات وإجراءات الإدارة الفرنسية بالجزائر العاصمة، وهذا سيجعله يبدو نظاما بغيضا لتشويه السمعة وهذا الحكم بعيد كل البعد عن ما يجول في أفكاري. سأقول كل ما هو جيد وكل ما هو سيء ولن يكن خطئي إذا مالت الكفة في معظم الأحيان الى هذا الأخير.

وعلاوة على ذلك، فالرجال الذين حكموا الجزائر منذ خمس سنوات، ليسوا وحدهم المذنبين في هذه الإدارة المرتبطة لحد الأن بشؤون مجلس الوصاية على العرش، وقد شاركت الحكومة الفرنسية، وبعض الخواص القادمين من أوروبا لاستغلال هذه الوضعية، بشكل كبير في هذه الإدارة.

أهملت الحكومة الفرنسية ، التي كان محكوم عليها بفترة من التغيير والتحول كبقية الحكومات الأخرى، ما تطالب به الكتل والمجموعات من عناية، وذلك للإهتمام حصريا بكيفية الحفاظ على

تواجدها وجها لوجه مع القوى الأوروبية، وضد مختلف الأطراف التي كانت مضطربة بالداخل، وهذا ما جعلها غير مبالية تماما لأمر شؤون مجلس الوصاية بالجزائر العاصمة. لقد كانت هذه الحكومة منزعجة ومحرجة أيضا، ولم تر أنها ستكون قوية اذا وافقت على العهد الوطني، وقد تعلقت بمسألة إفريقيا بشكل جدي، ولذلك،لم يستطع فهم مستقبل هذا البلد.

بدلا من رؤية الأفارقة كشعب يمكن حكمه، لم تكن ترى الا أعداءا يجب محاربتهم، وأغبياء يمكن إفسادهم وخونة يمكن شراءهم، ولم تكن تعرف حتى كيفية المحاربة أو الإفساد أو الشراء. لقد كانت مشغولة دائما بوضع الأرقام واحتساب ما يمكن أن تأتي به مثل هذه العملية (حكم افريقيا) وما يكلفه البلد بالفرنك والسنتيم، وكانت تتساءل كل سنة ان كانت ستبقى عليه أو ستخليه. ولا أعني بالحكومة الوزراء فحسب وانما الغرف البرلمانية أيضا. ونتيجة لهذا الغموض تم اهمال شؤون مجلس الوصاية بالصدفة أو بالمؤامرة: تم إهمالها في الأشخاص والأشياء وحتى في أبسط الأحكام الإدارية. كان بإمكان الخواص القادمين من أوروبا أن يكونوا عناصر استشارية جيدة وقوية لو تم تسييرهم بشكل جيد،

لكن السبل لم تكن مجهزة لأي صناعة صالحة لمستقبل البلد، والكثير منها تبنت عادات تعيد التقدم. وقد أخذ الكثير منها احتياطات غير عادلة ضد السكان الأصليين. نظام الإبادة كان موجودا فيهم وفي أتباع كثر، مما كان يثير السلطة بشكل مستمر للقيام بأعمال عنف. لقد حملوا افكارا حصرية الى إفريقيا حول حقوق ملكية الأراضي، والتي لم تتجسد كما في أوروبا وكانت ادعاءاتهم دائما بالضغط بكل قوة وهو ما خلق بعض الشكاوي من طرف القبائل المجاورة. وبما أنني قررت أن لا أترك أي خطأ إداري في الخفاء، فيجب أن نفكر بأنني لن أخفي في صفحات هذا العمل أي خطأ من أخطاء الأفراد، لكن لن أتولى هذه المهمة الصعبة، اذا لم أحافظ على أمل أنه سيساهم في وقف هذه التجاوزات و الإساءات، بإبراز المساوئ التي أعقبت ذلك.

سأعمل على إضعاف التحيزات العرقية بإظهار السكان الأصليين كما هم في الحقيقة، أي كما هو الأمر بالنسبة إلينا، لسنا جيدين تماما ولسنا سيئين تماما. سأبرز عدم إنصاف هذه الجمل الطنانة التي اعتمدت لوصف عرق كامل من البشر، من خلال مجموعة من النعوت المهينة. سنرى إن كنا نستطيع أن نقدم للعرب المعرفة التي

تدين بها للحضارة، سوف يتواصلون معنا عن طريق تبادل المشاعر القوية والقوة التي بدأت تغيب عنا، الاندماج بيننا وبينهم ليس مستحيلا، يمكننا الوصول الى ذلك عن طريق التنازل المتبادل عن الأحكام المسبقة، يجب علينا الأخذ بزمام المبادرة، بما أننا الأكثر تطورا في الفهم. وفي الأخير،سوف أشير من بعيد الى النقطة المهمة (الهدف) التي يجب أن تسمو إليها جهودنا، هذا الشعاع من الآمال الجديدة، وهذا النجم للمسيح الجديد الذي ينتظره العالم، والذي سيخلق زواجا باطنيا بين الشرق والغرب. أرجو أن لا يعتقد القراء الإيجابيون بأنني سأضيع في التجريدات.

بالرغم من أنني أعتقد بأن المذاهب التي توفر قوة ومستقبلا للبشرية وطريقا لمجد حقيقي تحمل شيئا أكثر ايجابية وأكثر واقعية من المنطق الهزيل لقاعدة الوحدات الثلاث والمجتمع، وهوما يعارضه بعض الأشخاص في المهام الكبيرة الأكثر سخاءا. وبالرغم من كوني مقتنعا بشكل نهائي بأن المعتقدات القوية هي التي تصنع شؤون هذا العالم، وليس خطابات رجال الأرقام، الا أنني لم أكن مشغولا بكل هذه المصالح المادية التي تأتي كعناصر مهمة لدى الآخرين. لقد عالجت هذا الجزء باهتمام، بطريقة كاملة

بقدر الامكان، سواء بإدراج ذكرياتي أو استعمال الوثائق الأصلية التي سمح لي القائد العام أن أطلبها من جميع رؤساء الأقسام، وأخيرا بواسطة البحوث الضميرية التي أجريت مع المستوطنين والتجار. أما بالنسبة للأحداث السياسية والعسكرية، فقد كنت عاملا مشاركا فيها أو عل الأقل شاهدا عليها. الأحداث الأخرى رواها لي أشخاص مختلفون باستمرار، وبالكاد يمكنني أن أخادع في كيفية تقديمها. وعلاوة عل ذلك، قرأت كل التقارير والمراسلات الرسمية التي سجلت فيها (الأحداث). بالرغم من أنني قمت بحملة 1830، الا أنني لم آخذ قسطا من الراحة كي أكتب ذكرياتي الوحيدة. واضطررت للاستعانة بحشود كبيرة من الضباط الذين شاركوا فيها مثلي. أدين كثيرا للسيد دومونتكارفيل، قائد الأسطول بهيئة الأركان العامة وأسطول السيد دوموسيون، النقيب المكلف بتاريخ الحملة، كما أدين لهذا الضابط الأخير وسجل المجلس الذي حرره ضباط الهندسة بجدارة من حيث الأسلوب ومعرفة واسعة للأحداث، كما كان سجل المدفعية مفيدا جدا. والى جانب ذلك، تصفحت الكتاب الذي نشره الجنرال ديسبري. اتصالاتي المتكررة مع العرب والرحلات التي قمت بها عندهم جعلني في وضعية

يمكنني التحدث فيها بدراية عن الأحداث التي وقعت في القبائل، وتقديم صورة كاملة بهذه الطريقة. كما كنت على اتصال مع الأشخاص الذين يعرفون جيدا كل ما يتعلق بشؤون عنابة ، وهران ، وبجاية معلومات التي تحصلت عليها من هذا المصدر مع الوثائق الرسمية، وراقبتها الواحدة تلوى الأخرى، وأخذت بعين الاعتبار تأثير الوضعية الشخصية على تقييم الأحداث. وفي الأخير، لم أهمل أي شيء يمكنه أن يقودني الى الحقيقة. قسمت كل مجلد من كتابي هذا الى جزأين. الأول مخصص للسرد والإيضاحات اللازمة للفهم، ويتعلق الأمر بالأحداث والقضايا السياسية والعسكرية والإدارية المترابطة. ولا أعطي هذه الإيضاحات إلا إذا قادتني القصة التي أرويها الى ذلك. ونفس الشيء بالنسبة إلى وصف الأماكن والأخلاق، محاولة مني لتجنب هذا النوع من حالات الخروج عن الموضوع التي تكون في بعض الأحيان ضرورية، والتي يمكن أن تخفي طول الأحداث وتزيد من الفائدة.

لاحظت دائما بأن ليس هناك ما هو متعب أكثر من ضرورة القيام بكتابة المذكرات، حيث تكون بداية الكتاب مليئة بالكثير من التفاصيل التي لا نعرف الفائدة منها بعد. لقد حاولت من خلال ذلك أن أجنب القارئ الاحساس بالملل . كما أنني اقتصرت في الجزء الأول من الكتاب على التعريف بايجاز بمجلس الوصاية والحكومة التركية عندما كانت فرنسا تتجند ضده. أما بقية الكتاب فقد تضمن الوصف التفصيلي لكل محافظة، ووفرت للقارئ صورة توضيحية لوضعيتها السياسية والاجتماعية. يتضمن الجزء الثاني سلسلة من الاعتبارات والملاحظات التي لم يكن من الممكن أن تندرج في الجزء الأول

دون التوقف عن السرد. كنت أجرؤ في بعض الأحيان على إعطاء نظرياتي الخاصة حول طريقة حكم افريقيا. ومع ذلك، فان هذا الجزء ليس تأ مليا بحتا لأنه يحوي عددا كبيرا من الوثائق الإيجابية حول الأشخاص والأشياء والأمكنة. لقد ظهر ما يعادل ثلاثين كتابا حول الجزائر العاصمة، ولكن لم يتمكن أي واحد منها من تقديم مجموعة كاملة. سيشمل المجلد الأول إدارات (حكومة) الجنرالات بورمون وكلوزال وبرتزان، أما المجلد الثاني فسيركز على ادارات الجنرالات روفيغو وفوارول وايرلون.الاطار الذي رسمته سيسمح لي بتصحيح ، في مجلد، الأخطاء غير المقصودة التي ارتكبت في المجلد الآخر: فاذا تذوق أو أعجب الجمهوربهذا الكتاب فهذا يمكن من اصداره كل عام. وسأطالب، لتشكيل هذا الكتاب، بمسابقة لكل الرجال المستنيرين المهتمين بالبلد.

أخذ الكتاب للطباعة بداية نوفمبر 1835، بعثة معسكر التي لم تتواجد إلا في وقت لاحق، لم تكن مسألة في هذا المجلد إلا فيما يتعلق بما حدث في إفريقيا قبل العودة إلى جزائر المارشال كلوزال.

حوليات جزائرية

الجزء الأول

الكتاب I

نظرة عامة حول المميزات الجغرافية والتاريخية والسياسية لمجلس وصاية الجزائر العاصمة. أسباب الحرب الفرنسية على الجزائر، الحصار–تحضيرات البعثة– انطلاق جيش البعثة.

الجزء البربري (الصحي) الذي كان يعرف تحت اسم مجلس وصاية الجزائر العاصمة ، والذي كان يحتل شمال افريقيا، كان يشغل طول ساحل بحوالي مئتي ناحية (بلدية)، من ترونت في الغرب الى طبرقة في الشرق، أما عرض هذه المنطقة من الشمال الى الجنوب، فلم تحدد بشكل كلي. الجغرافيون يمددون هذه المساحة الى غاية الصحراء الكبرى، بالرغم من هذا النطاق من البلد لم يعرف سيطرة دايات الجزائر.

تتميز هذه المنطقة بجبال الأطلس التي تمتد من الغرب الى الشرق، وهي تتكون من العديد من السلاسل المتوازية مفصولة بوديان عميقة كما ترتبط في بعض الأحيان بحلقات (روابط) وسيطة. السلسلة التي تتواجد في أقصى الشمال هي ما نسميه الأطلس الصغير. هي بعيدة قليلا عن البحر، لكنها تقترب منه بما يكفي في نقاط عديدة من أجل جعل منطقة السهول (الأراضي المنخفضة) تختفي تماما. نجد في جنوب جبال الأطلس، وقبل

الوصول الى الصحراء، منطقة أخرى من السهول أكثر اتساعا من الأولى، وهي التي نعرفها في أوروبا باسم "بلاد الجريد" أو بلد التمر، أو كما تسمى بالعربية بلد النخيل. وفي الأخير، تتوسع وديان مختلف سلاسل الأطلس باستمرار وبطريقة تسمح بتشكيل سهول حقيقية يكون البعض منها كبيرا جدا. قبل أن نعود على الملاحظات الجيولوجية، تحصلنا بسهولة على الاستنتاج الخاص بالوصف الموجز لبنية الجزائر.

1- يجب أن تسقى بالكثير من جداول الماء الصغيرة، لكن لم تكن هناك أنهار كثيرة.

2- يجب أن تكون تربة الوديان والسهول المحيطة بالجبال خصبة، ولكن المياه، وبسبب اتجاه التلال، لم يكن لديها مجرى حر نحو البحر بشكل دائم، ووجب أن تشكل (المياه) البحيرات والمستنقعات.

3- الجبال التي لم تجتح قواعدها بسبب تيارات المياه القوية، يجب أن تحفظ دبالها النباتي لتكون بذلك خضراء ومشجرة.

4- أن يكون نتيجة المزج بين الطبيعة الوعرة للبلاد وخط عرضها المتوسط ذو 36 درجة شمالا، كما يجب أن تكون حرارتها متنوعة ومعتدلة عموما، لينتج عن ذلك تنوع في المتوجات.

كل هذه الإستنتاجات الجيولوجية تم تأكيدها بالملاحظة التطبيقية. الجزائر في الواقع بلاد خصبة ومناسبة للتنوع الكبير في المتوجات والتطور الضخم في مجال الزراعة: يمكن أن يكون السقي جيدا لكن لا يوجد نهر

صالح للملاحة. غياب الوسائل هذا في مجال الملاحة الداخلية سيكون دائما عائقا أمام تمتع هذا البلد بكل هذه المزايا التي منحتها له الطبيعة، وفي نفس الموقف تقريبا نجد اسبانيا التي تتفوق عليها في الجمال وخصوبة التربة. اذا ساعدتنا الملاحظات الجيولوجية على الانتقال الى الملاحظات السياسية والاستراتيجية، فسيقودنا التفتيش في هذه البنية الى النتائج التالية:

1 - اتجاه التلال (القمم) الموازية للبحر كانت نقطة انطلاق الفرنسيين، وكل سلاسل الأطلس كانت تحوي أسوارا كثيرة ذات فتحات بحيث يجب عبورها، من أجل حمل السلاح في المناطق الداخلية.

2- غياب الأنهار الكبيرة منعهم من تحقيق عمليات لغزو عام ومتزامن. لكن هذه العقبات كانت تقف أمام قوة السلاح وعنف الغزو: يمكنهم أن يتغلبوا عليها بالحكمة والسياسة. ولأننا نرى بأن تكوين بلد يتعارض مع التسلل بسهولة الى السكان الأصليين بدلا من الذهاب اليهم، فوجب علينا أن نجلبهم الينا ثم ندخل اليهم برفقتهم وبواسطتهم أيضا. هذا ما قادنا اليه تقييم دقيق لمجرد واقع جيولوجي، الملاحظة والتجريد (ازالة الغموض) الذي أجري على هندسة الناس الذين يقطنون هذه الأرض. التجربة تأتي هنا أيضا لدعم النتائج النظرية، لأنها تبين لنا، منذ أربع سنوات بأننا لا نقوم بأي شيء دائم دون مساعدة السكان الأصليين (الأهالي). ينتمي هؤلاء الناس الى أعراق مختلفة الأصل والمنشأ واللغة، والأكثر انتشارا هم العرب (العرق العربي)، الذين غزوا هذا البلد الجميل في القرن السابع من

عصرنا. وقد شغلوا السهول، وكلما كانت الأمكنة التي يقطنون فيها بعيدة عن البحر، كلما حافظت بنقاء على نوعها الأصلي. العرب الذين نجدهم بين البحر والسلسلة الأولى للأطلس لديهم مساكن ثابتة، أو اقليما معينا على الأقل. أما العرب الذين يتواجدون في السهول التي تعانق تشعبات الأطلس، فهم الاكثر عرضة للترحال (البدو الرحل)، وهي الحياة العادية لعرب الصحراء، الذين يعتزون بحريتهم وفخرهم واستقلاليتهم لعدم انحنائهم أمام عبودية الأجنبي. كان بامكانهم أن يصيروا حلفاء ولكن لن يكونوا رعايا الأتراك. أما العرب الآخرون فقد كانوا تحت حكم داي الجزائر، وعرفوا تسلط القادة الأتراك الذي فرض عليهم. ولكن لا يجب أن نعتقد بأن الاستبداد الشرقي رمى بكل حمله عليهم أو أثر عليهم كثيرا. كان الأتراك حذرين جدا أمام هؤلاء الناس. صحيح أنه من وقت لآخر، وعندما كانت الحكومة تتذمر كثيرا من قبيلة ما، كانت ترسل بعثة حربية موجهة ضدها، ثم يكون العقاب سريعا ورهيبا. ولكن في التقارير العادية واليومية تثبت أن تأثيرها لم يكن بالحجم الكبير. ومع ذلك كان على القبائل الأكثر قربا الى المدن والتي استعملت كمراكز نشاط الأتراك بشكل طبيعي، أن تتحمل بعض الشتائم والبطش والغضب.

وبعد العرب يأتي "القبايل" الذين ننظر اليهم بصفة عامة كسلالة (ذرية) النوميديين القدماء. وبالنسبة الي، لا أعتقد بأننا يجب أن ننسبهم الى هذا الأصل الوحيد فقط، بل أعتبرهم بقايا (مخلفات) ومزيجا من كل الأجناس

(الأعراق) التي قاومت الغزو القرطاجي (البوني) والروماني والوندالي واليوناني والعربي. وشكلهم الخارجي يفسح المجال أمام هذا الافتراض، لأننا لا نستطيع تحديد معالمهم (معالم وجههم و جسدهم). الصفات المميزة للأعراق التي تعيش في الجنوب نجدها قريبة من تلك الأعراق التي تعيش في الشمال. كما نجد أيضا قبيلة "قبائلية" محافظة على أصلها الأوروبي بحكم التقاليد.

تسمية البربر (الأمازيغ) التي تنسب في العديد من الكتب الى "القبايل" نقطة غير معروفة في مجلس وصاية الجزائر العاصمة. ولا تستعمل الا في الجزء البربري (الهمجي) الذي يمس مصر. كان القبايل يقطنون بالجبال ويتمتعون بقدر كبير من الحرية. كانوا يعملون بكد ومستقيمون وشجعان لا يقهرون. ما أقوله عن القبايل ينطبق بشكل خاص على هؤلاء الذين يعيشون في جبال بجاية أو سلسلة الأطلس، فهم أكثر اقترابا من بعضهم وأكثر تماسكا، ويمكن أن تعرض اللجوء السياسي لبقية الشعوب القديمة. ومن هنا شكلت أمة حقيقية لم يستطع العرب ولا الترك البدء في غزوها. وعلاوة على ذلك، لا يمثلون الى تكتلات (تجمعات) للأفراد، التي تكون في بعض الأحيان خاضعة وأحيان أخرى متمردة على العنصر (العرق) المهيمن. وتكون هيمنة البربريين (المور) بصفة عامة لسكان المدن. البربر (المور) كانوا السكان الأوائل المعروفين لدى الغرب بالبربرية. بعض المؤلفين يعتقدون أن أصلهم المفقود يعود الى العرب.

نحن نعلم بأن العرب في العصور الماضية غزوا مصر واستقروا فيها وقتا طويلا، ومن الممكن، من هذا المنطلق، أن يكون العديد من المهاجرين من هذه

الأمة قد استقروا بهذا البلد (المنطقة) التي أطلق عليها الرومان اسم موريطانيا.
لما جاء العرب من جيل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لفتح هذا البلد، بعد ثلاثة أو أربعة آلاف سنة، استقروا بشكل ضئيل في المدن حيث كانت أخلاقهم تبعدهم عن الاستقرار بها، وعلى عكس ذلك، فضل البربر (المور) أن يرتكزوا في المدن بالرغم من أنهم كانوا يفضلون الابتعاد عن العرب. ومن هنا، وبدون أي أدنى شك، بدأت عادة تسمية البربر أو (المور المشتقة من كلمة موريطانيا) على سكان المدن، وان كانت بعض الأسر العربية قد اندمجت معهم. وبالرغم من هذا الاندماج (الاختلاط) الجزئي، مازال العرب ينظرون بازدراء الى المور (البربر) القاطنين بالمدن، ويعتبرون أنهم لا يزيدون شأنا عن اليهود الا بالقليل فقط.

اليهود متواجدون بكثرة في مجلس الوصاية على العرش، ولكن في المدن فقط، وتواجدهم هنا يعني تواجدهم في كل مكان.

استقر الأتراك بالجزائر في القرن السادس عشر، والمناسبة كانت عندما بدأت الامبراطورية العظمى للخلفاء تفقد توازنها فانفلصت اسبانيا وافريقيا على التوالي. وفي هذه الأخيرة (افريقيا)،انقسمت الهيمنة العربية مرة أخرى، وتشكلت امبراطوريتين جديدتين الأولى في فاس والثانية في مصر، لتترك فيما بينها مساحات شاسعة سمحت بنشأة دول صغيرة ومستقلة. وفي هذا المبنى القديم أيضا بدأت الركيزة المتآكلة مع الوقت تتحطم، وبقي الطرفين راسخين على الجدران، لينهار وسط هذا المبنى بعيدا. شكلت الجزائر احدى أصغر دولها، حيث بدى أن بعض الأمراء الحكماء ساهموا في ازدهار الصناعة

والفلاحة بفتح حق اللجوء السياسي للمسلمين المضطهدين خلال الفتوحات المسيحية باسبانيا. ولكن بعد التحطم الكلي للقوة العربية في اسبانيا، واصل الاسبان الى افريقيا بقية فتوحاتهم القديمة. لقد استولوا على وهران وبجاية وأماكن أخرى، واستقروا على صخرة متواجدة في البحر أما الجزائر العاصمة. أمير هذه المدينة، الذي أتعبته هذه المجاورة غير المرغوب فيها، نادى المرتد الشهير عروج بربروس لنجدته. ولكن الحليف القوي جدا يكون في معظم الأحيان أسوأ عدو. وقد مات الأمير مسموما واستولى بربروس على السلطة (الحكم). وبعد وفاته، أصبح أخوه خير الدين باشا الجزائر بواسطة البوابة العثمانية. وكان هذا البلد جزء من هذه الامبراطورية العثمانية العظمى. ولكن خير الدين بالرغم من كونه مزربان (حاكم ولاية) سلطان القسطنطينية، فقد كان في الواقع مؤسس دولة أصبحت مستقلة بشكل سريع.

هذه الدولة هي الجمهورية العسكرية التي يجب أن ينتخب رئيسها ولاتي يجي أن يكون أعضاؤها أتراكا. كان السكان الأصليون رعايا أو حلفاء، حسب ما كانوا يقدمون من خدمات للأتراك، لكن لم يكن بمقدورهم ممارسة اي نشاط سياسي خارج العرق الذي ينتمون اليه. أبناء الأتراك أو الكراغل، كانوا يعتبرون بهذا الصدد سكانا أصليين، وبذلك لا يحق لهم أن يحصلوا على أي وظيفة حكومية. استمرت الجمهورية، التي كانت مجرد جسد لوحدة عسكرية (مجموعة جنود)، في التوظيف الذي كان في القسطنطينية وخصوصا ب"سميرنا". كل فرد تركي تم نقله بهذه الطريقة أصبح عضوا في الدولة، وبامكانه أن يحتل أعلى المناصب.

كانت الميليشيا (القوة العسكرية) التركية مقسمة الى كتائب أو فروع (غرف) يحكمها ضباط سامون يدعون "بولكباشي"، وهم يضعون مجموعة من الضباط المساعدين تحت أوامرهم. تم وضع قواعد الترقية بطريقة تضمن حقوق الأقدمية دون اذاء من يستحقونها. يتلقى أعضاء المليشيا رطلين من الخبز يوميا وأجرا متواضعا ومختلفا حسب الأقدمية، بحيث لا يتجاوز الحد الأقصى للأجر 30 سنتيما. كانت وسائل المعيشة ضئيلة ومحدودة، مما أدى بهؤلاء الى ممارسة بعض النشاطات في مختلف أنواع الصناعة عندما يكونون خارج الخدمة. وضع الشباب الأتراك في الثكنات العسكرية وخضعوا لانضباطات صارمة. لم يكونوا قادرين عل المغادرة الا أيام الخميس، تحت حراسة ضابط، ولكن بعد هذه الفترة التدريبية، ليس هناك شيء أقل اخضاعا للفرد من قوانين المليشيا (القوات) التركية. يمكن لفرد ينتمي الى الميليشا أن يعيش بهدوء بين أفراد عائلته، ويباشر التجارة أو اي نشاط مدني آخر دون فرض الانضباط عليه. كما تطلب منه أشياء أخرى غير الاستعداد دائما للتحرك عند تلقي الأوامر.

كانت للادارة الكثير من التنازلات للجنود المتزوجين: يتركون بقدر المستطاع مع بعض في نفس الثكنات اذا كانت لديهم الرغبة في ذلك، ويسعون الى تحسين وضعيتهم. يصنع الكثير من الأتراك ثروات معتبرة سواء في الوظائف العامة أو عن طريق الصناعة أو من خلال الزواج بنساء السكان الأصليين الأغنياء، اللواتي ورثن الكثير عن أهلهن.

تنتهي فترة الخدمة الاجبارية في سن الخمسين. الكرغليون كانوا مقبولين أيضا في الميليشيا (القوات) التركية، لكن لا يمكنهم أن يصلوا الى المناصب (المراتب) العليا، وقد عوملوا بنفس الطريقة التي يعامل بها الأتراك حتى سنة 1630. وفي هذه الفترة تم اكتشاف المؤامرة التي وضعت من أجل الاطاحة بالأتراك من البلاد، وبهذا استبعدوا أنفسهم من بعض الأعمال (المناصب) المهمة. فقد كانوا معرضين لحراسة مشددة أثقلت كاهلهم، في حين تم استثناء بعض الكرغليين الذين شغلوا وظائف كبيرة (مناصب عليا). الباي الحالي لقسنطينة كرغلي الأصل.كان لدى الداي والبايات مجموعة من الجنود الأتراك الذين يضمنون الحراسة. وكان ما نسميه الانكشاريين. كانوا يتمتعون بالعديد من المزايا والكثير من الاعتبار (الاهتمام). لم تكن القوات العسكرية الجزائرية تقتصر عل الميليشيا التركية، فقد كان في قبائل العرب مجموعة من الفرسان الموضوعين تحت الخدمة. كما أنشأ أيضا العديد من النقاط الشبيهة بالمستعمرات العسكرية، وهي متكونة من المغامرين من كل الأعراق (الأجناس)، ممن يقدمون بخدمات جيدة. سندخل في تفاصيل أوفر مثيرة للفضول في هذا الموضوع. هكذا كان التنظيم العسكري التركي، وسنعرض الآن دستوره السياسي. الادارية الحكومية العليا والسلطة الشريعية والمجلس الأعلى أو الديوان، المتكون من ستين بولكباشي وكبار (الموظفين) المسؤولين. يقوم هذا الديوان بتعيين وتنحية الدايات. إن تنحية الداي كانت دائما متبوعة بإعدامه.

يتم الاعلان عن تعيين داي جديد عن طريق سفير بالبوابة العثمانية (الباب العثماني العالي)، والتي لا تؤكد ذلك من خلال ارسال قلادة وقفطان شرفي لمنتخب الديوان. في مثل هذه المناسبات، تتقدم الدولة الجزائرية الى السلطان ببعض الهدايا والتي يتكون عادة عبارة عن أسلحة وذخيرة حرب. اللقب الرسمي للداي كان باشا ، وكلمة الداي بالكاد كانت معروفة في الجزائر العاصمة، وسنعرف أصلها أيضا.

يتمتع الداي والباشا بالسلطة التنفيذية كاملة، عن طريق وزرائه الذين كانوا:

الخزناج أو وزير المالية والداخلية،

والآغا وزير الحرب،

والكروج والكريل وزير المجالات (الميادين) الوطنية،

وأوكيل الحرج وزير القوات البحرية والشؤون الأجنبية (الخارجية)،

والمكاتاج أو رئيس الأمناء،

وبيت المال أو وكيل الميراثات،

الى جانب شيخ الاسلام أو المفتي الحنفي وزير الدين والعدالة.

سيفهم القارئ أننا نشبه هؤلاء الموظفين بهؤلاء المتواجدين بيننا على رأس التقسيمات (الفروع) الادارية الرئيسية، بغرض اعطاء فكرة تقريبية عن واجباتهم وليس للاشارة الى الحدود بطريقة ايجابية مطلقة. كما لا يجب أن نعتقد أن الخزناج، على سبيل المثال، يقوم بما يقوم به وزير المالية عندنا،

فالمحاسبة العامة للدولة لم تكن بين يديه، بل كانت من صلاحيات المكتاج (المقتاج).

تعود ادارة العدالة الجنائية الى الداي، الذي ينشط فيها شخصيا أو عن طريق وزرائه، والعقوبات تمثلت في الموت والبتر (التشويه) والأشغال العامة والضرب والغرامة.

تم ادارة العدالة المدنية في مركز اداري كبير عن طريق قاضيين، يسمى أحدهم الحنفي بالنسبة للأتراك، والآخر مالكي بالنسبة للسكان الأصليين. يشكل الحنفيين والمالكيين طائفتين مسلمتين مختلفتين في بعض الممارسات الدينية البسيطة، وبعض النقاط المتعلقة بالفقه. وعلاوة على ذلك فالطائفتين تعيشان في وئام، بعيدتين عن كل البعد عن لعنة بعضهم لبعض، كما يفعل الكاثولكيك والبروتستانت. الأتراك يسلكون المذهب الحنفي أما سكان افريقيا الأصليون يتبعون على عكس ذلك المذهب المالكي. وفوق رتبة القاضي نجد مفتيين أحدهما حنفي والآخر مالكي. يحمل المفتي الأول، كما سبق ذكره، لقب شيخ الاسلام (رئيس الاسلاميين)، وهو شخصية كبيرة وقوية، وهو يتلقى استئنافات الأحكام التي يعبدها القاضي في محاكمة يترأسها تدعى المجلس، وهي تتكون من مفتيين وقاضيين (اثنين). يمكن أن تتكفل الأحزاب (الفروع) بقضية مدنية سواء في تونس أو فاس، أين يتواجد أشهر الفقهاء في افريقيا. بيت الميراث أو وكيل الميراثات مكلف بفتح وصايا كل المنازعات التي تنتظر

التنفيذ. كما كان ممثل جميع الورثة الغائبين. يجب عليه أن يدخل الى الميدان الميراثات الشاغرة، وذلك بعد الخصومات المقدمة للفقراء وبعض النفقات الخاصة، وكذا جزء من الممتلكات التي تعود الى الدولة بما فيها التي لا تملك وارثا ذكرا مباشرا، والتي تكون في بعض الأحيان ذات قيمة معتبرة. والى جانب ذلك، يتكفل بشرطة الدفن، حيث يعمل تحت أوامره قاضي والعديد من العملاء (الوسطاء أو الوكلاء).

كان الداي يعتمد على هؤلاء المسؤولين المختلفين من أجل تسيير حكومته. وبما أن نشاطه لا يمكنه أن يمتد على نطاق واسع بشكل مباشر، وضع مجموعة من الحكام على رأس المحافظات لممارسة سيادتهم تحت لقب الباي نيابة عنه. كان هؤلاء الحكام مرغمين على القدوم كل ثلاث سنوات الى الجزائر العاصمة من أجل تقديم حسابات (تقديم حصيلة) ادارتها. تميزت هذه الفترة بمحافظاتها (البيلك) الثلاث وهي قسنطينة في الشرق ووهران في الغرب والتيتري في الجنوب. كانت المنطقة الادارية للجزائر العاصمة تحت حكم الداي ووزرائه بشكل مباشر، كما كانت حكومة الجزائرالتركية في صفائها الدستوري، لكن الأشكال كانت تتغير حسب ترخيص الميليشيا.

انتخاب الداي نتاج مظاهرات عسكرية بدلا من أن يكون نتيجة مداولات سلمية. المجلس نفسه لم يكن له وجود الا بالاسم، عند الاستيلاء على الجزائر العاصمة. حسين باشا الذي لم يناديه بهذا الاسم ولو مرة

واحدة طول فترة حكمه، لم يترك له الا وظائف ضئيلة (غير مهمة)، بما أن المبادئ الأساسية لهذه الحكومة كانت في مرحلة الانحلال عندما سقط الأتراك في يد الفرنسيين.

السهولة التي استقرت بها في شمال افريقيا لاتدعو للتساؤل، اذا أرجع ذلك الى فترة التي حملت فيها أحزان مور (بربر) اسبانيا كراهية اسم مسيحي. قدم الأتراك أنفسهم على أنهم المنتقمون للاسلام، الى جانب المجد المشرق للامبراطورية العثمانية، ولهذا استقبلوا على أنهم حماة أكثر من كونهم أسيادا (حكاما)غير مريحين. انتصارهم الأول ضد المسيح ونظام القرصنة الذي ينظمونه بكل جرأة لم يجلب لها الا السعادة، مبررين حسن الظن الذي يكنه العرب لهم، وهيمنتهم كانت على قاعدة مزدوجة من الاعتراف بالجميل والتقدير. عزة أساليبهم وانتظام سلوكهم طبع بالأذهان شعورا عميقا بالتفوق بحيث كان كل فرد يعتبرهم أنهم ولدوا (خلقوا) ليحكموا. والى جانب امتلاكها لستة أو سبعة آلاف رجل موزعين على عدة نقاط، يؤدون الخدمات في أراضي واسعة، كنا سنعاني لنجوبها بعدد مضاعف من القوات.

بما أننا سندرس في أحد الكتب الموالية سياستهم اتجاه العرب، فسنرى أنها كانت ذكية من أجل الحفاظ على هيمنتهم، ولكنها كانت بائسة بالنسبة لازدهار البلاد الذي تستمر في خنقه. وسيكونون دائما الشعب المستعمِر الذي لا يريد أن يندمج كليا مع الشعب المستعمَر. لقد شاهدنا بأن الجزائر العاصمة، التي تتميز

بروح العزلة، والتي كانت تحمل ميزة الأتراك، وقد تم دفعها بعيدا بحيث أصبح أهلها يرون أولادهم على أنهم غرباء، لأنهم ولدوا من أم من السكان الأصليين (الأهالي). وبالاضافة الى ذلك، وضعوا كل طموحاتهم من أجل العمل بعيدا عن المهام الرسمية السياسية لانها كانت في نفس الوقت الطريق الى الثروة. أريد أن أتحدث عن تلك السفن المسلحة والتي كانت تثير رعب المسيحية لفترة طويلة، وعن المهارة والثقة التي يظهرها كل فرد كل حسب قدراته التي تثير ملاك السفن. كانت القوات البحرية تمنح لكل السكان الأصليين (الأهالي)، وبدون أي استثناء،حظوظا للازدهار، وهي الفرص التي لم يحظوا بها مع الميليشيا. الرايس حميدو الذي قاد الاسطول الجزائري في 1815 كان قبائليا (بربري أو أمازيغي).

وبالرغم من أن القراصنة الجزائريين لا ضمير عموما، الا أن التعليمات التي كان يتلقاها من الحكومة كانت مبنية عادة على مبادئ حقوق الأشخاص. ولم يستطيعوا أن يستولوا بشكل شرعي الا على سفن الأمم التي شارك بها مجلس الوصاية في الحرب. صحيح أن اعلان داي الجزائر للحرب ضد القوى المسيحية لا يتطلب سوى بعض الأعذار الضعيفة، وقد بدأ في أكثر من مرة عدوانه (أعماله الحربية) دون أي حاجة لذلك غير الحصول على الغنائم. كما تمكن مجلس الوصاية من اعتماد العديد من القوى البحرية والتي كانت تدفع لها اعانات مالية سنوية للتفادي نهبها. ما يمنع الشعور بعدم الرضا في هذا الموضوع سواء كان ذلك حقيقيا أو خياليا، هو أن الجزائريين لم يعلنوا الحرب عليهم.

من حيث المبدأ، كانت الحكومة الجزائرية ترى الحرب مع المسيحيين (النصارى) حالة عادية، وكانوا يؤمنون بحق استبعادهم والقضاء عليهم حيثما وجدوا، مع وجوب وجود معاهدة ايجابية تفرض احترام أشخاص من أمة معينة. وبالتالي وبعد فترة قصيرة من الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، هاجم الجزائريون جناحهم، لغياب أي معاهدة تربطهم بهذه القوة الجديدة. كان الأمريكيون مرهقون من صراعهم الدموي الطويل ضد انجلترا، وكانوا مرغمين على شراء السلام بالنقود، وبذلك كانوا يدفعون لمجلس الوصاية جزية سنوية تقدب 24 ألف دولار، ولم تعفى من ذلك الا في سنة 1815.

مبدأ السياسة الجزائرية لم يفاجأ المسيحيين، لأن كل المسيحيين في نظر المسلمين كانوا المسؤولين عن الطريقة القاسية التي عامل بها الاسبان مور (بربر أو موريطاني) اسبانيا. لا أقول بأن الفترة الأخيرة بأن ذكريات الجروح القديمة عادت الى ذاكرتهم، ولكن من المؤكد بأنها كانت السبب الرئيسي للوضع العدائي الدائم، أين تتشكل القوة البربرية (الوحشية والهمجية) ضد كل المسيحيين. وعلاوة على ذلك، كنا نعتقد كل هذا الوقت بأننا نملك حق بيع الزنجر، وليس علينا أن نتفاجأ من اعتقاد الأتراك والمور (البربر أو المغاربة) لامتلاكهم حق بيع الأوروبيين.

تسلم داي الجزائر في العديد من المرات توبيخات قوية جدا من القوى العظمى. كما يعلم الجميع أن لويس الرابع عشر قام بتفجير عاصمتهم ثلاث مرات، وهذا ما يضاف الى التأثير الذي نمارسه منذ أمد طويل في البربرية

بمنشآتنا بالقالة، ما يجعلنا في وضعية قوية في نظر مجلس الوصاية للجزائر العاصمة. في 1815، أرسل الأمريكيون ضدها أسطولا استولى في مساره على العديد من السفن الجزائرية، والذي جاء الى الجزائر في الوقت الذي غابت فيه كل الوسائل لصد الهجوم، وبهذا انتزعت من الداي عمر باشا، الذي كان يحكم في تلك الفترة، معاهدة مفيدة. وفي الأخير، وفي عام 1816، وبعد هجوم دام تسع ساعات، شنه الأسطول الانجليزي الذي قاده اللورد اكسموث، أجبر عمر باشا على التوقيع لاطلاق سراح كل العبيد المسيحيين الذين كانوا في هذه البلدان، والتنازل في المستقبل عن الحق التعسفي الذي يسمح له بعرض الأسرى الأوروبيين للبيع. لقد قلنا بأنه كان من السهل على فرنسا وانجلترا تحطيم القوة الجزائرية عن آخرها، ولكنها اقتصرت على الحالتين اللتان ذكرتها سابقا، لضمان سيادة أجنحتها، كما أرادوا أيضا الابقاء على القرصنة الجزائرية كعائق أما الازدهار التجاري لبعض الدول الصغيرة. لاأعرف ان كان اللوم مستحقا لهذا التصرف، ولكن منذ 1830 لم تعد فرنسا تستحقه (لا تستحق اللوم).

اسبانيا التي كانت تتميز بسياستها القاتلة اتجاه المور (البربر أو المغاربة) والأندلوسيين، كانت سببا مهما في انشاء القرصنة البربرية (الهمجية والوحشية)، وكانت تقوم بمجهودات من أجل قمعها، وعلى العموم لم تكن هذه الأعمال لتجلب السعادة. الجميع كان يعرف تفاصيل الحملة الكارثية لشارل كينت. في 1775 هُزِم أورلي، الارلندي التابع لشارل الثالث، على يد الجزائريين مع

جيش يضم أكثر من 30 ألف رجل. وفي سنة 1783 و1784 وجهت بعض محاولات التفجير الى الجزائر العاصمة، لكنها لم تكن ناجحة. وفي 1785، عاد السلام الى المنطقة بين القوتين، بشروط زادت من وقاحة الجزائريين بشكل غير عادي. قامت حملة اللورد اكسموث سنة 1816 بسحب كبريائهم قليلا، ولكن عمر باشا الذي كان أميرا نشيطا وماهرا، عوض خسارتهم بسرعة في فترة لم تتجاوز السنتين بعد ذلك. فيمكنه أن يتحدى أسطولا فرنسيا وأنجليزيا موحدا (مجتمعين مع بعض)، وقد تمت دعوته باسم اتحاد كناس ايكس شابيل للتوقف عن العداء ضد البلدان المسيحية في المستقبل. هذا التبجح (الجرأة) لم يعاقب، وقد نسوا بسرعة ما حدث من اذلال عام 1816. بعض الانتصارات التي حققتها سفنهم في الحرب في اليونان زاد من كبريائهم، ودفعهم ذلك الى اهانة جناح "غراند سينيور". ولكن ما حدث ضد فرنسا أساسا هو توجيه اعتداءات عليها.

جعلتنا معاهدة 1817 نتمتع بحق امتلاك القالة واحتكار صيد المرجان، ونصت على رسوم قدرها 60 ألف فرنك، وبعد ثلاث سنوات زادت بشكل تعسفي لتصل الى 200 ألف فرنك، ومن أجل منع الخسارة الكلية لمؤسساتنا، اضطررنا الى القيام بما أرادت حكومة الجزائر العاصمة. وفي سنة 1818، تم نهب العميد الفرنسي من طرف سكان بونا (عنابة)، ولم نتحصل على أي نوع من التعويض على ذلك. في سنة 1823، تم الاعتداء على منزل وكيل القنصلية الفرنسية ببونا (عنابة) من طرف السلطات الجزائرية بحجة التهريب. وبالرغم

من أن الزيارة أثبتت زيف هذا الاتهام، الا أن رد فعل الداي لم يدع للاطمئنان اتجاه هذه الخطيئة.

تم القبض على سفن رومانية كانت تحمل جناحا فرنسيا تحت الحماية الممنوحة من طرف فرنسا ل"سانت سياج"، كما تمت مصادرة السلع الفرنسية على متن السفن الاسبانية، رغم مضمون المعاهدات الموجودة مع مجلس الوصاية، والتي تنص على أن العلم الفرنسي يغطي السلع وأن السلع الفرنسية لا يجب الاعتداء عليها.

في 1827، أهين السيد ديفال بشدة، وهو يمثل قنصلنا بالجزائر العاصمة (القنصل الفرنسي) من طرف الداي حسين باشا، الذي أتى لتتويج (دعم) الشتائم والاهانات التي تلقيناها من طرف الحكومة الجزائرية. وهنا تفاصيل عن هذه الحادثة.

قدم تاجرين اثنين من يهود الجزائر وهما السيدين بوشناق والبكري قدرا كبيرا من القمح لفرنسا، عندما كانت تشكل جمهورية، وأصبحوا دائنين للدولة بهذا المبلغ الكبير. الصعوبات الماليةالتي تتواجدت فيها فرنسا لفترة طويلة، جعلها تأجل تسديد هذا الدين. وفي 1816 فقط ، تم تعيين لجنة لهذا الغرض لتقديم المبلغ المستحق بما في ذلك الفوائد، حيث ارتفعت الى 14 مليون. ولكن نتيجة للصفقة التي تمت يوم 28 أكتوبر 1819، تم خفضها الى 7 ملايين، والديون المتعلقة بالبكري كانت ستناقش، وبموجب هذه الاتفاقية تم تسديد العديد من الدفعات الخاصة بديون البكري بفرنسا. لكن هذا

اليهودي كانت لديه ديون أخرى في افريقيا وأهمها كانت الحكومة الجزائرية نفسها، والتي باعها الصوف وأشياء أخرى. الداي الذي كان معتادا على اعتبار ديون البكري على فرنسا ضمانا لحكومتها على هذا التاجر، لكنه كانمستاء من رؤية هذا الرهن (الضمان) يتراجع يوما بعد يوم بسبب المدفوعات التي سلمت لصالح الدائنين الفرنسيين. واعتقد بأن الجميع لم يكن لديهم نوايا حسنة، وقد شاطره العديد من الأشخاص بفرنسا في هذا الرأي كما هو الحال في افريقيا، وفيما يتعلق بهذا الموضوع، ظهرت اشتباهات (شكوك) خطيرة على السيد ديفال. ولذلك، فمن الممكن أن تكون الشكاوي العديدة التي رفعها الداي حسين ضد طريقة تصفية ديون البكري لم يكن لها أساس أصلا. كان هذا الأمير كان يرى بأن العديد من المؤامرات الخاصة تدخلت في هذه القضية، ولهذا كان يعتقد بأن من واجبه أن يكتب مباشرة لملك فرنسا، وظن بأن هذه الطريقة ستقوده الى طريق آخر. بقيت رسالته دون أي رد. وفي هذه الأثناء كان قنصل فرنسا قد تقدم اليه، وفقا للعرف، وذلك بمناسبة عيد بيرم، فيما طالب الداي بأنها كانت سبب هذا السكوت. وأجاب السيد ديفال بجملة مفادها أن ملك فرنسا لن يستطيع أن ينزل (يتنازل او ينحدر) الى درجة مراسلة داي الجزائر. كانت هناك آلاف الطرق لقول هذا، ولكن على ما يبدو أن السيد ديفال اختار أشد الطرق وأكثرها هجومية من أجل مخاطبة الداي، ويعود ذلك اما لجهله للغة أو لطبيعته الوحشية. وعلى الرغم من حذر هذا الأمير وكونه مهذبا الا أنه لم يستطع أن يسيطر على غضبه، وضرب السيد

دي‌فال بمروحته (التي تستعمل لطرد الذباب) المصنوعة من ريش الطاووس، والتي كان يحملها بيده. ولسوء حظه، أتبع هذه الحركة بمجموعة من الشتائم ضد ملك فرنسا، والذي من طبيعته عدم التهاون بشأنها، وكان يقدر حكومتنا التغاضي عن اهانة القنصل نظرا لاستفزازه الذي أدى الى ذلك.

كان السيد دو فيال على رأس شؤون بلدنا. وقد اتهمه أعداؤه الكثر بممارسة سياسة مفسدة في الداخل وسياسة دون كرامة في الخارج. وكان يتخيل في الاساءة (الشتم) التي قام بها داي الجزائر وسيلة لنشر الحزم الدبلوماسي بأمان وجذب البعض من الاهتمام في هذا الصدد. ونتيجة لذلك، ذاع صيت داي الجزائر، وأعلن أن الملك سيعطي اشارة شر انتقام. كان مقتنعا بأن بعض التهديدات تكفي لتخويف حسين باشا، لكن خابت آماله، ولذلك، وبدلا من العزم على الضرب بقوة، لم يتم اتخاذ الا نصف اجراء: اصدار قرار بحصار الميناء، وقد سخر الداي من هذا الحصار. كما أن هذه القضية التي اعتقد السيد دو فيال أنها ستجلب له الرأي العام لم تؤدي الا للنفور منه مجددا. كنا نعتقد أننا نرى تأثير انجلترا والكراهية والاحتقار، ولكن هذا الوزير سقط ذابلا، وأخذت مكانه الادارة التي كانت حكيمة لكنها ضعيفة أمام الظروف الحادة التي تواجدت فيها فرنسا. هذه الوزارة الجديدة التي اثارت استياء المحكمة في الداخل، دون ارضاء الرأي العام بشكل كلي، اتبعت سياسة خارجية بالقليل من المهارة. استمر حصار الجزائر وقد أدرجت الوسائل الوحيدة التي بامكانها أن توصلنا الى الخضوع (الاستسلام) البربري الكلي.

لقد كان مخصصا للادارة الأكثر انتقادا، والتي مازالت تؤثر على فرنسا وعلى الوزارة التي كان يترأسها السيد بوليناك أخذ جزء حاسم في هذه القضية. لم يكن ذلك بدافع الشعور باحترام الوطن، وانما ذلك كان على أمل خدمة انتصاراته في افريقيا واتمام مشاريعه في الداخل. قام بونابارت بخنق الحرية تحت الأمجاد التي طغت على فرنسا. اعتقد السيد دو بوليناك بأن شارل كان قويا كفاية ليحاول القيام بشيء مماثل. ونتيجة لذلك، قرر في المجلس أن يرسل جيشا الى افريقيا تحت قيادة السيد بورمونت، الذي كان وزيرا للحرب. عندما هاجم داي الجزائر على سفينة بريطانية، جعل أي تسوية للوضعية (الاتفاق) مستحيلا.

وبمجرد اتخاذ الحكومة للقرار أصبح الجميع يعرف بذلك، الى جانب الجرائد التي كانت تشتكي من الليونة التي كانت تقود هذه القضية، حيث بدأت تخطب ضد الحملة التي كان يجرى تحضيرها، كما بالغت في المخاطر في مضاهاة بعضها البعض ورفض الحاجة. هذه الشارة للنوايا السيئة لم تكن تشرف خبراء القانون الدولي في هذه الفترة.

الجزء السليم من العامة (الناس) كان يعيش الأشياء تحت وجهة نظرها الصحيحة، ولم يكن يعمي نفسه على الأسباب التي جعلت الوزارة تتصرف على هذا النحو. ولكن بما أن الحملة نفسها كانت تسير بمبدأ الاحترام (الشرف) الوطني، لتكون مفيدة في التجارة وتحقق المجد لأسلحتنا، فان الرجال النزهاء تقبلوا ذلك وشجعوه، وكانوا يحضرون انفسهم لمحاربة

الادارة التي كانت تسيرها حتى الموت، اذا ما هوجمت حقوق فرنسا.
اختيارنا للكونت دو بورمون من أجل قيادة هذه الحملة كان مشؤوما، وقد ارتبطت ذكريات غير مشرفة باسم الجنرال.ومع ذلك رافقته ترحيبات فرنسا بأكملها، لأن الأمة كانت تدرك بأن أقوى مصلحة لها كانت في معيار فرنسا الذي استعمل ضد كل أجنبي لتخرج منتصرة في صراعها، مهما كان اللون أو اليد التي تحمله.

لم يهمل السيد دو بورمونت ، الذي جعل من هذه الحرب مسألة شخصية جدا، أي شيء من أجل ضمان النجاح. كلفت لجنة يترأسها الجنرال لوفاردو بجمع كل الوثائق الموجودة في الجزائر. سلمت القيادة الهندسة وقيادة المدفعية لرجال أذكياء. حيث سلمت الأولى (الهندسة) للجنرال فالازي، الذي لا يمكن انكار مواهبه، والذي كان يؤمن بمبدأ أن القيمة الأكبر هي الأقل جودة. أما الثانية (المدفعية) فقد سلمت للجنرال لاييت الذي كان الضابط الأعلى جدارة في جميع النواحي.

اختيار الضابط العام للمشاة كان على العموم جيدا أيضا، في حين فرض بعض الأشخاص وجود السيد دو بورمونت من خلال المؤامرات ومتطلبات المحكمة.

كان المشاة مقسمين الى ثلاثة أقسام بثلاثة فرق لكل قسم. كل فرقة كانت تتكون من فوجين، وكل فوج يتكون من كتيبتين.

القسم الأول للمشاة كان تحت قيادة الملازم الأول الجنرال برتازان.

الفرقة الأولى لهذا القسم، والتي كانت تحت قيادة المارشال بوري دو موفان، تألفت من الفرقة الأولى للمشاة المتشكلة من المشاة 2 و4 والخط الثالث، أما الفرقة الثانية التي يقودها المارشال أشارد كانت متكونة من الخط 14 و37، فيما تتكون الفرقة الثالثة من الخط 20 و28، تحت قيادة المارشال كلويي.
القسم الثاني من المشاة كان تحت قيادة الملازم الأول الجنرال لوفاردو.

الفرقة الأولى لهذا القسم كانت متكونة من الخط 6 والخط 46، تحت قيادة المارشال دونيس دو دامريمون، أما الفرقة الثانية المتكونة من الخط 15 و40 فقد كانت تحت أوامر المارشال مونك دوزي، أما الفرقة الثالثة المتكونة من الخط 21 و29 فقد ترأسها المارشال كولومب دارسين.

كان على رأس القسم الثالث للمشاة الدوق ديسكار. الفرقة الأولى لهذا القسم كان مكونا من فوج المشاة 2 ، والذي يتكون في حد ذاته من المشاة 1 و9 والخط 35، تحت قيادة المارشال بارتيي دو سوفيني، أما الفرقة الثانية التي قادها المارشال أورال فقد كانت متكونة من الخط 17 و30، في حين تكونت الفرقة الثالثة من الخط 23 و24 وذلك تحت أوامر المارشال مونتليفول.

لم يكن لفوجي المشاة الا كتيبة واحدة أسهمت في تدريبها. كانت الكتائب على شكل ثمانية فرق تضم 94 رجلا، دون احتساب الضباط.

كانت فرق النخبة تضم 120 رجلا، وفيما كانت قوة كل قسم من المشاة تضم حوالي 10 آلاف رجل.

كان جيش الفرسان يتكون من سربين من المقاتلين ال 17 والفوج 13 من نفس الجيش. أما الأسراب الثلاثة التي تحمل اسم مقاتلي افريقيا فقد كانت تضم 500 خيل تحت قيادة الكولونيل أو العقيد بونتون دو باري.

وتألفت قوات المدفعية من أربعة بطاريات مرفوعة وعشر بطاريات غير مرفوعة وبطارية جبل وفرقة من العمال (المستخدمين) وواحدة من العوامات وأربع قطارات (عتاد) الحظائر. كانت قوة المدفعية تتكون اجمالا من 2268 رجل (دون احتساب الضباط) و1380 خيل.

كانت قوات الهندسة متكونة من فرقتين من زراع الألغام وستة خبراء المتفجرات ونصف فرقة تدريب وهي تمثل 1260 رجلا و 118 خيلا. وتألفت هيئة الأركان من الملازم الجنرال قائد الأركان العام ومارشال نائب قائد الأركان وثلاثة عقداء (جمع عقيد) قادة هيئة الأركان التقسيمية (المتكون من أقسام أو فرق)، وأربعة وثلاثين مساعد من كل الرتب، الى جانب ثمانية وعشرين ضابط موظف في هيئة الأركان العامة وفي هيئة الأركان التقسيمية، بالاضافة الى قائد المقر العام ومدير عام لمكتب البريد وثلاثة مهندسين جغرافيين. كما تتكون هيئة الأركان الخاصة بالمدفعية ايضا من مارشال المعسكر قائد المدفعية وعقيد قائد الأركان ومدير الحظيرة ومساعدي معسكر وسبعة رؤساء كتيبة وخمسة نقباء (النقيب أو الكابتان) وأربعة عشر حارس. فيما تضمنت هيئة أركان الهندسة مارشال المعسكر قائد الهندسة وملازم برتبة عقيد قائد الأركان، الى جانب قائد الكتيبة مدير الحضيرة (قائد الكتيبة المشرف) ومساعد وقائدي

كتيبة وخمسة عشر نقيب وثلاثة ملازمين وسبعة حراس. ويصل عدد المقاتلين اجمالا الى 34184 شخصا (بما فيهم الضباط). العمال غير المقاتلين يتألفون مما يلي: أمين المخازن الرئيسي وثمانية عشر نائب أو مساعد له، ودافع عام (آمر الصرف) وأربعة دافعين خواص (واحد منهم في المقر العام وآخر في كل قسم)، الى جانب طبيب رئيسي وطبيب أساسي وجراح رئيسي وجراح أساسي، وصيدلي رئيسي وصيدلي أساسي، واثنا عشر طبيبا في مختلف الاختصاصات ومئة وخمسين جراحا، وثلاثة وتسعين صيدليا، وقد وصل العدد الاجمالي لضباط الصحة الى مئتين وواحد وسبعون ضابطا، دون احتساب هؤلاء الذين ينشطون في الأفواج، الى جانب ثلاثة وثمانون عامل في الغذاء والاطعام وثلاثة وعشرون عامل بالمستشفيات وثمانية عشر عامل بالمخيمات، بالاضافة الى قائد الأطقم (جمع طاقم)، وفرقتين من راكبي البغال وتضم 394 رجلا و636 بغلا، وفرقة عتاد ادارية تقود 128 عربة ذخيرة (صندوق) بعجلتين رفقة 195 رجلا و315 خيل (حصان)، وفرقة قوية أخرى متكونة من 208 رجل و348 خيل، تقود 129 مدفعا بأربع عجلات، الى جانب نصف فرقة مؤقتة لعتاد الادارة مكونة من 28 رجلا و34 خيلا، الى جانب كتيبة من عمال الادارة متكونة من 780 رجلا، كما تضمنت الفرق أربعين دليل ومترجما. وأخيرا كان هناك أيضا عميد و123 دركيا من المشاة ونفس العدد من الفرسان (الدرك الذين يركبون الخيل)، ليكون عددهم الاجمالي 3389 فردا غير مقاتل. وقد ارتفع عدد الأحصنة والبغال الى 3423 دون احتساب تلك الخاصة بالضباط.

يجر الجيش معه معدات (عتاد) ضخمة، وقد تكون العتاد الخاصة بالمدفعية كالآتي:

مدفعية المقر	قطع من 24	30
	قطع من 16	20
	قطع 12	12
	قذائف الهون 10 بوصات	8
	مدافع الهاوتزر 8 بوصات	12
	المجموع.....82 بندقية	

تم تزويد المدافع بألف طلقة، وقذائف الهاون بثلاثمائة طلقة أما مدافع الهاوتزر فقد زودت بثمانمائة طلقة.

مدفعية الميدان	قطع من 8	16
	مدافع هاوتزر من 24	8
	مدافع هاوتزر الجبلية (خاصة بالجبل)	6
	المجموع.......30 بندقية	

ثم تزويد المدافع ومدافع هاوتزر الخاصة بالحملة (الفرقة المتنقلة) بخمسمائة طلقة، أما مدافع هاوتزر الخاصة بالجبل فقد زودت بمئتي طلقة. وقد تم حمل القطع الستة الخاصة بالجبل على ستة وأربعين بغلا بعرباتها وذخيرتها (مؤونتها). كما كان لدينا مئة وخمسين بندقية متراس مزودة بثلاثمائة طلقة، وألفي بندقية عيار للمشاة، وعدد كبير من الصواريخ الخارقة، كما تم توفير ب5،000،000 (خمسة ملايين) خرطوشة (رصاصة أو طلقة). كما وجد مجموع 356 سيارة مدفعية وعربات وخزائن (صناديق) و غيرها. وشملت معدات الهندسة 6

معاقل (حصون صغيرة) بطابقين، و600 رمح لتشكيل التشابكات المحمولة، و120،000 وتد و5،000 جرف (سياج الأوتاد) وعدة آلاف من حزم القفف والمناطد و306،000 كيس تراب (كل هذا من أجل أعمال المقر في البلد الذي يخشى فيه نفاذ الخشب)، الى جانب 27،000 من أدوات الرواد، وأخيرا تم توفير الحديد والصلب الخام لوقت الحاجة: خصص 26 صندوقا لنقل الأدوات (الوسائل) والأشياء الضرورية.

تم حساب الامدادات بالغذاء الاطعام والترتيب لها بشكل جيد بحيث يتم تقديم أقل حجم ممكن منها مع الحرص على الحماية من الأضرار. تم وضع البسكويت في صناديق مغطاة بقماش قوي مشمع، أما التبن فقد تم ضغطه بآلات مخصصة لهذا الغرض، لم تعرف الا مؤخرا في فرنسا، بالرغم من تواجدها منذ فترة طويلة في انجلترا.

كما تم حمل أفران معدنية من طرف الجيش من أجل تعويض البسكويت بالخبز في أقرب الأجال، الى جانب نقل أكثر من ألف ثور وكميات معتبرة جدا من النبيذ (الخمر). وفي الأخير، لم يتم اهمال أي شيء من أجل ضمان رفاهية الجنود في بلد افترضنا أنه لن يوفر أي نوع من الموارد.

والى جانب هذه التحضيرات (الاستعدادات) التي يتطلبها الحذر والرغبة في انجاح هذه الحملة، قمنا باحضار أشياء عديمة الأهمية. كل صانع مشروع يتقدم الى السيد دو بورمونت يتم استقباله واعتماد خطه (مشروعه) دون أي مراجعة. وهي الطريقة التي عشناها بعد ذلك مع الجيش، الطيار مارغات ولاعبو السيد أموروز في الجمنازيوم (الجمباز) ومجموعة أخرى من الشخصيات المحرجة،

الذين نجد من بينهم مجموعات كبيرة من الضباط في المقر العام الكبير والقسيس العام.

تم تعيين السيد دوني كأمين المخازن الرئيسي، وبما أنه كان معروفا أن الجسم المدمر للادارة لا يستطيع أن يقوم بفعل شيء، فقد تم تعيين ممون عام كما في عام 1823.

اجتمعت مختلف الهياكل التي تشكل الجيش خلال شهر أفريل، في كل من مدن (محافظات) فوكلوز وبوش دو رون وفار. اجتمعت السفينة التي كان من المفترض أن تنقله (الجيش) الى افريقيا في نفس الوقت في ميناء مارسيليا وتولون. وصل السيد بورمونت الى هذه المدينة الأخيرة في 27 أفريل، وأنشأ مقره العام، كما تواجد المقر العام الخاص بقسم بارتزان، كما تم انشاء المقر العام للقسم الثاني بمرسيليا، أما المقر العام للقسم الثالث للجيش فقد تم انشاؤه في اكس.في الأيام الأولى من شهر ماي ، استعرض دوفين فانت الأقسام الثلاثة لجيش افريقيا على التوالي. لم يزد حضوره ولم ينقص من حماس القوات التي كانت تبرز أفضل النوايا (الارادة الحسنة).

وخلال الفترة الفاصلة ما بين اجتماع الجيش وانطلاقه، خضعت القوات لفترات تدريبية كبيرة وخاصة تشكيل المربعات (مربعات أمنية). تم تدريب القسم الأول من الجيش على عمليات الهبوطمن المراكب أو القوارب المسطحة المخصصة لهذا الغرض، ويجب أن تكون خلال العبور مرفوعة على متن السفن الكبيرة. كانت هناك أسلحة من كل الأنواع، منها تلك المخصصة لمدفعية المقر والتي يمكن أن تحمل على شكل قطع مفككة. أما المدافع فقد وضعت بشكل

مستعرض على عارضات كبيرة مثبتة في الاتجاه الطولي، حيث تكون قدم واحدة (للمدفع) فوق الجزء السفلي للبارجة. تلك المدافع التي كانت موجهة لمدفعية الفرقة (الحملة) كانت تحتوي على قطعتين على جزئي العربة، مع المدفعيات الضرورية، وكل قطعة حملت على ثلاث أجنحة واحدة من أجل المؤخرة والأخرى من أجل العجلات (الخاصة بالمدفع). كانت هذه الأجنحة مائلة قليلا من أجل للتخفيف من أثر التراجع، وبهذه الطريقة يمكن جر القطع من البارجة نفسها، كما يمكن حماية هبوط القوات. البارجات المخصصة للقوات بامكانها أن تحوي في كل واحدة منها 16 خيلا أو 150 رجلا. يتم تخفيض الحواف المسطحة الأمامية والخلفية لكل هذه السفن على شكل جسور متحركة، سواء من أجل المرور من سفينة الى أخرى أمن أجل الهبوط (النزول).

وقد أجريت عدة محاولات الهبوط في تولون، وكان الجميع سعداء بالنتائج. وفي 2 ماي تم سحب أربع بارجات (صنادل) بواسطة قوارب لتتوجه نحو البرج الكبير، عند مدخل الميناء، وعندما نفذ الماء من القوارب ألقى البحارة بأنفسهم الى البحر وجروا البارجات بأنفسهم. تم تحمل أول بارجة (صنديل) بقطع المقر، أما الثانية فقد حملت بقطع مدفعية الميدان ومدفع هاوتزر الجبل، أما الثالث فقد خصص لحمل أسلحة على شكل رماح مثل التي تحدثنا عنها في الأعلى، أما البارجة الرابعة فحملت بالجنود المشاة. وفي أقل من خمسة دقائق، من اصابة الصنادل كان المشاة ومدفعية الميدان على الشاطئ، وفي أقل من ربع ساعة كانت قطع المقر على الشاطئ في فضاء يقدر بحوالي خمسمائة متر أحيط برماح النار، ووضعت المشاة وراء هذا السور المتحرك وبدأت باطلاق النار. كان هذا

السور متكونا من خط من حزم تضم ثلاثة رماح شبيهة بتلك التي تشكلها القوات ببنادقها، ويتم ربط الرماح الثلاثة لكل حزمة بطوق، وهو عبارة عن خيط طويل تمر عبر الحلقات لتجمعها مع بعض.

في جميع هذه التحضيرات (الاستعدادات) الحربية التي وصفناها، اعتقدنا بأنه من الضرور أن ننضم الى الاغاثة الدبلوماسية. تم اجراء مفاوضات مع تونس ومع المغرب. كان السيد دوليسبس قنصلنا في تونس، وكان مكلفا بتطبيق أحكام باي قسطينة، وجعله يفهم أن عليه اغتنام الفرصة ليعود مستقلا، وذلك بعيدا عن مساندة داي الجزائر في حربه مع فرنسا.

تم ارسال السيد جيراردين ودوبينوسك، اللذان قاما سابقا بمهام قادتهما الى السينغال وبلاد الشام، الى تونس نهاية شهر مارس وعادا في 2 ماي، وقد عرفوا أن رئيس مجلس وصاية هذه المنطقة كان في وضعيات جيدة، ولكنه كان يرغب في الابتعاد عن صدمات التحيزات الدينية لرعاياه، من خلال اعلانه ذلك لنا بشكل صريح جدا. وقد عرفنا في نفس الوقت أن باي قسنطينة كا سينتقل الى الجزائر العاصمة يوم 20 أو 25 ماي. وفكرنا بأنه يمكننا منعه من القيام بهذه الرحلة، وكانمن الضروري محاولة ذلك على الأقل، ولكن هذا الظرف ساهم في تسريع رحيله (انطلاقه الى الجزائر العاصمة)، بالرغم من أن كل أسطول الحملة لم يتجمع بعد. لقد كنا ننتظر بعض الأشخاص الذين كان عليهم المجيء الى الموانيء البحرية (مونيء المحيط). وقررنا الرحيل بدونهم كما قررنا كذلك ترك القوات التي كان من المفترض أن تحملها في تولون، لكنهم وصلوا قبل أن يكتمل الصعود.

عاد السيد جيراردي الى تونس يوم 11 ماي وكان يحمل معه رسالة كان من المفترض أن يحتفظ بها لباي قسنطينة، في حال لم يكن في طريق العودة الى الجزائر العاصمة. ذهب ملتزم (موظف) من الممون العام رفقة السيد جيراردين للشراء الماشية في تبرقة.

تم انزال المواد خلال شهر أفريل، وفي الأيام الأولى من شهر ماي. أما نزول القوات العسكرية فقد كان في 11 ماي ولم ينته الا في 18 من هذا الشهر.

يتألف الاسطول من 11 سفينة و24 فرقاطة (سفن حربية سريعة) و14 طرادة (أو حراقة وهي سفينة حربية قديمة)، و23 مركب و9 بارجات (صنادل) و8 مراكب قصف و4 مراكب شراعية و7 بواخر، أي ما مجموعه 100 سفينة حربية، الى جانب 357 نقل مواثيق من بينها 119 فرنسية و238 أجنبية. كما تضمن أسطول صغير مجموعة من السفن الكبيرة المخصصة لخدمة الوسطاء مابين السفن والصنادل (البارجات). تواجدت 12 بارجة لمدفعية المقر و11 أخرى لمدفعية الميدان و30 منها للفرق (القوات) العسكرية. هذه القوارب التي يحتمل أن لا تقاوم البحر، حملت على متن سفن كبيرة خلال العبور، ومن أجل نزالها تم سحبها بواسطة الزوارق البخارية. ومن جانب آخر أنشئنا أكثر من 50 طوافة البراميل مغطاة بالحزم والألواح، التي يمكن تركيبها وتفكيكها في أقل من ست ساعات، كما يمكن لكل واحدة منها حمل 70 رجلا.

كان نائب الأميرال دوبيري على رأس هذه الأسلحة، والتي كانت أهم ما قامت به فرنسا منذ سنوات عديدة جديدة. هذا الضابط كان يتمتع بسمعة جيدة وسط البحارة، وحتى الجرائد كانت تمجد استحقاقه لتباعية السيد بورمونت،

الأمر الذي ساهم قليلا وبدون شك في الفتور (الجمود) القائم باستمرار بين الجنرالين.

تم تقسيم الجيوش البحرية الى ثلاثة أسراب (أجنحة) : الأولى كانت تحمل اسم جناح أو سرب القتال، وهو موجه لهجوم الحصون والبطاريات، بينما يحمل السرب الثاني تسمية سرب أو جناح النزول (الهبوط) وهو يقوم بانزال القوات العسكرية الى الأرض، في حين يحمل السرب الثالث اسم جناح الاحتياط.

يحمل الجناح الأول القسم الثاني من جيش الأرض و450 جنديا من المدفعية.

أما الجناح الثاني فيحمل القسم الأول من الجيش و300 جندي هندسة، في حين يحمل السرب الثالث ستة كتائب من القسم الثالث والكثير من العتاد وجزء من عمال المدفعية والهندسة.

تم تقسيم القافلة الى ثلاثة أسراب، وهي تحمل بقية الفرق العسكرية والعتاد وكل الخيول (الأحصنة).

وبعد الانتظار لأكثر من ثمانية أيام للرياح المواتية، لينطلق الأسطول يوم 25 ماي ويخرج من ميناء تولون. امتلأت التلال المجاورة بحشود من المتفرجين الذين قدموا من مختلف أرجاء فرنسا لاشباع فضولهم والتمتع بهذا المنظر الرائع. رؤية انتشار هذه القوة الكبيرة من الشعب، جعلنا نحس بالفخر لكوننا فرنسيين، ولكن باعادة أبصارنا الى وضعيتنا الداخلية لا يمكن لأحد أن يمتنع عن الحزن، بسبب الأحداث التي كان يجرى التحضير لها، والتي لا يمكن لأحد أن يتنبأ بدقة نتائجها.

الكتاب 2

حوادث الرحلة- النزول في سيدي فرج وقتال 41 جوان- الوضعيات الدفاعية للأتراك- معركة سطاوالي- معركة سيدي خلاف- معركة سيدي عبد الرحمن بوتيغا- الاستشهار في الجزائر- حصار قلعة الامبراطور- القاء القبض على الامبراطور- استسلام الجزائر-.

عندما كان الأسطول في عرض البحر كانت على شكل ثلاثة أجزء بعيدة بأربعة أميال عن بعضها البعض. الجزء الموجود في الوسط كان يتكون من سرب المعركة وسرب الهبوط الذي يشكل كل واحد منها صفا طويلا (عمودا). الجزء الموجود على اليمين تم تشكيله بالجناح (السرب) الاحتياطي الذي كان يشكل صفين، فيما كانت القافلة تشكل جزء اليسار (الكتلة الموجودة على اليسار). لم يكن هذا الأسطول مجتمعا بل هناك من السفن من غادر في 26 و27 من نفس الشهر.

في يوم 26، التقى الجيش مع الفرقاطة التركية العائدة من الجزائر العاصمة، مرفقة بالفرقاطة الفرنسية الخاصة بالحصار. كانت تحمل موظفا دبلوماسيا من رتبة عالية قامت البوابة العثمانية بارساله الى حسين باشا، ليقوم بالتنازلات لفرنسا، لكن قواعد الحصار لم تسمح بدخول هذا العون الى الجزائر العاصمة، وعاد الى فرنسا، وقد قام باجتماعات كثيرة مع جنرالاتنا، ليواصل طريقه بعد ذلك الى تولون.

في 28 من نفس الشهر، وعلى الساعة الرابعة مساء، رأينا جزيرة مينورك، وفي عتمة الليل كانت الرياح ضعيفة جدا ، وفي يوم الغد رأينا جزيرة مجورك ومدينة بالما، عاصمة جزيرة باليار.

في 30 من ماي، وفي المساء، لم يكن الجيش الا على بعد 15 ميلا من الساحل البربري، صدرت أوامر الهبوط (النزول)، الذي افترضنا أنه سيكون في اليوم الموالي، ولكن في الليل، كان النسيم منعشا جدا ليعتقد السيد دوبيري أن الحذر يوجب عليه اتخاذ تلك الوجهة في أعماق البحر.

في 1 جوان، كان الرياح قوية والبحر مضطرب، وكانت الأوامر بالابحار الى بالما. وفي سهرة نفس اليوم، ذهب جزء من الأسطول الى ميناء هذه المدينة، فيما استمر جناحين من الأسطول طريقهما في عرض البحر، ولكن بالقرب من بالما.

الجزء المتبقي من القافلة والتي لم تبحر بعد الا في 21 من ماي افترقت بفعل العاصفة: وصلت السفن التي تشكلها متفرقة الى بالما، أين اجتمعت من جديد، ثم خرجت في نفس اليوم الذي وصل فيه الجيش: أسطول سفن الهبوط التي تم تعيينها تحت السيطرة المبتذلة لسفن الماشية (سفن البقر)، اجتمعت هي الأخرى في بالما وخرجت بعد ذلك للالتحاق الجيش، واقتربت بمسافة قصيرة خلال ليلة 31 ماي الى الفاتح (1) جوان، لكنها لم تلاحظ ذلك. وفي كان الجيش متوجها الى بالما، كان الأسطول في طريقه الى سواحل افريقيا، ووجدوا دون أي أدنى شك أن الوقت لم يكن سيئا كفاية لمنعه. في الواقع لم تكن الرياح تهب في الاتجاه المعاكس، ولكنها كانت قوية كفاية لنخشى أن ذلك سيعيق النزول (الهبوط).

بقي الأسطول رطبا في بالما حتى 10 جوان، ولا يزال السريين (الجناحين) يبحران بالقرب من الميناء. وفي هذه الأثناء، قامت سفن القافلة بجمع (حشد) الجيش، وقد أرسلت فرقاطة بالاس للبحث عن سفن (قوارب) الماشية، لتلتقي بأكبر جزء منها بالقرب من سيدي فرج الذي تم تعيينه مكانا للنزول (الهبوط)؛ اقتربت الكثير من

هذه السفن بالقرب من السواحل، مما جعلنا نفكر أنها (السواحل) لم تكن خطيرة كثيرا بالمقارنة بما كان يعتقده بحارتنا.

غادر الأسطول بالما في صباح يوم 10 جوان، بنفس الترتيب الذي غادرت به من تولون. في 12 من نفس الشهر، وعلى الساعة الرابعة صباحا، أصبح الأسطول قريبا من سواحل افريقيا، ولكن الرياح القوية أجبرته على الاتجاه نحو الشمال. لم يترك السيد دوبيري، الذي كانت تقع على عاتقه مسؤولية كبيرة، أي شيء للصدفة، والرياح التي كانت سببا في وصولهم الى الساحل، كانت أيضا السبب في جعل هبوطهم صعبا وخطيرا، نظرا لقوتها وعنفها. علمنا للتو أن مركبين من مراكب الحصار فشلا في الوصول في ضواحي الجزائر العاصمة، وذلك يوم 4 ماي، حيث قتل معظم طاقمهما من طرف العرب، أما البقية فكانوا أسرى في سجون الجزائر العاصمة. بدا هذا الحدث الأليم أنه يبرر تردد القوات البحرية في دخول السواحل الافريقية. ومع ذلك، فان الجيش الذي ينشط في البر (الأرض) كان متعبا جدا من الابحار كل هذه المدة وفي هذه الرحلة البطيئة.

في 12 من نفس الشهر (جوان) في الصباح، هدأت الرياح لفترات، وعلى الساعة الواحدة والنصف أخذنا الوجهة نحو الجنوب، وعلى لاساعة الرابعة عدنا الى الشمال، وأخيرا، وعلى الساعة التاسعة مساء وجهنا سفننا الى ساحل الجزائر العاصمة.

في 13 من نفس الشهر كنا نرى الساحل (الأرض) على الساعة الرابعة صباحا، وقد كانت الرياح تعصف بعنف، ولكن أحسسنا شدتها كانت تتراجع مع مرور الوقت مع اقترابنا الى الساحل. بقية الوقت كانت جميلة ، فقد بدأنا نتأمل ونميز بين بيوت الجزائر العاصمة البيضاء، والتلال الخضراء التي تحيط بهذه المدينة. بدا

الجيش وكأنه يودي أن ينقض عليها مثل الطار الجارح (مثل الجوارح التي تنقض على فريستها)، لكنه تحول فجأة نحو اليمين حيث تجاوز ساحل كاكسين متجها نحو سيدي فرج.

سيدي فرج عبارة عن نتوء خليجي (أو صخرة شاطئية) تقع على بضعة أميال من غرب الجزائر العاصمة، في المنطقة التي يوجد فيها برج صغير (ما يشبه القلعة الصغيرة)، وهي عبارة عن عن "زاوية" أو معبد تحيط به بعض المباني. هذه القلعة الصغيرة هي التي غالبا ما كانت تعرف بالتسمية الاسبانية توري شيكا. اسم سيدي فرج يعود الى المرابط (الولي المسلم) الذي دفن فيه، والذي تمثل ذكراه شيئا مبجلا في البلاد. الجميع يعرف أن معنى "سيد" بالعربية تعني السيد أو الرب أو الملى بالفرنسية، وباضافة ضمير الملكية الخاص بالضمير أنا، لتصبح التسمية "سيدي" بمعنى مولاي؛ فرج هو الاسم الصحيح لهذا المرابط. نجد في كل شمال افريقيا عددا كبيرا من الأماكن التي تحمل أسماء المرابطين اللذين دفنوا هناك، كما هو الحال بالنسبة للعديد من المدن والقرى في أوروبا والتي تحمل أسماء بعض القديسين والقديسات.

الصخرة الشاطئية (النتوء الخليجي) لسيدي فرج عبارة عن تعرجات الساحل المشكلة من الشرق الى الغرب لمكلأين عميقين قليلا ومحميان (المكلا لرسو السفن أي ما يشبه المرسى أو الميناء). اختير المكلأ (المرسى) الموجود في الجهة لاغربية من أجل الهبوط. الشاطئ كان سويا ومناسبا جدا لمثل هذا النوع من العمليات. البلاد على بعد ميلين لم تكن الا عبارة عن تموجات أرضية لا تستحق كثيرا تسمية التلال، فقد كانت مغطاة بطبقات سميكة من الخلنج (نوع من النباتات) تعبرها بعض التيارات (المجاري) المائية، ذات الحواف المظللة بنباتات المصطكى والدفل. بدأ

الأسطول يصل الى المرسى خلال منتصف النهار. قبل مغادرة تولون، قدمت تعليمات جد مفصلة حول ما يتعلق بالأماكن التي ستشغلها كل سفينة، والنظام الذي يجب أن يكون عليه الهبوط. وقد انتظرنا أن تكون هناك مقاومة قوية من العدو، لكن لم نلاحظ الا بعض العرب ممن كانوا يلاحظون ويراقبون حركاتنا بقلق. كانت هناك بطارية مصنوعة من الحجر بجانب البحر، على بعد مسافة صغيرة من توري شيكا، وكانت منزوعة السلاح كليا (خالية من السلاح). لاحظنا وجود بطارية أخرى أبعد قليلا من الأولى، وقد كانت مغطات ببعض الشجيرات، ومن أجل الاشارة الى وجودها عبر اطلاق أربعة قنابل. ومن خلال اطلاق احدى هذه القذائف اصيب أحد البحارة بجروح على متن بريسلاو. كان كل هذا كل شيء سيء قام به العدو، في هذا اليوم الذي أوشك على نهايته والذي كرس لزخرفة السفن. تمت هذه العملية بالقليل من الفوضى، وقد تم الغاء التعليمات التي قدمت في تولون. على اليمين كانت السفن الحربية مغطاة بسفن النقل، ولم تستطع القتال حتى لو طلب منها اطلاق النار (استخدام أسلحتها). ولحسن الحظ، فان الهبوط الذي أجل ليوم الغد تم دون وجود أي عائق. ومن جهتنا لم يكن هناك الا اطلاق بعض القذائق المدفعية التي أطلقتها باخرة "لو ناجور".

مرت الليلة بسلام وهادئة جدا. وفي صباح يوم 14 جوان بدأ نزول الفرق العسكرية (القوات) للقسم الأول. العدول الذي انسحب لمسافة محددة، ترك هذه الفرق العسكرية تصل الى الشاطئ دون أن تقلقها، وقد تم ارسالها على بعد نصف ميل من توري شيكا، على قمة احدى التموجات (التموجات الساحلية) التي تحدثنا عنها.

الأرض بين هذه النقطة (المنطقة) وأرض الهبوط كانت سوية (موحدة)، وكنا نرى هنا وهناك آثار الثقافة التي تختفي شيئا فشيئا مع ابتعادنا عن سيدي فرج.

بمجرد نزول القسم الأول من الجيش الى الأرض (الشاطئ)، قام بتشكيل صفوفه ومشى الى العدو، فيما سار القسم الثاني على اليسار ثم في الوسط، في حين كان القسم الثالث آخر من ينزل لأخذ مكانه. غطى العدو صفوفه (قاوم) بثلاث بطاريات، حيث بدأ باطلاق النار عندما رأى صفوف جيشنا متجهة اليه. قامت باخرتان قريبتان من الساحل بقصف بطارية اليسار بعدما تخلى عنها البربر للحظة، لكن تم سحب هذه السفن لتستأنف اطلاق النار مرة أخرى. وفي هذه اللحظة تم وضع السيد دو بورمونت في المقدمة من أجل تسيير هذه الحركة وكاد أن يقتل: فقد سقطت كرتان (قذيفتي مدفع) بالقرب من رجليه وغطته بالرمل.

العدو الذي كان يرى بأن نيرانه لا توقف سير صفوفنا، فتخلى عن بطارياته التي لم تكن قادرة على حمايته من حرابنا (جمع حربة أي ما يوضع من سكين أو خنجر فوق البندقية). لقد انسحب العدو من وضعيته الأولى التي احتلها القسم الأول من الجيش، وكان يفصلنا عن البرابرة، الذين فقدوا كل مدفعيتهم، واد عميق قليلا.

فيما كان يتقدم القسم الأول (الدفعة الأولى) من الجيش الى الأمام، كانت الدفعة الثانية تقوم بالهبوط، وكل فرقة (سرية) كانت تأخذ مكانها على التوالي

في الخط الثاني لتساند الدفعة (القسم) المعنية. تواصلت نيران القناصين طوال اليوم، أما الدفعة الأولى من القوات العسكرية، وقبل حلول الليل كانت فرق هذا القسم والفرق الخاصة بالقسم الثاني على خطين دفاعيين، وقد أنشأت معسكراتها. تعجب الأعداء من قواتنا وبقي يتأمل في هذه الخطوط الطويلة الشبيهة بالجدران المليئة بالنتوءات الحديدية، والتي لم يروا مثلها من قبل: بدا أن الجميع يتخل عن اندفاعه الفردي. بينما كان كل هذا يحدث، كانت الفرصة متاحة أمام القسم الثالث من أجل النزول بكل هدوء، وكأنها تنزل بأرض صديقة. وأنشأت معسكراتها على الصخرة الشاطئية نفسها، وكانت تهدف الى وضع مخيم محصن بدأت أعماله على الفور، واستمر لمدة ثمانية أيام بنشاط مثير للاعجاب. انقطاع المنطقة المحصنة التي تفصل الصخرة الشاطئية عن اليابس، أغلقت المخيم التي خصصت مساحته الواسعة للسلاح أو مخازننا، ومستشفياتنا يجب أن تكون مغطاة تماما. الفرقة الأولى من القسم الثالث (أو الدفعة الثالثة) بقيت خارج التقسيم الذي أنشأناه، والفرقتين الأخريتين بقيتا بالداخل.

بعد نزول الفرق العسكرية الى الشاطئ اهتممنا بانزال المعدات. كل جندي كان يحمل من المؤونة ما يكفيه للعيش لخمسة أيام، لكن ذلك كان قليلا وكان من المفروض وضع كميات معتبرة تحت تصرف الجيش، خوفا من ان بعض عواصف الرياح يمكن أن تجبر الأسطول على الابحار بعيدا. لم نضيع الوقت كذلك: فقد نشرت القوات البحرية في هذه الظروف النشاط

والحماس والمدح. وللأسف، لم تصل كل وسائل النقل، وهذا ما جعل مدفعية المقر تنتظر كثيرا، وسنرى فيها بعد عواقب هذا التأخير المؤسف جدا.

كلفنا يوم 14 جوان القليل من الأشخاص (الأرواح). فالعاطفة التي نشرها جنودنا الشباب خلقت ضمانا لما يمكن أن يقوموا به فيهذه المعركة الأكثر فتكا، ومن هنا بدا نجاح الحملة مضمونا.

في ليلة 14 و15 كانت هناك انذارات خاطئة في القسمين الأول والثاني. فقد أطلق الجنود النار على بعضهم البعض وكانت هناك بعد الحوادث المؤسفة والمحزنة. تكررت هذه الأنواع من الاخطاء عدة مرات أثناء الحملة، ولا يجب أن يتفاجأ الجنود الشباب الذين يتواجدون لأول مرة أمام العدو.

ولكن حان الوقت للحديث عن وسائل الدفاع التي جمعت الداي ضد هجوم كان يهدد وجوده السياسي. كان للآغا دركيه ابراهيم [1]، وهو رجل عاجز كليا. كان بامكانه منذ شهرين أن يعلم، عبر الصحف التي كانت تصل اليه، أن سيدي فرج قد اختيرت لتكون منطقة هبوط قواتنا، ولكن لم نفهم جيدا أن الحق في قول كل شيء يمكن أن يصل في فرنسا الى كشف مشاريع الحكومة للأعداء، وربما لم يكن ذلك مقلقا كثيرا، بالنسبة لهذه النقطة، الا في شيء آخر: لم تكن ترى الا حيلة حرب في هذا الاعلان (الاشهار). وقد انشأ الآغا في شرق الجزائر العاصمة، وفي برج العواش (البيت المربع) بالتحديد، مقره الرئيسي، ولكن لم يتخذ أي موقف دفاعي من أجل سيدي فرج. وعلى ما يبدو في الأخير أن مشروع الداي هو عدم معرضة نزول قواتنا في بعض

(1) كان ابراهيم وسيما ومتميزا في قوته الملحوظة، وهذه الأخيرة ما جعل حسين باشا يختاره ليكون دركيه الخاص (حارسه)، نزولا لطلبات ابنته.

المناطق الهبوط. كان يظن بأنه سيحصل على أفضل صفقة للجيش الفرنسي داخل الأراضي التي كانت تحت رحمة نيران بحريتنا.

في 13 جوان، لم يجمع الآغا الا القليل من الأشخاص، ولم تكن حصة محافظة قسنطينة، التي كنا نعتبرها مهمة جدا، الا 500 فارس و400 جندي من المشاة. لم يستطع باي التيتري، المحارب الشجاع والزعيم الذي تنقصه المهارة، الا 1،000 فارس بدلا من 20،000 (عشرين ألف) التي وعد بها. ولم يرسل باي وهران أيضا الا القليل من الفرسان أيضا، وذلك بقيادة ملازمه. لم يكن معظم جنود جيش الآغا الا أشخاصا من عرب متيجة، وبعض من عشور "القبايل" من محافظة الجزائر. ابراهيم لم يجهز لا الغذاء والمؤونة لهذه الفرق، وكانت القبائل ترى أنها مرغمة على العودة الى الديار بعد أن استهلكت كل ما كان لديها. وبقودم البعض يغادر البعض الآخر وكأن هذه الحشود تتجدد باستمرار، دون أن يصبح عددها كبيرا.

أمل الحصول على الغنيمة والخوف الذي أثاره الأتراك بثا الرغبة في أخذ الأسلحة من العرب، لأنه وفي الأخير بقوا محرجين من نتائج الحرب التي طلبوا للمشاركة فيها. لقد كانوا مسلحين بالبنادق الطويلة بدون حربة وياتاغان (بالتركية تعني السكين الطويلة أو الخنجر المقوس الذي يعلق في الخصر) أوخناجر. كان معظمهم يركبون الخيول، ولكن يمكن القول أنه مع ذلك شكلوا هيئة حقيقية للفارس، لأنهم لم يحاولوا أبدا أن يقوموا بهذا، ولم يستخدموا الأسلحة البيضاء، الا من أجل ذبح السجناء الذين يقعون بين

أيديهم. كان المشاة على الأحصنة يقومون بالحرب التي يقوم بها مشاتنا على الأقدام. يبدو أن السيد دو بورمونت لم تكن لديه الا معلومات كاذبة (خاطئة) حول طريقة قتال هؤلاء الناس، لأنه كان يتوقع أن يرى فرسانا مماثلة للمماليك. قام بتحذير الجيش من قبل، خلال مغادرة خليج بالما، كما أعلمه أيضا بأن العدو سيرهبنا بالعدد الكبير من الجمال، وأنه سيغطي الواجهة الخاصة به بآلاف الحيوانات. لا أعرف من استطاع أن يطلع السيد دو بورمونت عن الاستعدادات المزعومة لحسين باشا، ولكن في الحقيقة لم تر من الابل الا ما كان يحمل الأمتعة، وأن جيش الفرسان العرب لم يقترب لأكثر من خمسين خطوة. كان كل فارس يقترب راكضا أمام القناصة التي كانت تغطي خطوطنا، ليسدد طلقة من البندقية ويعود أدراجه، ليلتحق بسرعة بمجموعته ويختفي بعيدا.

حافظ الفيلقان الأولان من الجيش على وضعيتهما التي كانا عليها في 14 جوان الى غاية 19 من نفس الشهر. كانت الدفعة الأولى في الأمام وتوجد على يسارها الفرقة (السرية) المشكلة في الساحة. أما الدفعة (أو الفيلق) الثانية فقد كانت فرقتاها الأولى والثانية على يمينها، خلف القسم الأول قليلا، وجنبا الى جنب مع الجدول (النهر الصغير أو الغدير) الذي كان يصب في البحر، على بعد نصف ميل من سيدي فرج. أما الدفعة أو القسم الثالث فقد كانت في الخط الثاني خلف يسار قسم برتازان. كانت كتيبة مكونة من الخط 29 على الشاطئ في أقصى اليسار. خلال أربعة أيام احتل أول القسمين هذه الوضعيات، وكان عليها دعم معارك مستمرة للمحاربين (القناصة). الأعداء

الذين كانوا يحملون اسلحة أكثر منا، كانت لديهم ميزة خاصة في هذا النوع من القتال، لكنهم كانوا يخشون نيران المدفعية كثيرا، وخصوصا القذائف. كما استخدمنا بنجاح أيضا بنادق المتراس، لأن من يستخدمها ببراعة يمكن أن يؤذيهم كثيرا. صواريخ الكنغرف لم يكن لديها أي تأثير.

كان قتال القناصة أو المحاربين أساسا على ضفاف الجداول، التي كان من المهم والمفيد ابقاء السيطرة عليها. ومن جهتنا، كان كل رجل يتجه وحيدا الى الماء يلقى حتفه بكل تأكيد: حيث يكون محاطا بحشود من العرب ورأسه مقطوع قبل أن يكون لدينا الوقت لانقاذه. قام داي الجزائر العاصمة بانشاء مكتب لدفع رؤساء الفرنسيين نقدا في ضواحي باب عزون.

بينما تواصل انزال المعدات بنشاط، واذا بالعمل يتعطل في 16 من جوان، وذلك بسبب العاصفة التي تسببت في هلع كبير في لحظات قليلة. كان البحر هائجا، وكانت العديد من السفن تواجه خطر امكانية قذفها الى الساحل، وقد هلكت بعض القوارب. لو بقي الطقس على هذه الحال لتعرض نجاح الحملة الى خطر أكيد، لحسن الحظ لم يدم ذلك طويلا: فبعد ساعات قليلة عاد الصفاء للسماء وتلاشت المخاوف. أخذ مخيم سيدي فرج مظهر المدينة. أصبح لكل هيئة ولكل خدمة ادارية حيا خاصا بها.

كانت الخيمات والأكواخ هي المباني التي تميز هذه المدينة المرتجلة (أنشئت فجأة وبسرعة دول التحضير لذلك)، التي تقطعها طرق كبيرة في كل الاتجاهات، أين شاهدنا سير المدفعية والعديد من سيارات (عربات) الادارة.

ارتفعت مخازن ضخمة في كل الجوانب من أجل تلبية حاجيات الجيش والتجار الذين اتبعوه قدموا له حتى ما يزيد عن حاجته (حتى الأشياء غير الضرورية). تم وضع أفران على الفور، واصبح الخبز الطازج يقدم للجنود بعد ثلاثة أيام من الهبوط. خشينا أن يكون هناك نقص في الماء، ولكن سريعا ما سوينا الأمر. وبالاضافة الى منابع الجداول والآبار التي كان عددها كبيرا جدا، ولم يعد الحصول على الماء يتطلب الا بعض الخطوات للوصول الى المياه الصالحة للشرب. كانت الحالة الصحية للجيش مرضية، كما كانت الحرارة معتدلة. وكانت الليالي باردة وقد احتجنا الى التدفئة، ولم ينقصنا الخشب من أجل اشعال النيران في المعسكر. كما كانت الأرض على بعد عدة أميال من سيدي فرج مغطاة بالأشجار المتشابكة والأيكة (نباتات تعيش في البيئات الشاطئية المالحة).

كان القائد العام يهدف الى انهاء انزال المعدات قبل التقدم الى الأمام. كان من الواجب أيضا انشاء طريق: تم انشاءها حتى مكان تواجد الجنرال بارتزان والجنرال لوفاردو، وكان من الضروري اكمالها (اكمال انشاء الطريق) تدريجيا حتى تقدم الجيش نحو الجزائر العاصمة.

لم يستطع العدو تفسير أسباب هدوئنا الواضح وتخوفنا من أن يعتقد بأنه يؤثر فينا. لقد تلقى بعض التعزيزات خصوصا فيما يخص المشاة، ومن الواضح أنه ينشأ بطاريات في وسط الموضع الذي يتواجد فيه، فقد وصل جزء من المليشيات التركية التي قادها الآغا الى الجزائر العاصمة،

رئيس الجيش المسلم، وكان من الصعب تقدير قوتها (القوات العسكرية أو المليشيات) ولو بالتقريب، وذلك بسبب الفوضى التي سادت في هذه المجموعة. ومع ذلك، وان كان من الضروري وضع رقم لعدد جنودها، فهو يفوق 20،000 رجل، وهو عدد الأعداء الذين سنقاتلهم في المعركة التي سأذكرها فيما بعد.

كان الأغا ذو جهل طفولي، فبعد أن وزع الخراطيش (الرصاصات) على الجنود، وقال لأحد الأشخاص بأن هذا العدد الذي قدم من الرصاصات قليل، وهناك المزيد من أجل تدمير الجيش الفرنسي، وكان يحسب عدد الرجال المقتولين أو المجروحين بالمقارنة بعدد العيارات النارية للبندقية.

في سهرة 18 من نفس الشهر، تسلل بعض العرب من الجنرال برتران سرا، وحذروه من الهجوم عليه في اليوم الموالي، وكان أحدهم أحمد بن كنعان (شنعان) من قبيلة بني جياد، وقال ان قبيلته في استعداد تام لمساندة الفرنسيين، وأضاف بأنه يسعى لضمان سلامة نسائه وأطفاله، ليكون بعد ذلك الى جانبنا مع كل قبيلته. كان هذا الوعد دون أي تأثير، ولكن اشعار الهجوم كان صحيحا.

في فجر 19 من نفس الشهر هوجم خطنا الدفاعي بأكمله. توجهت جهود العدو الى اليسار خصوصا، في النقطة التي يشغلها الخط 37. بدأ قتال الأتراك والتقدم بجرأة واندفاع، لتتغلغل حتى في الخنادق الصغيرة التي رفعتها الفرق من أجل البقاء بعيدا عن نيران العدو، ولكنهم فقدوا

الكثير من الأشخاص فورا. كان أحدهم مما لاحظ الجنود جسارته مصابا وغير قادر على متابعة رفقائه في حركتهم الى الخلف، وقام بطعن نفسه لكي لا يقع على قيد الحياة بين أيدينا.

كانت المعركة حادة جدا في الموقع الذي كانت فيه فرقة كلوي، وتمت تسوية الخط 28 على الفور، بعد أن اصيب قائدها العقيد مونيي. جاءت فرقة كولومب دارسين لنجدة فرقة كلوبي، حيث دفعت الافارقة قليلا الى الوراء بعيدا عن المقع الذي شغلوه سابقا. قام مركبين كانا على بعد مسافة قصيرة من الساحل بأذية العدو بشكل كبير.

كان القتال في الوسط أقل تهورا (خطورة)، حيث قامت فرقة مونك دوزي وفرقة دامريمونت بابعاد العدو الى الخلف بكل سهولة في الجداول التي كانت تتدفق أمامهم، والتي عبروها للقدوم اليها، ونفس الشيء حدث كذلك في الضفة اليسرى من الجدول.

العدو، الذي صد من جميع الجهات، انزاح قليلا الى الخلف بالمقارنةمع موقعه السابق، ويتواصل اطلاق النار من قبل المحاربين لساعات كثيرة دون انقطاع. لم يصدر جنرالاتنا أوامر للتقدم نحو الأمام، فالسيد دو بورمونت، وكما قلنا في السابق، لم يكن يريد أن يقوم بهذه الخطوة والقدوم الى الجزائر العاصمة قبل أن يصطحب كل معدات المقر، التي لم يتم تنزيلها كليا. ولم تكن الخيول المجموعة قد وصلت بعد. فالقافلة التي كانت تحملها لم تغادر بالما الا بعد الجيش، ولا نعرف أي جديد عنها، ولهذا لم

يكن ضروريا التقدم الى الأمام، حيث لن تكون النتيجة الا الابتعاد عن مخازننا، ولن تكون محاولة استغلال المكان ناجحة في الظروف التي نحن فيها. لكن كل حسابات الحذر كان تحتاج الى أشياء أكثر الحاحا. كانت نيران العدو موجهة الينا بشكل جيد وقد أصابت الكثير من فرقنا. الأفارقة كانوا يرون أنه بعد صد هجومهم دخلنا في جمود واضح، وهذا مابث فيهم الشجاعة، ولم يتوقفوا عن مضايقتنا بقوات جديدة بدلا من القوات التي تعبت من القتال. بدأ جنودنا في الدندنة من وقع الجمود الذي لحق بهم، وتراجع وضعياتهم وقد أصبحت كل لحظة أكثر فتكامن الأخرى، وكانوا متخوفين من الشعور بفقدان الشجاعة التي يفرضها الانضباط. هذا ما فهمه الجنرالات فبعثوا الى القائد العام طالبين منه القدوم الى ساحة المعركة، ليحكم بنفسه على الحالة الحقيقية للأمور.

كان السيد دو بورمونت في توري شيكا، أين أنشأ مقره العام، والذي من خلاله يمكنه أن يراقب تحركات الجيش. اطلاق النار الذي كان يسمعه منذ الصباح، والذي زاد قليلا عن المعتاد، لم يفاجئه، وعزز قوة المحاربين بمجموعات من القناصة الذين كان يرسلهم يوميا الى القاعدة الأمامية. بمجرد تلقيه الاشعار الذي مرره له جنرات القسمين الأولين، صعد على الحصان وذهب اليهم، ورأى أن الأشياء أكثر جدية مما كان يعتقد، وبعد لحظة من التردد، أعطى الأوامر السير الى العدو، من خلال تشكيل أفواج من الصفوف المغلقة.

كان من المفترض أن تبدأ الحركة من اليمين، لكن السيد لوفاردو تأخر في تنفيذ الأوامر التي أعطيت له، فكانت فرقة بوري دو مورفون هي التي تحركت أولا: لقد شغلت يمين القسم الأول. كما كانت فرق دامريمونت ومونك دوزي من قسم لوفادو على يمينه أيضا، كما ذكرنا سابقا، وبقيت في آخر الصف قليلا، أين كان من المفروض أن تكون في الحركة الهجومية. وكانت النتيجة أن كل المستويات، التي كان من المفترض أن تتشكل على اليمين، تشكلت في الوسط.

لم يصمد العدو أمام هجومنا لحظة واحدة، واختفى في غمضة عين. ترك العدو بطارياته كما في يوم 14 جوان، ودخلنا دون وجود أي مقاومة. بما أننا هاجمنا من الوسط، عكس ما كان يصبو اليه السيد بورمونت، فقد اختفى الأفارقة في كل الاتجاهات. ولو التحق السيد لوفاردو بالحركة بسرعة التي طلبت منه، لكان يسار العدو مغلقا في الوسط، الذي هوجم من طرف المستويات اللاحقة، ليدفع بعد ذلك الى اليمين. وكان بإمكان مثل هذه الحركة أن تدفع المسلمين الى البحر، وبهذه الوضعية كان بإمكاننا اقتراف مجزرة كبيرة جدا.

اتبعنا الفارين الى غاية سطاوالي، أين أنشأوا المخيم الذي وجدناه مهجورا. كانت الخيام الخاصة بالقادة رائعة خاصة تلك الخاصة بالآغا: كان طولها يفوق 6 أقدام، وكانت مقسمة الى عدة أجزاء، بحيث كان الجزء الداخلي مزينا بأجمل الستائر والسجادات. لم يكن للعدو الوقت لازالة أي

شيء، وقد وجد مبلغا ماليا معتبرا في احدى خيمة الضابط المكلف بدفع أجور المليشيات التركية.

كانت نتيجة معركة سطاوالي: ثلاثة الى أربعة آلاف افريقي مقتول أو مجروح (مصاب)، خمسة مدافع وأربعة وأخذ أربعة فلاالف الهاون، والكثير من الماشية بما يعادل سبعين أو ثمانين ابلا تقاسمتها الأفواج من أجل حمل الأمتعة. كان لدينا القليل فقط من السجناء ومعظمهم كان مصابا. ومن جهتنا، لم نخسر الا ستمائة رجل بما فيهم القتلى والجرحى.

قام العدو بعناية كبيرة برفع جرحاه وحتى القتلى: كانوا يربطونهم من الأرجل ويجرونهم بأحصنتهم بسرعة كبيرة، خارج ساحة المعركة. كما تواجد في الجيش أيضا العديد من الجثث التي خلفتها المعركة. البشرة السوداء والمحروقة للعرب، والتي أزيلت على شكل شرائط طويلة، جعلتنا نرى تحت الجلد بشرة بيضاء ودامية (مليئة بالدم)، حيث بدت البشرة الأولى كمجرد رداء يغطي الثانية.

استقرت الدفعتين (القسمين) المنتصرتين في اسطاوالي، في المخيم الذي طردوا منه العدو، على بعد ميل من وضعهم السابق. عاد جيش آغا الى الجزائر العاصمة مليئا بالذعر. وصل بعض المنشقين في اليوم الموالي، ليأكدوا لنا بأنه اذا تقدمنا من الهاربين، سيظل الخوف يرافقنا ونحن داخلين الى المدينة دون أي مقاومة: يمكن أن تجري الأمور كما في الماضي، ولكن بوجود الشكوك، كان من المعقول أن نحيد عن المسار الذي اعتمدناه في

البداية، من أجل عدم تقديم فرصة لمصادفة سعيدة لتكون نجاحا مضمونا.

بعد هزيمة جيش ابراهيم الأغا، وفقدانه الكامل للزعامة، لم يستطع أن يحرك سيئا أمام الحظ السيء الذي يرافقه. لم يتجرأ على الوقوف أمام نسيبه (والد زوجته)، ففر واختفى في احدى منازله في الريف، مثل الطفل الخجول الذي يخشى التوبيخ على أعماله، وخلال عدة أيام اختفى عن الانظار دون أن يعرف عنه شيء. استدعى الداي، الذي لا يجرأ أحد على اعطائه التعليمات، حمدان بن عثمان خوجة الذي يثق فيه كل الثقة، وقد ساعده على معرفة الحقيقة والسلوك المخجل لزوج ابنته. لم يرد حسين الذي كان لطيفا ويحب الخير أن يهين هذا المسكين، وقام بتكليف حمدان بتشجيعه على تولي قيادة الجيش من جديد. ولكن كان من الصعب كثيرا أن يقوم هذا المغاربي من اخراج الدولة من الغيبوبة التي تغرق فيها، وكان عليه جمع بعض الجنود الذين تراجعت روحهم المعنوية أكثر منه.

الاهتمام الأول للسيد بورمونت، بعد النصر الذي حقق في سطاوالي، كان مواصلة الطريق الذي بدأها، وانتهى هذا العمل بسرعة. تم تطويق معسكر سيدي فرج في 24 جوان. قلنا بأنه كان يتألف من خط (طريق) محصن يمتد من مكلأ الى آخر (مكان رسو السفن)، وكان يفصل الصخرة الشاطئية للقارة. كان هذا المكان الخاص بالسلاح يتكون من 25 قطعة مدفع مركبة على العربات البحرية، وكان هذ النوع من السلاح رائعا لتحدي كل قوات مجلس الوصاية في وقت الحاجة الى ذلك. وعلى الطريق تم تشكيل حصون مسلحة بواسطة

قطع الأسلحة التي تم انتزاعها من العدو، من مسافة الى أخرى من أجل ضمان الاتصالات فيما بينها.

لم يكن للقسم الثالث (الدفعة أو الفيلق الثالث) أي دور في قضية سطاوالي، ما عدا الفرقة الأولى التابعة له، والتي كانت تخيم (تقيم) خارج التطويق (الحصن) الخاص بالمعسكر، والتي كانت تسير تحت أجنحة الأقسام التي شاركت في هذه العملية (القسم الأول والثاني من الجيش)، بما فيها فوج السير الثاني على اليمين، والخط 35 على اليسار. شغل هاذان الفوجان بعد هذه المعركة أماكن تخلت عنها فرقنا العسكرية بعد حركتها الهجومية. كلف الفوج الثاني للسير أساسا بمراقبة مخرج وادي مزفران. كنا نخشى ان نشهد وصول فرق عسكرية افترضنا أن يرسلها باي وهران، والتي اعتقدت نقاط المراقبة البحرية أنها رأتها من بعيد.

بقيت القسم الأول والثاني من الجيش في سطاوالي حتى 24 جوان. لم تكن هذه المنطقة مدينة ولا قرية أيضا، وانما هو مجرد موقع استغله العرب للتخييم. يحتوي هذا الموقع على أماكن ظل وبعض الينابيع التي تعطي مياها معتدلة جدا، فيها كانت الأرض مستوية وخصبة ومزروعة.

لم تكن قواتنا قلقة إلا بعض الشيء خلال اقامتها بسطاوالي. وبالرغم من كون هذا المكان شبيها ب"كابو" (مدينة قديمة في ايطاليا الجنوبية)، الا أن ضعف جنيرالاتنا ولد (نتج عنه) عدم الانضباط. كانت طريق سيدي فرج مغطاة يوميا بالجنود الذين يذهبون بمفردهم الى هذا المخيم المحصن، الذي كان يدعى المدينة[1]، والذي يصبح في معظم الأحيان في حالة ثمالة تامة.

(1) أراد بعض ضباط الأركان أن يسموا هذا المخيم بورمونفيل، لكن الجيش لم تثبت هذه التسمية التي اختيرت من أجل الأطراء.

(مليئا بالفوضى) كان على العميد قمع هذه الفوضى والاضطرابات، بما أن قادة الفرق لم يستطيعوا منعها، ويمكن أن تكون لها عواقب وخيمة. ولكن سرعان ما وجد الجيش نفسه في وضع أعلم فيه الجندي أتباعه بعدم التسكع.

بدا أن العرب، الذين كانوا مذهولين من أحداث يوم 19، أنهم تخلوا لبضعة أيام عن هذا الجزء، وقد توصل مترجمنا السيد أياس الى الدخول في محادثات معهم. ذهب الى أحد دواويرهم (القرية)، وعاد سالما معافى يحمل وعودا بالاستسلام والخضوع، وفي الحقيقة مازال تحقيق هذه الوعود بعيدا. رافق كاتب الممون العام السيد أياس في هذه الرحلة التي لا تخلو من الخطر. واشترى هاذان العميلان بعض الثيران للعرب الذين يتوجهون اليهم، وتم الاتفاق على أخذ التدابير من أجل مؤن معتبرة جدا. تأكد العرب من أن هذه الحرب أنهكتهم، وأنهم في استعداد تام لتزويد أسواقنا، شريطة أن نعدهم (نضمن لهم) بالعدالة والحماية. يجب أن نفكر بأن السيد أياس ومرافقه لم يهملا أي شيء من أجل جعلهم يفهمون أنهم سيجدون كل ما يريدونه لدى الفرنسيين.

كان السيد بورمونت راضيا عن النتيجة (المقابل) من هذا التفاوض الصغير، وسارع للاعلان للجيش بأنهم لا يوجد أعداء في مجلس الوصاية (المنطقة) غير الأتراك. وأمر الجنود باستخدام كل الطرق الكبيرة وخصوصا الاستقامة الدقيقة في كل العلاقات مع الأهالي (السكان الأصليين) الذين يندفعون (يلجأون) الينا كمحررين لهم. جاء الهجوم العام صبيحة 24 بعد

انكار رسمي لأوامر السيد بورمونت. كانت الدفعتين الأولى والثانية من الجيش تقيم بسطاوالي، وانتشرت بعض القوات في الطريق التي أنشأت مؤخرا، بين هذه المنطقة (النقطة) والمكان الأول الذي شغلته فرقة الدفعة الثالثة. أما الفرقتين المتبقيتين من دفعة ايسكار فقد بقيت في سيدي فرج.

بعد استئناف الآغا ابراهيم، فخورا بالمحيطن به أكثر من نفسه، قيادة الجيش المسلم وقام بجمع بعض العرب الى صفوفه، وفي صبيحة 24 جوان قام بمهاجمة خطوطنا. ذهب الجنرال العام للجيش الفرنسين والذي كان مقره دائما بسيدي فرج، الى سطاوالي باكرا، واتخذ على الفور قرار الهجوم. تحركت الدفعة الأولى (القسم الأول) وفرقة دامريمونت من الدفعة الثانية، الى جانب سربين (سريتين من الخيالة) من "صيادي افريقيا".

لم يتوقف العدو للحظة ، وراوغ من أجل عبور منطقة السهل المتواجدة قبل سطاوالي، ولم يتوقف الا على مرتفعات التي يصل علوها الى ميل واحد، والتي تربط جبل (قمة) بوزريعة مع تلال الجزائر العاصمة.

تم مسح هذه المنطقة التي تعلو هضبة واسعة جدا، ليستقر الجيش على منحدرات بوزريعة، على بعد ميل من الجزائر العاصمة. توقفنا عن متابعتهم ، وتوقفت قواتنا المنتصرة في نهاية الهضبة. كان هناك واد واسع بعض الشيء، يتدفق منه جدول صغير، ليفصلنا منطقة تواجدنا عن المنطقة التي يسيطر عليها العدو كليا.

في اللحظة التي هرعت فيه قواتنا الى الأمام، كانت قوات كبيرة أخرى من العرب تتمركز على بعد مسافة قليلة منا، على بعض الربى (جمع ربوة أي المكان المرتفع من الأرض) في أقصى اليسار من خط العدو، وهي نازلة في السهل متجهة الى معسكرنا الذي اعتقدوا أنه كان مهجورا. وتوقفوا بعد رؤية فرق الدفعة الثانية التي بقيت هناك، وفي طريق العودة، انقضوا على الجنود المتواجدين في الجزء الخلفي من الدفعة الأولى، وقتلوا بعض الرجال العزل.

حملت معركة يوم 24 اسم معركة سيدي خالف، وهو اسم قرية موجودة في الهضبة التي تحدثنا عنها. خسرنا مجموعة صغيرة من الجنود فقط. لم يكن لدى العدو مدفعية، ولم يكن لدينا الا أربعة قطع في الطريق. أصيب أحد أبناء السيد بورمونت بجروح في هذه العملية. هذا الشاب كان متميزا بصفاته الرائعة. كل الجيش يشيد بالطريقة النبيلة والمؤثرة التي تحدث فيها السيد بورمونت في تقرير رسمي عن هذه الحادثة وعن موت ابنه الذي توفي متأثرا بجروحه بعد عدة أيام من اصابته.

المكان الذي توقفت فيه الفرق التي قاتلت في سيدي خالف لم يكن ملائما أبدا. فقد كان تحت سيطرة العدو. لا تزال نفس الأسباب التي أوقفتنا بعد انتصار يوم 19 موجودة، ولم يكن علينا الا البقاء في هذا المكان لبضعة ايام أخرى، لأنه بتقدمنا بعيدا سيجدوننا دون أي مدفعية ثقيلة، تحت تهديد مدافع الجزائر العاصمة، أو على الأقل تحت التأثير الذي يمكن للأتراك رفعه في هذه المدينة. لحسن الحظ، لاحظنا يوم معركة سيدي خالف القافلة التي طال انتظارها. في

اليوم الموالي، 25 جوان، رست القافلة في الميناء وبدأ الهبوط على الفور.

امتدت الطريق التي أنشأتها فرقة الهندسة من سطاوالي الى المكان الجديد الذي نتواجد فيه والذي أطلق عليه اسم "فونتان شابيل" بمعنى ينبوع القبة، بسبب الينبوع والمرابط سيدي عبد الرحمان بونيغا. تلقت الدفعة الثالثة التي لم تحارب بعد أوامرا بالتقدم الى الخط الأول. كان من العدل اعطاء الدوق أيسكار، الذي كان يقودها والذي لم يسبق له أن شارك في حرب[1]، فرصة من أجل ابراز قدراته وتحقيق أهدافه: في اليوم 25 قبل شارق الشمس، تحركت فرقة بارتيي دو سوفيني، ووجدت في عين المكان بحلول الساعة الثامنة صباحا، ولم تصل فرقة هورال الا بعد الساعة الحادية عشر مساء. أما فرقة مونتليغول فقد استقرت على الطريق ما بين سطاوالي وموقعنا الجديد: تم تعويضها بفرقة مونك دوزي من الدفعة الثانية بسيدي فرج. عادت فرقة دامريمون الى سطاوالي، وقد هوجمت في الطريق من طرف فرقة من الفرسان العرب، والتي تخلصت منها (تغلبت عليها) بسهولة. أنشأنا حصونا جديدة على خط التواصل الخاص بنا، وكان مجموعها 8 حصون انطلاقا من سيدي فرج الى غاية الجزائر العاصمة. تم تأسيس معسكر آخر بين الأول والثاني بمسافات متباعدة عن بعضها البعض. الحصن الذي أنشأ في سطاوالي كان مرتبطا بمعسكر محصن وهو يحل محل القلعة.

تمت هذه العملية التي ذكرناها بوجود بعض الاضطرابات والفوضى. أطلق الفوجان اللذان تقابلا في الظلام النار على بعضهما البعض، وقتل الكثير من الجنود.

---

(1) كان في الأخير رجلا مشرفا ومواضبا ومستنيرا، وكان يسعى ليبرز ما يحمله بداخله من صفات نبيلة شخصية.

ونتيجة لكل هذه الأحداث، تواجدت الدفعة الثالثة على يسار الأولى في قمة الضفة اليمنى من وادي سيدي عبد الرحمان بو نيغا. كانت الترتيبات التي اتخذت من أجل الحفاظ على هذه الوضعية حتى وصول عتاد القرمجة قاسية (جائرة)، خصوصا في الجهة اليسرى. ومن أجل ابقاء البرابرة بعيدين عنا، أرسلنا المحاريين الذين قاموا بعبور الوادي والاستقرار على الجانب الآخر، وبالتالي على الجانب أسفل المياه. كان من الملائم أكثر استقرار هؤلاء المحاريين في الجزء العلوي للمنحدر الذي نشغله (نحتله)، ونقل معظم الفرق الى وسط الهضبة، بعيدا عن وقع مدافع العدو: بهذه الطريقة يكون العدو مرغما على الكشف عن محاربيه وبذلك سيكون محاربونا في وضع أكثر ملاءمة.

بعد النجاح السيء لمعركة سيدي خالف، اقتنع الداي بفشل وعجز نسيبه (زوج ابنته)، وخلعه من منصبه ليحل مكانه باي التيطري مصطفى بومرزاق. هذا الجنرال الجديد كان أكثر ذكاء من ابراهيم آغا، ولكنه لم يكن أكثر كفاءة في الحرب. كان الداي يسعى أيضا الى ايقاظ التعصب الديني في شعبه. وأتى الداي بشيخ الاسلام وأعطاه سيفا، ثم كلفه بدعوة كل المؤمنين من أجل الدفاع عن الدين. لكن هذا المفتي الموقر، الذي كان محرجا كثيرا من السلاح الذي وضع بين يديه، اكتفى بالشكليات من خلال دعوة بعض الشخصيات المهمة للمجيء اليه من أجل ايجاد وسائل للدفاع عن الدين، ولكن لا أحد تقريبا استجاب لندائه (دعوته).

بقيت الدفعة الأولى والثالثة في موقع سيدي عبد الرحمن بونيغا أيام 25

و26 و27 و28 جوان. كانت هذه الأيام الاربعة عبارة عن معركة مستمرة للمحاريين، الذين بدأوا القتال من مطلع الشمس الى مغربها. أما الفرق التي وزعناها على شكل محاريين فيتم تبديلها كل ثلاث أو أربع ساعات.

وبما أنها تنتمي الى الأفواج المختلفة للدفعة، وفي نفس الفوج نجد كتائب وكان الضباط السامون في حركات وحدة العمليات المناسبة، يعتمدون مختلفة، على بعضهم البعض كثيرا باهتمام عام. لم يكن الانضباط قائما بين الضباط الا في اليوم الأخير.

تأثر لواء فرقة بارتيي دو سوفيني من ضربات العدو. كان الأفارقة يختبؤون في الغابات الصغيرة لسيدي عبدر الرحان بونيغا، الموجودة أمامه، وبدأوا يقلقونه (يزعجونه) بنيران الفرسان، عندما طردهم الملازم العقيد باراغوياي ديلي من المشاة 2 من هذا الموقع، الذي احتلته فرقتنا بعد ذلك.

كان الافارقة في كل معارك المحاريين متميزين بوضعيتهم المهيمنة وبأرضية ممتلأة عن آخرها (بالجنود)، ومع ذلك فقد قتل منهم الكثير. كان لدى الأتراك عرف وضع (زرع) علم أمام المنطقة التي يجب أ يشغلها محاربوه. ويكون هذا العلم السبب في موت العديد من الشجعان الذين يحاولون نزعه، ومن بينهم الضابط الشاب من المشاة 9 والذي يحمل اسم ليونيد دو موروغ، الذي كان معروفا ببسالته وشجاعته.

في 27 من جوان، أصيب بورن قائد الكتيبة ومساعد معسكر الدوق ايسكار، في كتفه بعيار ناري أفقده حياته بعد ساعات قليلة من الاصابة. دفع الحماس

بمجموعتين من النخبة من الخط 35 الى الصعود القمة في المنطقة العليا التي يشغلها العدو وهناك قتلوا وقضوا على كل شيء وجد في طريقهما، لكنهما فقدتا الكثير من الجنود ولم تستطيعا العودة بالجرحى الذين أخذهم الأفارقة على الفور. وفي نفس اليوم، وقع وفد من العدو بشكل غير متوقع على كتيبة المشاة 4، التي تنتمي الى فوج المشاة الأول، وقطع رأس 150 رجلا. هذه الكتيبة التي تعتبر مذنبة بسبب اهمال قائدها، كانت مشغولة بتنظيف أسلحتها وقد كانت بنادقها كلها مفككة، وبهذا لم يبد جنودها أية مقاومة. حاولت الفرق المجاورة لهذه الكتيبة انقاذ الجنود وتمكنت من طرد العدو بسهولة.

أنشأ السيد بولمونت في 24 جوان مقره العام في سطاوالي. وقام في 25 من نفس الشهر بزيارة الخط الأول، ووجد على طول الطريق العديد من الجثث بدون رأس، ممن كانوا ضحايا تهور الجنود وشراسة الأعداء. أعطى السيد بورمونت أوامر لتعجيل بناء الحصون، ونظم خدمة الفرق التي من المفروض أن تشكل الحامية (الموقع العسكري)، بطريقة يتم استبدالها كل ستة ايام. كما اتخذ ترتيبات من أجل ضمان وصول قوافل الغذاء والمؤونة والتي يجب أن تنتقل كل يوم من سيدي فرج الى سطاوالي، ومن هذه الأخيرة الى المواقع التي تتواجدها فيها مل من الدفعة الأولى والدفعة الثالثة. وقام في 26 من نفس الشهر بالكتابة الى القائد العام للدفعة العسكرية الثامنة 8 بمرسيليا من أجل الشروع في ارسال 950 رجلا في أقرب الأجال، ممن ينتمون الى مختلف الأفواج العسكرية لافريقيا، والذين سيجتمعون في المستودع (المخزن) العام

في تولون. كما كانت أيضا مسألة ارسال الفرقة الأولى من الدفعة الاحتياطية التي اجتمعت في ميدي، تحت أوامر الجنرال لاتور فواساك، لكن هذا الترتيب (الاجراء) لم يتم بعد ذلك. عمل القائد العام مع الأميرال دوبيري على انزال 1400 جندي من البحرية، ممن التحقوا بكتيبة الخط 48، والتي كانت موجهة من أجل احتلال (الاستحواذ على) سيدي فرج، وذلك تحت قيادة السيد العقيد ليريدون. وفر هذا الاجراء ثلاثة كتائب من فرقة مونك دوزي. وأخيرا انتهى انزال المعدات، ولا شيء يقف أمام استغلال المكان، الذي كنا على بعد خمسة أرباع الميل منه، وقد تقرر مهاجمة مواقع الأعداء في 28 جوان الى اليوم الموالي 29.

كانت هذه المواقع متمركزة على قمة بوزريعة، الواقعة في الجنوب الغربي للجزائر العاصمة، والتي ترتفع ب 400 متر عن سطح لابحر. منحدرات بوزريعة وعرة، لاسيما في الشمال، وتفصله عن المدينة مجموعة من الوديان العميقة والوعرة. وترتبط هذه الوديان بتلال الجزائر العاصمة، التي تمتد الى الشرق حتى أراتش (الحراش)، وهو عبارة عن نهر صغير يصب في البحر، على بعد ميلين من الجزائر العاصمة. تنفصل هذه التلال عن البحر بسهل عرضه المتوسط 600 متر: تمر عبرها مجموعة من الوديان الكبيرة. على الهضبة التي تعلوها تجمعات المياه، توجد طريق قديمة رومانية جد عملية في ضواحي الجزائر العاصمة، والتي تختفي في سهل سطاوالي. هذا الطريق يمر بالقرب من حصن الامبراطور، الذي بني في الجنوب الشرقي للمدينة، على قمم المرتفعات،

هذا الحصن كان يهيمن على الجزائر العاصمة، ويطل على كل الخليج، لكن كان نفسه تحت سيطرة امتدادات منحدرات جبل بوزريعة.

كانت كل هذا الأرض التي وصفناها مليئة بالحدائق والبساتين وبعدد هائل من المنازل الريفية، والتي كان الكثير منها رائع الجمال، تقطعها حواجز سميكة من الشجيرات. وينضم الى الصعوبات الطبيعية للتربة، الدخول جد الصعب الى المنطقة: كان المنظر بجمال مذهل وبخصوصية ملحوظة.

في مساء اليوم 28، اجتمع كل الجيش الفرنسي في موقع سيدي عبد الرحمان بو نيغا، باستثناء فرقتي مونتليفول ومونك دوزي، المسؤولة عن حراسة المعسكرات والمواقف الوسيطة، مع ترك ثلاثة فرق هندسة في سيدي فرج وسطاوالي: نقلنا الى هذا المعسكر الأخير جزءا من حظائر المشاة والهندسة.

في فجر يوم 29 جوان، انتقل الجيش على شكل أعمدة متماسكة (صفوف)، وكان كل عمود أو صف يتشكل من فوج، أما الدفعات فقد كانت في صفها في المعركة، أي الثانية في الوسط والأولى على اليمين والثالثة على اليسار، وكانت المدفعية تمشي في الفراغات ما بين الصفوف، وقد ارتبطت فرقة هندسة مع كل دفعة (أو قسم)، من أجل فتح الطريق في وقت الحاجة لذلك.

عبر الجيش الوادي الذي كان يفصلنا عن العدو في صمت، من خلال صعوده الى المرتفعات المعاكسة، لينقض بعد ذلك على البرابرة الذين تفاجؤا بهذا الهجوم المفاجئ، ولم يكن لديهم الوقت لاستيعاب ذلك وفروا بسرعة. ومع ذلك، جعلهم الذعر الذي كانوا عليه يقفون بعيدا قليلا، وبدأوا في اطلاق

النار قوي جدا على جنود الدفعة 3، و اسكات نيران مدفعيتنا كان قريبا: خسر الأتراك أسلحتهم كما جرت العادة، وانسحبوا تحت وقع نيران مدافع المكان. شغلت الدفعة 3 منحدرات جبل أو مرتفع بوزريعة المقابلة للمدينة، وعبرت العديد من الوديان التي دافعت عنها أسوأ الفرق العسكرية الأوروبية بتميز ضد أحسن الفرق. ما كان على دفعة بارتزان على اليمين الا الكفاح ضد الصعوبات الطبيعية للأرض: ولكنها كانت تضغط على اليسار، مرورا على لاجزء الخلفي للدفعة 2 وصولا الى منحدرات (سفوح) بوزريعة، باتباع الدفعة 3. انتقل السيد بورمونت شخصيا الى قمة هذا الجبل، الى موقف فيجي: شغل هذا الموقع الخط 14 من دفعة أو قسم بارتزان، والتي أصبحت مع الحركة في الجزء الخلفي لدفعة ايسكار.

دفعة لوفاردو كان عليها عبور الأرض الأقل صعوبة، وسلكت الطريق الروماني الذي يوجد، كما قلنا، في تجمعات المياه لهذه المنطقة المتعددة الوديان، والتي مرت عبرها الدفعات الأخرى. لكن هذه المجموعة كانت تمشي ببطء: وقف الأتراك الذين كانوا متواجدين في الجهة المقابلة، بسبب هذا البطء، في وجه الجناح الأيمن للدفعة 3 التي كانت على يسار الثانية. وكان السيد ايسكار مرغما على ارسال محاربين من دفعته الخاصة ضد هؤلاء، والدفاع عن دفعة عن زميله. بعد فترة وجيزة أعيد طلب هؤلاء المحاربين، لأن فرقة برتي، التي ينتمون اليها، كانت تقوم بعملية على اليسار من أجل الاقتراب من فرقة أورال التي فرقتها الأرض الوعرة. قام الجنرال لوفاردو

بعملية تراجع لم يستطع أحد أن يفسرها في تلك اللحظة، ولكن كان ذلك نتيجة سوء فهم، حيث اعتقد أنه لم يكن في الطريق الصحيح. قام القائد العام، الذي يخطط شيئا في هذه العملية الرجعية، بارسال أمرا الى السيد لوفاردو باستئناف الهجوم، لكن كان من الصعب ايجاده في الوديان التي تاهت فيها دفعته، بعد مغادرته الطريق أو المسلك الروماني.

ومع ذلك، فان القائد العام قال بأنه لا لزوم لتواجد دفعتين في نفس النقطة، أمر الأولى بالبقاء على منحدرات بوزريعة، أما الثالثة فأمرها بالبقاء على يمين المسلك الروماني. عادت الدفعة الثالثة الى الطريق الذي سلكه فرقة بارتيي، ومن أجل اختصار الطريق قررت قطع الوديان الأكثر عمقا والأصعب في المنطقة.

لكنها نجحت بعد تعب شديد، في الوصول الى المنطقة المعنية، ووقفت أما القنصلية الهولندية والاسبانية. كانت هذه الفرقة غير منظمة تماما لبضع اللحظات، واختلت المجموعات والكتائب والأفواج، وتطلب تسوية هذه الفوضى ساعات كثيرة.

وأخيرا، تم ايجاد الدفعة 2 التي كانت تعمها الفوضى أيضا، واستقرت على يسار المسلك الروماني، بين الدفعة الأولى والثالثة.

بعد انقضاء جزء كبير من النهار، عاد الأتراك الى المكان تحت تهديد البنادق، أما العرب فقد نزلوا الى السهل المجاور للبحر. كان تطويق الجزائر العاصمة هدفا بعيدا: احتللنا المرتفعات، لكن سواحل الشاطئ بقيت حرة،

والأتراك يصلون بسهولة الى سهل متيجة.

الفوضى والارتباك الذي ساد في جميع عمليات وتحركات الجيش الفرنسي في يوم 29، لم يكرم كثيرا الرجل الذي كلف بتسوية التفاصيل، أي قائد الأركان العام: لو تعاملنا مع رجل أكثر كفاءة من مصطفى بومزراق لكانت العواقب وخيمة بدون أدنى شك. يجب ان ينتقد السيد بورمونت لأنه كان عليه توفير القيادة لقائد أركانه[1]. يمكن أن نقول أنه أظهر الكثير من الضعف اتجاه الملازمين العامين، الذين تناسوا واجباته حتى أصبحا منهما بالعصيان الرسمي للأوامر التي أعطيت له. فرض الطاعة كان من بين مميزات الجنرال. وقد أثبت الامبراطور نابليون ذلك، بقيامه بأشياء كبيرة مع رجال فاشلين فشلا مذهلا.

بقيت فرقة بوري دو مورفون في الوضعية القديمة، من اجل الحفاظ على حظيرة مستشفى الميدان، فقد هاجمها العرب لكنهم لم ينجحوا في ذلك. في هذا الالتزام، تمكن جندي من الخط 3 ويدعى سوفادو، وبعد معجزات حققها بشجاعته، من انتزاع نقيبه السيد غالوا من العرب بعد اصابته الخطرة. لا أعرف ان كان هذا الشجاع قد تحصل على مكافاة على سلوكه النبيل. من بين كل اجراءات الحرب، تعتبر تلك التي تهدف الى انقاذ واحد منا أكثر جدارة، ولمثل هذا العمل واللقب يضع الرومان تاجا مدنيا يعلو كل الأشياء الأخرى.

فقدنا قلة قليلة من الأشخاص في يوم 29. سقطت من قوتنا خمس قطع من المدفع، كما تم اطلاق سراح بعض السجناء. واجهت المنازل الريفية التي

---

(1) كان الجنرال ديسبريز رجلا مثقفا ومتعلما في العديد من مجالات العلوم الدقيقة والطبيعية، كما كان يتميز بموهبته ككاتب، لكنه كان قائد أركان سيء للغاية.

وجدناها مهجورة النهب والتدمير الشامل، كما عانت تلك المنازل الخاصة بالقناصل الأوروبيين، والتي لا يعرف الجنود أجنحتها من نفس المصير. وجد بعض الجنود مختبئين داخل المنازل وداخل التحوطات، وتم قتلهم وقتل امرأتان أو ثلاث نساء عن غير قصد، كما تعرض البعض منهن للاغتصاب أيضا، ولكن هذا ما كان من التوابع المحزنة لأي حرب، حتى أكثر هذه الحروب عدلا.

في نفس اليوم الذي وصلنا فيها الى الجزائر العاصمة، عرف القائد العام والجنرال فالازي نهج قصر الامبراطور، والتي كان يجب ازالتها قبل النظر والتفكير في مهاجمة قوة هذه المنطقة. تعود تسمية هذا القصر الذي عرفنا وضعه الى الامبراطور شارل كينت، والذي أنشأ خلال رحلته ضد الجزائر مقره العام في هذا المكان الذي بني فيه. كان هذا الخيار نفسه الذي قام به شارل كينت من هذا المكان، وهو ما فتح عيون الأتراك على أهميته. كانت هذه النقطة (المنطقة) معروفة باسم سيدي يعقوب؛ والأتراك يسمونها الآن سلطان كالاسي.

كان حصن الامبراطور أو سلطان كالاسي عليبعد 800 متر من المدينة: هو عبارة عن مربع ممتد من الجنوب الى الشمال قليلا، وهو عبارة عن مبنى كغيره من التحصينات الخاصة بالجزائر العاصمة، بجدران محاطة بنتوءات تشكل الحصن. أما الجانب الجنوبي فيحتوي على جدار مزدوج. والى جانب ذلك، نشير الى : في المنطقة الداخلية يوجد برج كبير جدا ومستدير، وهكذا كان يبدو حصن الامبراطور.

تشكل الجزائر العاصمة التي بنيت على مدرج على منحدر من هضبة مرتفعة مثلثا يرتكز أحد جوانبه على البحر. المدينة محاطة بالبحر في القديم، ومجموعة

من الأسوار والأبراج، بشكل هندسي غير منتظم، وبناء بارتفاع ب25 قدما في المدى المتوسط، وعرض يتراوح ما بين 7 و8، ويسبق هذا الجدار وجود خندق؛ في قمة المثلث توجد القلعة أو القصبة، والتي تشكل مثلثا أيضا والذي يعتبر جانبين منه امتدادا للجدار المزدوج، أما الجانبه الثالث فيفصل القصبة عن المدينة. كانت للجزائر العاصمة ثلاثة أبواب تقود الى الريف: في الجنوب يوجد باب جديد في أعلى المدينة، وباب عزون في الجزء السفلي للمدينة، أما في الشمال فنجد باب الواد، ونفس الشيء في الجزء السفلي. ومن باب جديد الى باب عزون، يسبق السور أو الحصن جدار صغير، كما يوجد مثل هذا الجدار في ضواحي باب الواد.

على حافة البحر، وعلى بعد 900 متر من باب عزون، يتواجد الحصن الذي يحمل نفس الاسم، يغطي الحصن الجديد باب الواد. وعلى بعد مئتي الى 300 متر من هذا الأخير يوجد حصن أربعة وعشرين ساعة، وعلى بعد 1500 متر من ذلك نجد حصن الانجليز. كل هذه الحصون كانت مليئة بالمدافع: كان البرابرة يعتقدون بأنه مكان أو موقف منيع، عندما كانوا يكدسون البنادق بدون اختيار وبشكل عشوائي.

أقوى جانب في الجزائر العاصمة كان الجانب القريب من البحر. النقاط الرئيسية التي كانت تحمي المدخل ومناطق الميناء كانت مبنية على هذه الصخرة التي تحدثنا عنها في الكتاب الأول، والذي جعله خير الدين ملتصقا بالقارة بواسطة رصيف يعتبر عملا دقيقا جدا. يتم دائما تحسين التحصينات البحرية منذ ذلك الحين، وهي عبارة عن مباني من الحجر ذات قوة وصلابة كبيرة،

ومعقدة في تفاصيلها. وفي بعض المناطق يصل نجد حتى أربعة صوفو من البطاريات الواحدة فوق الاخرى. ولكن لنعد الى باقي سردنا التاريخي.

قامت بطارية الحصار من ستة مدافع من 16 بتتبع الجيش في هجومة يوم 29، من أجل محاربة بطاريات الموقف أو المكان الذي يمكن للعدو أن ينبه على حواف الأخاديد. ولكن رأينا أن بصيرته لم تمتد الى هذا الحد. بدأ وصول بقية مدفعية الحصار بشكل متتالي، وموقع الحضيرة تم تحديده خلف القنصلية الهولندية.

أعلن عن نتائج الاعتراف القانوني (الاستطلاع) ابتداء من 29 من طرف الجنرال فاليزي، وهو يعلن عن امكانية انطلاقنا المباشر في أعمال الخندق بالقرب من حصن الامبراطور، وهو ما نطلق في اليوم الموالي، أي في 30 جوان على الساعة الثالثة صباحا، لكن الحرارة المرتفعة والتعب الشديد للقوات العسكرية حال دون اكمال ذلك، ولم يستأنف ذلك الا في الليلة الموالية. أصيب السيد شامبو، قائد كتيبة الهندسة بجروح قاتلة في عملياته الأولى.

كان من المقرر بناء متوازي واحد فقط من أجل ربط البطاريات التي حدد الجنرال لاهيت موقعها، بحيث كانت تجمع في نفس الوقت بين بطاريات رمي الانتظام وبطاريات الخرق. لم يكن حصن الامبراطور يستحق هجوما واسع المعرفة، وقد كنا نسيطر عليه من كل الجوانب. قررنا مهاجمة الجانب الجنوبي والجانب الغربي في نفس الوقت، وخصوصا هذا الأخير، الذي كان يدبو أسهلا من الأول. وبالتالي، تم انشاء بطارية واحدة في مواجهة الجانب الجنوبي، وهي متكومة من ستة مدافع، والتي بنيت على امتداد الجانب الغربي، وقد تعرضت هذه الجهة للقصف من طرف بطاريتين من المدافع، ومدفع هاوتزر، حيث

كانت الأولى ب24 قطعة، وقد تأسيسها على يسار الطريق الروماني، أما الثانية فهي متكونة من ستة قطع من نفس الحجم، على اليمين. بطارية مدافع هاوتزر كانت تضم قطعتين، تم انشاؤها ما بين هذه الأخيرة والطرق الروماني. كما تم انشاء بطارية من أربعة مدافع الهاون من 10 بوصات، على العاصمة من الزاوية الجنوبية الغربية للحصن (القلعة)، ما بين البطاريتين الأولى والثانية اللتان تحدثنا عنهما للتو. كانت كل هذه البطاريات تحمل الأسماء التالية: الاولى كانت تسمى بطارية سانت لويس، والثانية كانت تحمل اسم دوفين، والثالثة كانت تحمل اسم الملك، والرابعة اسم دوق بوردو، أما الخامسة والأخيرة فكانت تحمل اسم بطارية دوكين. كانت هذه البطاريات مغطاة بواسطة تحوطات تغطي مباني العدو.

في صباح الفاتح من جويلية، حاول الأتراك الخروج والتصدي لنا دون جدوى. وبهذاتم تطويقهم في الحدائق والتحوطات أمام ما قمنا به من حصار، وبدأو بالانسحاب. لقد وجهنا لهم أفضل الرماة في جميع الأفواج، ممن كانوا مسلحين ببنادق المتراس. تم ضبط الخندق بطريقة تسمح بنزعه على الساعة السادسة مساء وفي الصباح على الساعة الرابعة والنصف. وصل عدد العمال الى 1600 عامل، ولكن كان هناك الكثير من الفوضى في توزيعهم، وفي بعض الأحيان في وقت وصولهم، وهذا ما تسبب غالبا في خسارة الكثير من الوقت الثمين. كان من الصعب فهم كيفية الخطأ في التفاصيل البسيطة والتنفيذات السهلة، وهذا ما لا يكون نادرا في الحرب.

بدأ الجنرال لاهيت في الأول من جويلية في بناء بطارية جديدة من أربعة مدافع هاوتزر، في حديقة قنصل السويد، على يمين الخندق. وفي نفس اليوم، دخلت

فرقة أو سرية مونتليفول التي كان في الخلف الى الخط، الى جانب ثلاثة كتائب من فرقة مونك دوزي، أما فرقة بوري دو مورفون فقد كانت في سواحل سيدي فرج بالجزائر العاصمة.

في 2 جويلية، تقدمت الأعمال (الحصار) كثيرا وبكل نشاط، ولكن ذلك لم يكن بشكل متساوي في كل مكان، فلم يكن نبش الأرض سهلا بشكل متساوي في كل المناطق. أصيب الرماة على طول الخط باطلاق نار كثيف هذا اليوم واليوم الموالي. هوجمت بطارية سانت لويس من طرف الأتراك، الذين تقدموا الى غاية الكف، وكانت هناك لحظات من التردد من طرف جنودنا، ولكن سرعان ما تدربوا على خطى نقيب المدفعية الكابتن موكار، حيث انقضوا على العدو وصدوه.

على اليمين، جاء البعض من العرب من الخارج لاثارة قلقنا، وقد تم صدهم بعيدا من طرف فرقة المشاة 9، وهنا حدث شيء يستحق أن يذكر: كان أحد العرب مصابا بعيار ناري في حين كان الفرنسيون يتحركون الى الأمام، أتى أحد زملائه لانقاذه وحمله، ولكن وفي نفس اللحظة أصيب هذا الأخير وسقط مع حمولته. ولكن سريعا ما نهض، ولكن بدلا من استغلال بعض القوة المتبقية لديه من أجل انقاذ حياته، راح محاولا انقاذ صديقه الذي كانت اصابته أخطر من الاصابة التي يحملها. وبما أن الفرنسيين لم يكونوا الا على بعد بعض خطوتين من المكان، فقد اختار أن يموت مع صديقه. وصل ضابط بالقرب منهما في نفس الوقت الذي وصل فيه رماتنا، واراد انقاذ أحدهما، لكن ذلك كان بعد فوات الأوان. لم يتح جنودنا أي فرصة للعدو من أجل استغلال المناطق المجاورة، وقد تعلموا منه من خلال الدرس الذي قدمه في السابق.

في 3 جويلية، قدم الاميرال دوبيري أمام الجزائر العاصمة مع جزء من قواته، وقام خلال ساعات عديدة بقصف المدينة والحصون بالمدافع ، ولكن القليل فقط من كرات القذائف كانت تقع على الأرض بسبب تلك المسافة، وهو الشيء نفسه الذي حصل في 1 جويلية. حالة البحر كانت السبب دون شك في منع السيد دوبيري من تدمير عدد أكبر من الحصون (التحصينات) التي كانت يبدو أنها كانت تريد الحرب، وقد أجبره ذلك (حال البحر) على ترك قواتنا البحرية الشجاعة بعيدة عن الموقف (المكان) الذي احتله اللورد اكسموث سنة 1816. ومع ذلك كان هذا العرض التوضيحي يحمل نتيجة تتمثل في مشاركة انتباه العدو قليلا، وتشجيع جنودنا، الذين كانوا يعتقدون أن هذا الضجيج الكبير كان مصحوبا ببعض التأثير (النتائج).

في المساء تم تسليح بطاريات الملك والدلفين (دوفين). بقية البطاريات كان على هذا النحو (مسلحة) منذ الصباح: كانت الأسلحة في حالة جيدة وفي كل مكان، وقد أنشأنا العديد من المعابر القوية حسب الحاجة، كما تم بناء مخازن الذخائر والبارود، وفي الأخير كل شيء كان جاهزا للهجوم ومثبتا من أجل اليوم الموالي. في الليل، لم يكن الأتراك، من حامية حصن الداي الذي أرسل الخزناج، يشكون في قوة القصف الرهيب الذي سيواجهونه بعد ساعات، كما كانوا راضين عن قتلهم للبعض من رجالنا في النهار، وكانوا سعداء بذلك بشكل صاخب وسخيف. وكانوا يصيحون ويقولون بأننا لا نطلق النار لأننا لا نملك مدافع، واذا أردنا ذلك فانهم كانوا على استعداد لارسال العديد من الشتائم التي تصحب السخرية ضد المسيحيين، كما جرت العادة. ومن جهتنا،

لم يصح أحد منا ولم نقل شيئا، ولكن أخذ كل واحد منا مكانه. جمعنا مع كل بطارية سرية مشاة من أجل مساندتها، ووضعنا خلف كل خندق سيريش (فرقتين) من المدفعية للاحتياط، من أجل استبدال جنود المدافع المصابين أو المقتولين. يتكفل الصانع الرئيسي بتحميل القنابل والقذائف، وفي الأخير لا يجب أهمال أي شيء يمكنه أن يساهم في نجاح سريع وحاسم.

في 4 جويلية، على الساعة الرابعة الا الربع صباحا، بدأن كل البطاريات التابعة لجيشنا باطلاق النار في نفس الوقت. الجيش الذي كان ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، كان جاهزا على الفور، مفعما بالأمل والفرح، وحريصا على متابعة التقدم في الهجوم. كانت قذائفنا منذ الوهلة الأولى تصل الى فتحات جدار الحصن وفي الفتحات الوسيطة للجدران والتي بدأت في التحطم تدريجيا. لم يكن اطلاق القنابل والقذائف في بداية الأمر دقيقيا، ولكن بعد بعض المحاولات، تم تصحيح ذلك ولم تخطأ اية قذيفة هدفها بعد ذلك. رد الأتراك بقوة، ليس فقط من حصن الامبراطور ولنها من حصن باب عزون والقصبة أيضا. وخلال أربع ساعات كان الدفاع أقوى من الهجوم، ولكن بعد ثماني ساعات بدأ الدفاع في التباطؤ شيئا فشيئا. وضعت بطارية ذات أربع منافذ للقذائف على تل في خلف بطارية سانت لويس، وقد سببت ضررا كبيرا للعدو، خصوصا داخل الحصن وفي الطرق التي تصله بالقصبة.

ثم على الساعة العاشرة اطفاء نار الحصن ، والتحطيم الكلي لفتحات جدران الحصن، وبذلك لم تعد تأوي أي مدفعية تركية. كان كل قطع المدافع (الأسلحة) مفككة كليا تقريبا، وكان الجزء الداخلي للحصن يشهد فوضى

عارمة بسبب قنابلنا وقذائفنا. أمر الجنرال لاهيت بالتحطيم والهدم، وكانت بعض الانهيارات تشير الى أن المكان سيكون مفتوحا قريبا، عندما حدث انفجار كبير مسحوب بالدخان والغبار، متبوعة بغيمة كثيفة من الغبار وأمطار رهيبة من الرماد وأحجار متطايرة وبقايا لأجسام بشرية هنا وهناك، لتدل على أنه لم يعد لذلك الحصن وجود. شعر الأتراك باليأس من الدفاع لفترة أطول، وبذلك انسحبوا وتركوا القصبة وأضرموا النار في البارود (المسحوق المستعمل في الأسلحة). انقلب حال القلعة الداخلية رأسا على عقب، كما هو الحال بالنسبة الى الجانب الغربي بأكمله تقريبا، والذي كان أقل أو أكثر تضررا، وقد أصبح مجرد كومة من الأنقاض. ومن بعيد ظهرت لنا قطع مدفعية من الطراز الرفيع.

ظل الجو مظلما وعاتما لفترة طويلة، بسبب خصلات الصوف التي تشتت وانفصلت عن حزمها، التي غطى بها الأتراك أرضية بطاريتهم وخزائن أسلحتهم. ورغم العتمة التي تسبب فيها الغبار والدخان، الا أن بطارياتنا واصلت اطلاق النار، ولكن عندما لاحظنا بأن الحصن لا يمكن أن يحوي أي كائن حي، توقفنا عن اطلاق النار. صعدت بعض الفرق على الأنقاض واستولت عليها. ذهب الجنرال لاهيت شخصيا ووضع على الحطام قطعتين من المدافع لاطلاق النار على حصن باب عزون، كما وجه في نفس المنطقة نيران ثلاثة مدافع تركية ادخرها الانفجار (لم يصبها الانفجار). هذه القطع الخمسة كانت كافية من أجل اسكات صوت حصن باب عزون في المناطق الداخلية التي هوت فيها تماما. اختار الجنرال لاهيت يسار الطري الروماني، وهو موقع

لانشار بطاريتين، واحدة خاصة بالمدافع والأخرى خاصة بالبنادق، وهي موجهة لمهاجمة القصبة. وينبغي وضعها على التل المطل على المدينة والذي لم يكن الا على بعد 150 مترا. هنا تواجد حصن النجمة سابقا، أو "التاغاران"، والذي أضرم فيه أحد العبيد النار بسبب كراهيته لسيده الذي كان حاكما. بدأت فرقة الهندسة على الفور عملها من أجل انشاء واستقبال الاتصالات ما بين هذه النقطة وحصن الامبراطور. وخلال هذا الوقت، أراد عرب المنطقة الداخلية مهاجمة خطوطنا دون أي عناء ودون أن يعرفوا ما حدث في المقر، وقدموا بالقرب من معسكر اللواء برتيي. كانت بعض فرق الدفاع ومدفعين كافية من أجل التخلص منهم.

وفي حين كانت المدينة مليئة بالاضطراب والارتباك، طالب الناس الخائفين من الاقتحام بالاستسلام بصوت عال. قام حسين باشا، الذي اعتقدنا أنه خرج باهانة مؤقتة للموقف المؤسف الذي كان نتيجة جهله وكبريائه، بارسال مصطفى المقتاج (المكتاج) الى السيد بورمونت من أجل تعويضه خسائر الحرب وتقديم الاعتذار الذي لم يكن مقبولا. وأجاب الجنرال العام لمبعوث الداي بأن اساس كل مفاوضة ينبغي أن يكون الاحتلال المباشر للمدينة من طرف الفرنسيين، وكذلك بأنه لا يمكن أن يوافق على مقترحات سيده. ذهب المقتاج حاملا معه هذا الجواب الذي يعلن لحسين باشا نهاية حكمه. كانت الساعة تشير الى الحادية عشر والنصف. وعلى الساعة الواحدة وصل مورين (أو بربرين) وهما السيد أحمد بودرباح وحسان بن عثمان خوجة، اللذان طلبا التحدث الى الجنرال العام. الاثنان كانا يتقنان اللغة الفرنسية، وسرعان ما تبعهما المقتاج،

الذي عاد مرفقا بقنصل انجلترا. مصطفى الذي أراد أن يرتفع الى رتبة الخزناج التي انشأها شخصيا، منح للسيد بورمونت فرصة تدمير الداي حسين، من أجل مناقشة موضوعه مع الداي الجديد، بشروط جد هامة. لكن الجنرال الفرنسي الذي كانت مهمته تحطيم هيمنة الأتراك على الجزائر العاصمة، رفض عروضه التي لا يسمح له الشرف بقبولها.

بعد ساعتين من النقاش، تم تحرير وثيقة الاستسلام وحملها الى الداي بواسطة أحد المترجين. تمت الموافقة على تعليق الأسلحة (الهجوم) الى غاية اليوم الموالي على الساعة السابعة، من أجل انتظار جواب هذا الأمير المعروف. لقد وافق على كل شيء: ها هي وثيقة الاستسلام.

الاتفاقية ما بين الجنرال (القائد) العام للجيش الفرنسي
و س. أ داي الجزائر

"1 سيسلم حصن القصبة وبقية الحصون التابعة للجزائر العاصمة وأبواب المدينة الى الفرق العسكرية الفرنسية، هذا الصباح على الساعة العاشرة."

"2 يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي اتجاه س. أ داي الجزائر بعدم الاستيلاء على ثرواته الشخصية."

"3 يكون الداي حرا في الانسحاب مع عائلته وثرواته في المكان الذي يحدده، وبينما لايزال هناك في الجزائر العاصمة، سيبقى هو وعائلته تحت حماية القائد العام، وسيضمن جماعة من الحراس سلامته وسلامة أسرته."

"4 يضمن القائد العام لكل أفراد الميليشية نفس المزايا ونفس الحماية."

"5 ممارسة الدين الاسلامي تبقى حرة، ولا يجب المساس بحرية جميع فئ الشعب ودينهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم. يجب احترام نسائهم، وعل القائد العام أن يتعهد على ذلك بشرفه."

"6 تبادل هذه الاتفاقية سيكون قبل الساعة السادسة، والفرق العسكرية الفرنسية ستدخل مباشرة الى القصبة، وتحتل حصون المدينة والبحرية."

لقد كررنا دائما بأن القائد العام للجيش الفرنسي لم يكن يقبل أية معاهدة استسلام لعدو كان تحت رحمتنا، وكان عليه فقط أن يضمن له الحياة الآمنة فقط. أعتقد شخصيا بأن هذا الشرط الوحيدكان كافيا كذلك لفتح أبواب المدينة لنا، وبذلك نتفادى الكثير من الحرج والازعاج. لأنه في هذه الحالة نعلم أن المورين سيقدرون الاساءة التي لم نقم بها بدلا من النقاش معنا، عن معاهدة الاستسلام التي يجب أن نقول أن شروطها لم تحترم دائما.

الكتاب 3

دخول الفرنسيين الى الجزائر العاصمة- ثقة السكان، رغم بعض الاضطرابات الجزئية.- كنز القصبة.- نزع السلاح من الأهالي.- استطراد (انحراف) على الحكومة الداخلية للجزائر تحت سيطرة الأتراك.- الاضطرابات الادارية بعد الاحتلال.- اللجنة المركزية للحكومة، تحت رئاسة السيد دوبني.- المجلس البلدي.- الشرطة الفرنسية.- الشراكة اليهودية.- النح. الجمارك. الخ...

لم تكن الجزائر عندما دخل الفرنسيون في 5 جويلية 1830 تحمل مظهر المدينة حزينة ومقفرة حيث يقم النصر العدو. كانت المحلات مغلقة، لكن التجار الجالسين بكل هدوء أمام أبوابهم بدا وكأنهم ينتظرون لحظة فتحها. التقينا هنا وهناك بجماعات من الأتراك والمور الذين كانوا يحملون نظرات شاردة تعبرعن اللامبالاة أكثر من الخوف. كانت بعض المسلمات المحجبات ينظرن من خلال النوافذ الضيقة لمنازلهن. اليهود الذين كانوا أكثر جرأة، كانوا يزينون شرفات منازلهم دون أن تظهر عليهم الدهشة والتفاجئ من المشهد الجديد الظاهر للعيون. كان جنودنا أقل هدوء، وهم يلقون بأبصارهم في كل مكان بنظرات من الفضول والحماس، لكن الدهشة لم تبد عليهم، في مدينة لم يكن فيها وجودهم مفاجئا لأي شخص.

الاستقالة على المراسيم الصادرة العناية الالهية، والتي حفرت عميقا في أرواح المسلمين، والشعور بقوة فرنسا التي يجب تصدق في كرمها، كانت كلها أسباب تدعو للثقة، التي استقرت في وقت قصير. وان ضعفت هذه

الكنز، فالخطأ يعود الى من حكموا بطريقة غريبة شعبا سهلا؟

في البداية نشأت علاقات قليلة بين المنتصرين والمنهزمين، ولكن اذا أردنا اطلاق هذا الاسم على الحور الذين لم يدعموا الحكومة التركية الا قليلا، وكانوا مؤيدين للهيمنة (السيطرة) الفرنسية على العموم. بعيدا عن الكراهية ودون المساس بحق الشعب في مجلس الوصاية، نشر جنودنا كل أسباب الراحة والتعاطف مع الجزائريين الاجتماعيين واللطفاء بطبعهم الانطباعات التي نتجت لا يمكن أن تمحى كليا بسبب بعض الاضطرابات الجزئية، وليس بسبب أخطاء الادارة، التي كانت السبب الرئيسي لهذه الاضطرابات. وحتى اليوم أيضا، وبعد سلسلة من الأعمال التي لا تشرف حكومتنا كثيرا في عيون الأهالي، لا وجود لاسم الفرنسي عندهم، ولا وجود لمشاعر التنافر الا ما يتعلق بكل باقي الشعوب المسيحية.

تميزت الأيام الأولى للاحتلال بالاحترام الكامل للاتفاقيات. كان من الواجب احترام الأشخاص والممتلكات الخاصة والمساجد دينيا، ولم يتم هجران (اهمال) منزل واحد فقط خلال السطو على المنازل، ويجب القول بأنه المنزل الذي احتله القائد العام وهو القصبة الشهيرة. لكن دعونا نسرع باضافة القول أن هذا النهب في النهاية كان مبالغا فيه، وعلاوة على ذلك فانه كان نتيجة اهمال أكثر من حساب للجشع. سمح اصراف قائد المنطقة العامة لكل شخص بدخول القصبة وأخذ ما يراه مناسبا له. والكثير منهم كانوا راضين بقطعة قماش يأخذونها لاشباع فضولهم؛ والبعض الآخر كان

أقل تحفظا. ومن بين هؤلاء الأشخاص يمكن أن نضيف السيد بورمونت وحتى الجنرالات. ويمكن أن يكون هذا بغيضا جدا دون أي أدنى شك. فهل كل من ألقوا الحجارة على جيش افريقيا كانت أيديهم طاهرة؟

كانت هناك عملية أكثر أهمية من سرقة بعض المجوهرات في القصبة، وهي مسألة اهدار كنز مجلس الوصاية، ان حدث ذلك حقا. لا أعتقد أنه يمكن اسناد الشكوك التي نضعها على بعض الأشخاص في هذا الصدد. وفي رأيي بأن هذا الكنز جاء ليضخم كليا الكنز الخاص بفرنسا، بالرغم من عادات كل الشعوب باعطاء جزء منه للجيش الذي غزاه (احتله). كان هذا الكنز متواجدا في الكهوف التي يكون مدخلها تحت مرأى الجميع، وتحت حراسة مجموعة من الدرك (رجال الشرطة) الذين يتم استبدالهم على فترات قصيرة، ولا يخرجون الا ليتم نقلهم على متن سفن الدولة، تحت قيادة ضباط في جولة لأداء الواجب دون اختيار. قمت شخصيا بنقل مليون بهذه الطريقة، ولم أكن أعرف في طريقي الى القصبة، ما هي المهمة التي طلبت فيها. تم جرد هذا الكنز من طرف لجنة من ثلاثة أعضاء، وهو الجنرال تولوزي، السيد دوني والدافع العام السيد فيرينو. لقد وجدنا 48.700.000 فرنك.

لم تكن مدينة الجزائر تحتوي الا على القليل من الثكنات، ولم تنشأ الا بعض الكتائب ، وبقية الجيش كان في اقامة مؤقتة في الخارج، أين يتم ايواؤهم داخل العديد من منازل الريف المجاورة. تم تعيين الجنرال تولوزي الذي كان نائب رئيس هيئة الأركان كقائد للمكان.

الجهل الذي كان فيه القائد العام لنوايا الحكومة في مسألة الجزائر، جعله يعرب عن استعداده لأي حدث. وهكذا، ومن جهة أخرى، قدم عملا عن وسائل تدمير التحصينات البحرية وتعبئة الميناء، ومن جهة أخرى اهتم ببعض الأعمال الادارية غير الكبيرة جدا، في اشارة منه على رغبته في الحفاظ على البلد.

أول هذه الأعمال كان انشاء لجنة مركزية للحكومة، مكلفة باقتراح التغييرات الادارية التي تجعلها الظروف ضرورية. وقد أسندت رئاستها الى السيد دنيي المضيف (الأمين) الأعلى للجيش. وجدت هذه الشخصية بطريقة ما رئيسا للمدنية في مجلس لوصاية، تحت ادارة السيد بورمونت، وكان عليه تحمل المسؤولية الأخلاقية لكل ما يحدث، أو بالأحرى ما لم يحدث في ذلك الوقت. لأننا بدأنا هذه السلسلة الطويلة من الاخطاء بسبب اللامبالاة أكثر من كون ذلك بسبب المعايير الخاطئة، وهذا ماجعل تاريخ الادارة الخاص باحتلالنا يرثى له، ولأجل معرفة ما كان علينا القيام به، كان يجب أن نعرف ما قمنا به.

اذا كان هناك مبدأ يمليه علينا العقل ويعترف به المعنى الأكثر ابتذالا، فهو مبدأ من يريد الا عندما نودينا الى ادارة بلد محتل، يجب أولا أن نحترم التنظيم الاداري الموجود، من أجل تجنب الاضطراب والفوضى، والحفاظ على التقاليد ومتابعة الأعمال. يمكن بعد ذلك أن ندرج بلطف وتحفظ التغييرات التي تعتبر مفيدة، لكن في اللحظات الأولى للاحتلال، ما كان على

المنتصر الحكيم الا الوصول الى مكان الهزم (مكان انتصاره). بهذه الطريقة نحتفظ بالموارد ونمنع كل هذه الاهانات التي تكون اكثر حساسية لدى الشعب المحتل، الذي يحس باذلال مؤقت بسبب الهزيمة. ما يمكن النظر فيه قليلا، وان كان هذا المبدأ، فقد أساءت السلطة الفرنسية فهمه. لا أدري ان كانت تتخيل أن الشعب الجزائري لا يشكل الا تكتلا من الأفراد بدون رابط مشترك وبدون نظام اجتماعي. لكنها تتصرف تماما وكأنها مقتنعة بذلك. لم يتخذ أي موقف من أجل ضبط طبيعة علاقات مختلف فروع الخدمات العامة مع السلطة الجديدة. لم يعط أي أمر للعمال (المسؤولين) من الأهالي: لم نعلن لهم عن الاحتفاظ بهم ولا ازالتهم. كنا نتصرف وكأنهم غير موجودين أصلا: كما لم يكونوا يعرفون الى من يتوجهون، فتخلوا عن الخدمة (العمل) دون أخذ أي منح، وأخذنا أو لنقل أخفينا كل السجلات الوثائق القيمة تقريبا. في القصبة نفسها، وتحت أعين السيد دونيي، رأيت جنودا يشعلون الغليون بأوراق الحكومة المتبعثرة هنا وهناك على الأرض.

لم أعتقد أبدا بأن االاحتلال يمكن أن يحدث في مثل هذه الفوضى الادارية مثلما حدث في الجزائر، حتى في القرون الأكثر وحشية. جحافل (حشود) الشمال الذين مزقوا بقايا الامبراطورية الرومانية، كانوا يتصرفون بحكمة أكثر من التي تصرفنا بها في افريقيا. الفرنجة في بلاد الغال والقوط (الغوتية) في اسبانيا وايطاليا، كان لديهم حس سليم للاحتفاظ بما وجد من قبل، من أجل مصلحتهم أكثر من مصالح الأمم الخاضعة (المحتلة). عندما أصبح

العرب مكان هذه الأمم المحتلة في اسبانيا، لم يسارعوا الى تدمير كل شيء، وقد حافظوا على ما وجدوا ليكونوا المثل الأعلى لنا في مثل هذا الاسراف. تعرفنا في الكتاب الأول من هذا العمل على المبادئ الأساسية للحكومة التركية في مجلس الوصاية: قبل الدخول في تفاصيل الأعمال الادارية للسلطة الفرنسية، سوف نشرح عبر كلمات قليلة ما كانت الحكومة الداخلية للجزائر العاصمة.

هذه الحكومة التي تستحق في الكثير من النواحي اسم المدينة، وقد كانت تعمل بمبدأ حقوق وواجبات المجتمع، بمصالح يمكن أن تكون في بعض الأحيان خاصة، ونشأت بين مختلف فئات المواطنين. هذا هو المبدأ الذي كانت تعمل به مدن العصور الوسطى، والتجمعات الكبيرة الممثلة للأمم الأوروربية. أثبتت الثورة الفرنسية لاحقا بأن المصالح لدى الشعوب المتقدمة يجب أن تكون عامة أكثر، لكن لدى الشعوب التي كانتفي الدرجة الثانية من الحضارة، والتي توجد أمام سلطة عنيفة ووحشية، كما كانت عليه دولة الداي في الجزائر،ودولة اللوردات في أوروبا في العصور الوسطى، ونظام فئات الفوائد كان من يمنح ضمانات أكثر للحريات الفردية. هذا النظام هو الذي بدأ العمل به في الجزائر تحت سيطرة العرب، والتي احترمها الأتراك.

كانت كل مهنة تشكل شراكة يترأسها وصي يسمى أمين، وهو مكلف بتنظيم المجتمع وأعماله (قضاياه). وضع كل الأمناء تحت أوامر قاض يسمى شيخ البلد (رئيس المدينة).

مهمة مراقبة الأسواق من مهام أحد الولاة (القضاة) الذي يدعى "المُكتاب"، والذي كان لديه حق فرض الضرائب على السلع.

كما كلف قاضيين آخرين بالحفاظ على الأمن العام، حيث كان يحمل الأول اسم "كانيا" (الملازم) والذي يقوم بمهامه في النهار، وقد كان قائدا للمليشيا المدنية ويمكن أن يندرج ضمن الكرغليين، أما الثاني، والذي يختاره الأتراك فقط، فهو يمارس مهامه خلال الليل: يلقب باسم آغا آل كول. كما يوجد مسؤول خاص يدعى "مزوار" وهو على رأس أمن الحمامات وبيوت الدعارة، بالأحرى، ومن جهة أخرى كان هذا الشخص مكلفا بتنفيذ الأحكام الجنائية.

ما كلف موظف كبير (سامي) يدعى "أمين العيون" بالحفاظ على النوافير، عن طريق المداخيل المخصصة لهذا النوع من المؤسسات ذو الحاجيات الأولية.

كل هؤلاء الولاة (القضاة) تحت الأوامر المباشرة للخزناجي، والذي كان كما سبق ذكره، وزيرا للمالية والشؤون الداخلية.

هكذا كانت حكومة مدينة الجزائر، التي سارعنا إلى تدميرها، أو بالأحرى المدينة التي تركناه تهلك.

ومن اجل تعويض هذه الحكومة، تم إنشاء المجلس المحلي المتكون من المور واليهود. رأينا بأن كل الأهالي كانوا أول من واجهونا، بمعنى المتآمرين وقلة من المور، الذي كنا هدفا لهم ولكن الوقت أظهر لنا تفاهة ذلك: وقد كان أحد بوردباح رئيسهم. كان هذا الرجل طريفا ورقيقا وماكرا، ولكنه لا يملك

أي مبدأ أخلاقي، وهو متطفل أكثر من كونه فطنا ماهرا عاش لمدة طويلة في مرسيليا، أين تعرض لافلاس احتيالي واضطر الى الابتعاد. سوف نتحدث عن هذا الموضوع أكثر من مرة في سياق هذا الكتاب.

كلف السيد أوبينوسك بادارة جهاز الشرطة، كما سبق ذكره. وتحصل على لقب الملازم العام للشرطة، وراتب سنوي يقدر ب 18،000 فرنك، بما في ذلك نفقات المكتب. كان نشاطه منتشرا في المدينة وفي إقليم الجزائر العاصمة، وقد وضع تحت أوامره كل من مفتش ومفوضي الشرطة وفرقة أمن المور المتكونة من عشرين عاملا يقودهم مزور، والذي يحتفظ في نفس الوقت على عمله كمراقب للمومسات. بالرغم من كل هذه الموارد، وذلك بدعم من الجيش، إلا أن الشرطة الفرنسية كانت دائما تحت مستوى مهمتها، وهو ما زاد من الصدمة، بوجود الحكومة التركية، هو أن مدينة الجزائر العاصمة ربما كانت النقطة الوحيدة في العالم أين كانت الشرطة أكثر انتظاما. تضاعفت عمليات السرقة، التي بالكاد كانت معروفة، بنسب مخيفة جدا، وكان الأهالي هم الضحايا أكثر من أي شخص آخر.صدرت أوامر بنزع السلاح من كل سكان الجزائر العاصمة. الجزائريون الذين كانوا ينتظرون ذلك خضعوا للأوامر دون أي تعليق. ولكن هذا الإجراء كان ليشبع جشع بعض الأشخاص.

تم نزع أسلحة ثمينة من ممتلكيها، وبدلا من وضعها في مخازن الدولة، أصبحت هذه الأسلحة فريسة لجميع هؤلاء الذين كانت في متناول أيديهم،

باغتنامه الفرصة لوضع بعض القوانين في هذه العملية التي تتطلب منهم الكثير.

وفي زمن مضى، شكل يهود الجزائر شركة كبيرة، يترأسها زعيم كان يطلق عليه سخرية اسم ملك اليهود. تم الاحتفاظ بهذه المنظمة بفضل تأثير الشهير البكري.

تحت حكم الأتراك، كان اليهود وحتى الأثرياء يعاملون بطريقة مخزية وكثيرا ما كانت قاسية. وفي سنة 1806، لم يجد الداي مصطفى باشا طريقة لتهدئة ثورة الميليشيا، الا بتسليمها البضائع والأشخاص لهؤلاء التعساء. وفي غضون ساعات قليلة، تم قتل ثلاثمائة منهم وتم اخذ الأشياء الثمية التي كان بعض الأشخاص يحملها بقيمة ثلاثين مليون فرنك. ولكن مثل صبر النمل واقتصادها، فقريبا ما يتم أخذ هذه الثروة منهم.

أقر السيد بورمونت بالخطأ الذي اقترف، وبأن معظم هؤلاء الورثة اشتركوا في ذلك مع هذه الفئة من الرجال اليهود الذين لجأوا الى الوقاحة، بسبب سقوط الطغاة السابقين، ولم يمض وقت طويل على التأثير في أجواء التفوق الذين شعروا باستياء شديد. كانت جميع انتكاسات الحظ بالنسبة لهم حساسة جدا، والعفو بالنسبة الينا كان بنسب ضئيلة. كان من الواجب معاملة اليهود بنفس الطريقة التي يعامل بها الجميع، بكل عدل ولطف، ولكن لا يجب الأخذ بعين الاعتبار الأهالي في أي حسابات في سياستنا. اليهود لا يمكن أن يحسنوا أو يسيئوا إلينا فهم بدون جذور في البلاد وبدون

أي قوة في النشاط، كان اليهود بالنسبة لنا وكأنهم غير موجودين، ولذلك كان عليهم أن يبقوا تحت تصرفنا، فالنسبة اليهم كان المسلمون يحملون قيما ذاتية مختلفة جدا. وهذا ما لم يكن مفهوما. والخطأ الذي ارتكبناه بالنسبة لليهود ضد المسلمين بشكل عام، ارتكبناه بالنسبة للبربر ضد العرب، وسنرى ذلك في الكتاب القادم.

القرار المؤرخ في 14 جويلية يحفظ أيضا شركة البسكري، الذين قدموا الى الجزائر من أجل ممارسة مهنة الحمال والبواب مثل السافويار الذين كانوا يخدمون فرنسا وايطاليا. المزابيون أو بالأحرى بني مزاب ينتمون الى قبيلة في الصحراء، كانوا يحتكرون الحمامات والطواحين الهوائية في الجزائر خلال القرن السادس عشر، كمكافأة على الخدمات التي قدموها في عهد بعثة شارلز كوينت. هاتان الشركتان كانت لهما نقابات عينتها السلطات الفرنسية، ونفس الشيء بالنسبة الى الزنوج الأحرار، والتي كانت نقابتهم تحمل اسم "القايد".

الاستسلام لا يعني بأي شكل من الأشكال أنه سيتم إعفاء عدد من سكان الجزائر من الضرائب القديمة، وبالتأكيد لن يدخل ذلك في تفكير وذهن الحكام الجدد، من أجل الاعفاء من كل هذه التكاليف العامة. ومع ذلك، توقفت التصورات بعد تعطيل جميع الخدمات. يجب استثناء حقوق الدخول الى موانئ المدينة، وهذا ما تطلق عليه اسم المنحة. خصص مرسوم 9 أوت للمنتجات ذات النفقات الحضرية، وتسيير مجلس المدينة، لكن سرعان ما ننسى وجود هذا الفرع من الايرادات، والأعضاء المور للبلدية، والتي كان

يشارك فيها فرنسي كمفوض الملك، والذي لا يرد لنا أي اعتبار: هذا يبدو مستحيلا أو لا يصدق، ولكن هذه الحقيقة الكاملة. ولم تمر إلا أشهر قليلة، تحت قيادة الجنرال كلوزيل، حتى كشف الخط عن وجود منحة. وقد تم تقليل ذلك إلى مصادر البحر، وسحبناها من البلدية، الى جانب إنتاج الملح الذي تأثر أيضا.

تاريخ الجمارك الفرنسية في الجزائر يقدم بعض الأشياء الأغرب من المنحة. حل محل الجمارك الأتراك الذين كانوا موزعين بعض الأفراد الذين اتبعوا الجيش، لا أعرف بأية رتبة، ومن يلاحظ عدم وجود رسوم ولا مسامة، ولمدة خمسة عشر يوما. تجد في مخازن الجمارك كمية من القمح، ومدير الإدارة الجديدة يفترض أن حسابه يقدر بـ 4000 صاعا (مكيال الجزائر الذي يقدر ب 54 لترا). تم بيع هذه الكمية خلال شهرين، وتحت قيادة الجنرال كلوزيل، وجد أن 6000 صاعا كانت متبقية. أترك للقارئ فرصة شرح هذه المعجزة.

لم يتم تسليم أي من ممتلكات الدولة، مثل الأثاث والمباني. في هذه الفترة كانت الفوضى الرهيبة، التي تواجدت في هذا الفرع من الإدارة، والتي كانت لمدة طويلة دون سندات ملكية ولا سجلات. تواجدت هذه الأشياء في ترسانة البحرية وفي الميناء، وقد أهملت لعدة أيام لمن أراد الحصول عليها. السفن التجارية التي استأجرت للحملة جاءت لتملأ الشواغر بالسلاسل والكابلات والمراسي والأجر بكل أنواعه و أبواب الفنادق التي لم تفكر في احتلالها إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام، ثم اقتحامها، وأخذ كل الأشياء القيمة

منها. وأخيرا، كان مستبعدا أخذ كل الإجراءات المناسبة من أجل ضمان قوة جديدة للإرث السليم للسلطة التي سقطت ورحلت. تمكن السيد بورمونت، الى حد ما، من ايجاد عذره في ألمه وحزنه على وفاة ابنه الذي اخترق روحه، لكن فقد السيد ديسبريز رئيس أركانه و السيد دونبي مدير وأمين المخازن (وكيل المؤونة) ابنيهما أيضا؟

الكتاب 4

السير على خليج ماتيفو- اخلاء سيدي فرج والحصون- تركيز الجيش حول الجزائر العاصمة - الدمار الذي أتى بعد ذلك - مغادرة حسين باشا - تعيين السيد بورمونت مارشال فرنسا - العلاقات مع العرب - الانحراف على محافظة الجزائر العاصمة وعلى مهام حياة الأغا - تعيين حمدان بن أمين السكة آغا العرب - بن زمون - بعثة بليدة - بعثة بون - بعثة وهران - مجزرة مراد ببجاية - ثورة باي التيتري - ثورة 1830 - رحيل السيد بورمونت.

لقد رأينا في الكتاب السابق أن الاستثناء في بعض الكتائب الموجودة في المدينة، كان على الفرق العسكرية التي شاركت في الحصار، لتستقر خارج المكان. لقد شغرت المساحة الممتدة من بوزريعة الى سهل مصطفى باشا، أمام حصن باب عزون.

في اليوم التالي لاحتلال الجزائر، تلقت فرقة مونتليفولت للجيش أوامر الانتقال الى حوش قنطرة البيت المربع وكذا الراسوتا، وهي مزرعة معروفة في شرق الجزائر، من أجل الاستيلاء على قطعان الحكومة الموجودة هناك. لكن باي قسنطينة، الذي ظهر مع فرقته، في طريق محافظته، قام بازالة كل شيء. هذه السرية العسكرية اقتربت الى خليج ماتيفو، الذي يغلق في الشرق ميناء الجزائر. وجدت على الساحل مجموعة من البطاريات المسلحة بـ 120 مدفعا، التي لم تكن لها الوسائل ولا مهمة إزالتها. وبعد فترة وجيزة، ارسال زوارق من أجل

نزع السـلاح من بطاريات ساحل (خليج) ماتيفو، لكن رؤية بعض العرب المسلحين منعهم من ذلك. البطاريات التي كانت موزعة من حصن باب عزون الى الأربعطاش، لم تنزع منها الأسلحة الا في 22 أوت. أما تلك الموجودة من هذه المنطقة الى خليج ماتيفو وحصن ماتيفو نفسه، بقيت مسلحة حتى الوقت الذي كنت أكتب فيه هذا التقرير،ولو أن القوات الفرنسية لم تكن تشغلها.

منذ 7 جويلية، تم اعطاء أوامر من أجل نزع السلاح والتخلي عن سيدي فرج، التي لم يكن احتلالها يبدو ضروريا. أرسلت الكتيبة 2 والخط 48 الى هذا المعسكر من أجل الالتقاء بالكتيبة الثالثة من نفس الفوج، والبقاء حتى تقوم البحرية بإزالة جميع المعدات. في 10 من الشهر، تم اسقاط حامية القصور التي بنيت على طريق سيدي فرج.وفي 23 من نفس الشهر، استقرت فرقة اللواء بوري دو موقون، التي تركت سطاوالي، في ضواحي الجزائر العاصمة. فيما تركت فرقة في الحصن من أجل القضاء على هذا المعقل. في 29، تم اخلاء سيدي فرج من السلاح، والخط 48 دخل الى الجزائر العاصمة، وتم التخلي عن كل الحصون.

وبعد استمرار هذه الحركة، اجتمع كل الجيش حول الجزائر العاصمة. اهمال القادة لمسؤولياتهم، تسبب في تدمير البيوت الجميلة والينابيع العذبة في هذه المدينة. وبدلا من استخدام الوسائل المنتظمة من أجل الحصول على الحطب، تم قطع الأشجار المثمرة وحرق الأبواب والنوافذ وحتى ركائز السلم في المنازل: كان الجنود يدمرون بسبب حبهم للتدمير. تم تحطيم الرخام والأحواض (البرك) والزخارف والمنحوتات، دون أي سبب ولا هدف. تم كسر القنوات في العديد

من المناطق، وجفت كل النوافير تقريبا، وكان الماء على وشك النفاذ من الجنود. ابتداء من شهر أوت كانت الجزائر العاصمة تبدو في أكمل صورة للخراب. مع ذلك، فان جدول الأعمال الذي سطر خلال النزول الى السواحل الجزائرية كان يملي على القادة التحذير من هذه الاضطرابات والفوضى. التوصيات كانت تجدد في كل مرة، لكن الضباط لم يولوها أي اهتمام، والقائد العام، الذي لم يكن يخرج من قصره، لا يتمكن من فرض طاعته. كان هذا مشهدا محزنا من الشعب الأكثر تحضرا في الأرض، وهذا ما أعطى للجزائريين مثالا وصورة عن الوندالية الهمجية.

قام حسين باشا، بعد بضعة أيام من احتلال الجزائر، بزيارة السيد بورمونت، وتم استقباله بكل احترام في استقبال مشرف. وقد علمت، من شخص كان وضعه يسمح له بمعرفة الحقائق جيدا، أن الداي قدم للقائد العام مبلغا معتبرا من القسط السنوي لانجلترا، وقال بأن هذا المبلغ لا يعود اليه كليا، وأنه من خزينة الدولة، وأنه لا يمكن أن يحتفظ به وهو في حالة استسلام. هذه الدقة كانت المدهشة من طرف الداي حسين، لكنها ميزة من ميزات الأتراك. هذا الأمير اختار نابولي من أجل التقاعد، والذي غادر هذه المدينة في 10 جويلية مع حاشية كبيرة. قام بإرسال منديل مليء بالتبر الى الضابط المكلف برئاسة مغادرته للبلد، واستغرب من رفض هذا الأخير لهذه الهدية.

الأعضاء غير المتزوجين في الميليشيا التركية انتقلوا في نفس الوقت إلى آسيا الصغرى. وبمغادرة المدينة التي كانت وطنهم، لم يسمعوا أي شكوى.

بإعطاء كل واحد منهم مساعدة لشهرين من المبيعات استلموها وهم يعتبرونها عمل خير، وهو يعتقدون بأنهم لا يملكون أي حقوق. هذا الاستقالة الباردة للأحكام الصادرة عن هذه الثروة تحمل شيئا من النبل وشيئا مؤثرا.

لقد تبنا لأكثر من مرة، منذ 1830، بسبب نفينا وطردنا لكل الأتراك، واعترفنا بذلك، ولكن جاء ذلك متأخرا، وأن هؤلاء الرجال كانوا قادرين على تقديم خدمات كثيرة. كانوا يرغبون في وضع كل شيء تحت حسابنا. كنت أسمع بعض المواطنين من الأهالي، بعد انفجار قصر الامبراطور، يقولون علنا بأنه ما من شك أن ملك فرنسا كان له أمين صندوق، كما هو الحال بالنسبة لداي الجزائر، وأنه كان يملك أموالا كثيرة مثل الآخر (الداي).

كان استقبال خبر احتلال الجزائر بانتقال أوروبا كلها. في فرنسا، كان الرجال الضالون بتأييد الحزب أو الخائفون من الجرأة من الانتصار الذي يمنح لطائفة البولينياك، يبدون متأثرين بذلك بشكل غير مستحسن. ولكن حتى من بين الليبراليين، الذين كانوا يريدون أكثر مما يخشون، الحرب مع حكومة الإصلاح، ولا يعتبر ذلك إلا انتصارا لأسلحتنا. رفع شارل العاشر السيد بورمونت الى رتبة مارشال فرنسا. هذا التمييز كان بسبب ما، ولا أعتبره هنا إلا القائد العام لجيش إفريقيا. اتهم باقتراف بعض الأخطاء، لكن عملياته كانت مصممة بشكل جيد عموما، وما كان في الحرب توج نجاحه. بعد الانتصار، سارع الى الحكومة للمطالبة بمكافئة استحقها الجيش، كما طالب أيضا بجزء من كنز

الجزائر الذي يجب اقتسامه، ولكن الشيء الغريب من حكومة أرادت الضغط على قوة سلاح المشاريع الفارغة ، وقامت برفض هذه المقترحات.وبحذر أقل، أو بالأحرى بخجل، قدم السيد بورمونت للجيش ما بدى له مستحقا.

ثم تعيين قائد القوات البحرية السيد دوبيري شريف فرنسا. هذا الضابط العام، الذي كان كما قلنا يتمتع بسمعة جيدة لدى البحارة، كان يعتقد أو كان يريد أن يعتقد بأنه تسبب في ضرر كبير للكانتونات الجزائرية، وساهم الى حد كبير في استسلام المدينة، ولذلك يبدو أن هذه المكافأة لم تكن كافية بالنسبة إليه. نعلم اليوم أن الأضرار التي لحقت بحصون الجزائر بسبب القوات البحرية قدر ب 7 فرنك و50 سنتيما. وبالتالي، كانت ادعاءات السيد دوبيري مجرد ضعف حزن في مثل هذه الشخصية الضعيفة.

كان سيد الجزائر العاصمة المارشال بورمونت موجودا بشكل مفاجئ مكان الداي في نظر القبائل العربية. وما يجب فعله في هذه الوضعية الجديدة يجب أن يكون له تداعيات في المستقبل، لأنه دعي لتسوية علاقاتنا الأولى مع هؤلاء السكان الأذكياء، الذين لا تخفى عنهم أي نتيجة لخطوة خاطئة. لكن قبل الحديث عن سلوكه اتجاه العرب، يجب أن أعرف بمحافظة الجزائر، على الرغم من كون ذلك طويلا، الا أنه من الضروري فهم الحقائق التي ستأتي بعد هذا.

بالنسبة إلى المحافظة أو منطقة الجزائر العاصمة، هي جزء من مجلس الوصاية التي أدارها الداي بشكل مباشر، والتي بسببها لم يعد يسمى الباي. وهي تمتد من الشرق الى الغرب، من حدود "القبايل" المستقلين (الأحرار) الى حدود

المدينة الصغيرة تنس. كانت الجزائر العاصمة تحتل منتصف سواحلها تقريبا. في
الجنوب تحدها قمة الأطلس الصغير، كما لديها امتدادات الى خارج هذه المنطقة.
هذا الامتداد للأراضي يشغله في جزء كبير سهل متيجة، والتي تقدر بعشرين
فرسخا (وحدة لقياس الطول) في طولها، وعرض يقدر بحوالي أربعة الى خمسة.
ويستند هذا السهل على تلال الجزائر العاصمة في الشمال وعلى البحر. تمتد في
الجنوب الى سفح الأطلس الصغير. ونجد وراء الجبال نحو الشرق سهل حمزة،
الذي ينتمي الى محافظة الجزائر العاصمة. أما بقية المحافظة فهي عبارة عن جبال.
يلي الأطلس الصغير عموما الاتجاه الموازي للبحر، ولكن يدفع بفروعه نحو
الشمال على طرفي متيجة، كما لو كان غيورا من عناق هذا السهل الجميل من كل
النواحي.

تمثل متيجة منحدرا حساسا من الجنوب الى الشمال، بشكل تنزل فيه المياه من
الجبال، لتجد على تلال مسيف (الجزء الرئيسي من الجبل) الجزائر العاصمة عقبة
لتدفقها الطبيعي، لتشكل بذلك مستنقعات في هذا الاتجاه. وبما أن العديد من
الأنهار تمر على هذه المنطقة، فمن السهل عمل تجفيف بواسطة بعض الأعمال
المتقنة والموجهة. وقد أجريت تجارب من هذا النوع وقد نجحت بشكل
جيد، وقد أثبتت أن ليست العملية وحدها التي كانت ممكنة، ولكن ذلك لم
يكن مكلفا كما اعتقدنا في السابق. ونجد خلال عبورنا للسهل آثار لا يمكن
إنكارها لعمليات التجفيف التي أجريت سابقا، سواء تحت الحكم الروماني،
أو في فترة لاحقة، لكن من كان حقيقة تابعا لإدارة حكيمة وكذلك لتقاليد بلد،

هل سيحافظ على ذكريات الأوقات السعيدة لمتيجة التي كانت غنية ومكتظة
بالسكان. اختفى هذا الازدهار منذ فترة تحت إدارة الأتراك المسرفة، الذين كانوا
بالنسبة إلى هذا الجزء الجميل مثل ما فعل المسيحيون بالأندلسيين. نعرف بأنه
تحت سيطرة أو حكم المو ر(كان هذا السهل معروفا باسم الأهوار الاشبيلية،
وكانت تعرف درجة كبيرة من الازدهار: كان هناك من اشبيليا الى سان لوكاس
114 قرية. لكن المسيحيين أهملوا أعمال التجفيف التي تمت، وقد غزت الأهوار
وهي عبارة عن حديقة مياه الوادي الكبير تدريجيا، ولا ترى عين المسافر اليوم
الا طبيعة ميتة وموحلة.

متيجة كانت أقل تضررا من الأهواز الإشبيلية، ويمكن أن تعود بسرعة أكبر
إلى حالتها السابقة من الازدهار. لم تشغل السبخات الا جزءا صغيرا، أما البقية
فقد كانت ذات خصوصية مثيرة للإعجاب. والأنهار الرئيسية التي كانت تسقيها
من الشرق الى الغرب تتمثل في يسر وقورصو والحميز والأربعطاش ومزفران
التي تنتج عن تجمع شفة وواد جر، وليس أي منها مخصص للملاحة، وكلها تمتد
وتجري من الجنوب الى الشمال.

سهل متيجة كان أقل نفعا في جزئه الشمالي. وهذا بسبب المستنقعات التي تحدثنا
عنها. نعتقد عموما أن الغشاوة (الضباب) الذي يغطيها بانتظام كل صباح،
والتي لا تزول الا بطلوع الشمس ببضع الدرجات فوق الأفق، تساهم في هذا
الوضع غير الصحي لهذا السهل، لكن هذا خطأ، فالغشاوة أو الضباب يمتد على
كل السهل، والمناطق المجاورة للأهوار فقط هي التي تعتبر غير صحية.

تتألف سلسلة الأطلس الصغير من جبال ذات ارتفاع معتدل ومشجرة في كل مكان تقريبا حتى القمة: جبال جرجرة التي تتواجد بعيدا عن الجنوب، تصل الى ارتفاع معتبر قليلا. ووراء هذه السلسلة، على الشرق، نجد سهل حمزة، الذي يعتبر أقل اتساعا وخصوبة من متيجة: يتم ريها ب"دهوس" الذي يصب في البحر شرق بجاية، وببعض الأنهار التي يشكل تجمعها نهر يسر. يتميز سهل حمزة ببنيته الرملية والصخرية على العموم، ولكنها تحوي الكثير من الواحات المناسبة كثيرا لزراعة الحبوب. تتشكل محافظة الجزائر العاصمة من خمسة مدن واثنتا عشر مقاطعة أو "أوطان".

المدن هي: الجزائر العاصمة والبليدة ودلس وقليعة وشرشال. أما المقاطعات فتتمثل في: بني خليل، بني موسى، خشنة، يسر، سباعو، بني جعد، بني خليفة، حمزة، السبت، عريب، بني مناصر، الفحص (ضاحية أو ريف الجزائر العاصمة).

أوتان أو مقاطعة بني خليل تمتد من الشرق الى الغرب، انطلاقا من الأربعطاش الى شفة، ومن الشمال الى الجنوب، انطلاقا من ريف الجزائر وصولا الى قمم الأطلس الصغير فوق البليدة.

أما منطقة بني موسى فتمتد على الضفة اليمنى للأربعطاش على شرق مقاطعة بني خليل، وهي تشغل جزءا من السهل الموجود في هذا الاتجاه، وينحدر الى شمال الأطلس.

في شرق هذه المقاطعة نجد مقاطعة خشنة الواسعة جدا: يحدها شمالا البحر، وفي الجنوب قمم الأطلس المرتفعة كثيرا في هذا الاتجاه. يفصلها نهر قرصو عن

منطقة يسر. تمتد هذه الأخيرة من الشمال الى الجنوب، انطلاقا من البحر وصولا الى قمم الأطلس.

وفي شرق مقاطعة يسر، نجد منطقة سباعو، أكثر المناطق امتدادا وأهمية في محافظة الجزائر. كما أنها الأكثر ميولا الى الشرق، ويقتصر على بلاد "القبايل" الأحرار. في جنوب يسر وخشنة نجد " أوطان" أو مقاطعة بني جعد، على هضاب الأطلس. وتقع منطقة حمزة في جنوب بني جعد، وفي السهل الذي تحدثنا عنه سابقا.

في غرب بني جعد وحمزة، وفي الجانب الآخر للأطلس القريب نسبيا الى الجزائر العاصمة، نجد مقاطعة بني خليفة.

تمتد منطقة السبت الى غرب شفة، وصولا الى منطقة شرشال، وهو حد محافظة الجزائر العاصمة في هذا الاتجاه.

حتى لا نقطع السرد كثيرا، قمنا بالإشارة إلى وصف خاص للمدن والمقاطعات.

تحت الحكم التركي (العثماني) كان للآغا السلطة العليا على المقاطعات، باستثناء منطقة يسر وبني مناصر. رغم كون يسر غير ساحلية في محافظة الجزائر العاصمة، وتتميز بكونها تابعة لباي التيتري الذي يطلق عليه اسم "القايد". تخضع بني مناصر لسيطرة قايد شرشال المستقل عن الآغا.

كان لدى مدينتي البليدة والقليعة "حكاما" أتراك يطلق عليهم اسم الداي، الذي يوضع في هذا المنصب تحت أوامر الآغا. منطقة شرشال كان لديها "قايد" كما رأينا سابقا. تخضع دلس الى قايد سباعو الذي لديه "وكيل" أو مدعي عام. كما تواجد في هذه المدينة وفي مدينة شرشال قائد الميناء الذي يطلق عليه اسم وزير البحرية.

الأغا هو أحد الشخصيات البارزة في مجلس الوصاية، وهو يقود في الريف الميليشيا التركية، التي يديرها في الداخل الخزناجي، لكن سلطته يشعر بها العرب أساسا، حيث يمارس عليهم محاكمات عسكرية سريعة ورهيبة.

ورأى الأتراك، من أجل مساندة سلطته في الخارج، بخلق قوة لا تكلفهم الكثير والتي تؤخذ من الشعب الذي احتلته. كل عربي يحس بأنه مناسب للعمل الحربي، ومن لديه الوسائل لشراء الأسلحة وحصان، يمكن أن يعفى من كل الضرائب، وذلك بالتسجيل ضمن مجموعة فرسان الأغا. صحيح أن هذا التسجيل لا يعتمد كليا على إرادة مقدم الطلب، وأن الأغا لا يقبل في مجموعة فرسانه، أو سباهية، الا الرجال المعروفين بصفاتهم العسكرية. حيث كان يشترط هدية تقدر ب 40 سلطاني (200 فرنك).

كان عدد الفرسان الذين يعملون بشكل دائم قليلون جدا حيث يقدرون بخمسين فارسا تقريبا، ويطلق عليهم اسم "المكاحلة" (حملة البنادق). وهم يجتمعون في معسكر في الجزائر العاصمة، ويرافقون الأغا في كل خرجاته. أما الآخرون فيبقون في منازلهم ولا يأخذون أسلحتهم الا عندما يتلقون الأوامر من أجل معاقبة بعض القبائل المتمردة. الغنائم التي يحصلون عليها في معظم الأحيان في هذا النوع من الحملات ، وهي مغرية لحد أنهم لا يتأخرون عن موعدها أبدا. مهام "السباهية" أو الفرسان كانت وراثية، وتشكل نوعا من النبل الذي يفتخر به العرب.

توجد بين العرب فئة من الرجال الذين كانوا معفيين من الضرائب، وهم

"السراجة " و"العزارة" وكانوا مكلفين تحت أوامر خوجة الخيل بالاهتمام بقطعان الماشية والحقول التابعة للحكومة. عندما يبدأ الجيش في التحرك، كانوا هم من يجمع وسائل النقل ومن يقود الأمتعة.

وبصرف النظر عن "سباهية" (الفرسان)، كان تحت تصرف الأغا نوع من الميليشيا الذي يطلق عليهم اسم "زمول". الزمول كانوا في الأصل مغامرين تنازلت لهم الحكومة عن الأراضي على حساب الخدمة العسكرية: ويمنح لهم كل سنة ملابس كاملة وبعض البوجو (الوحدات النقدية المستعملة خلال الحكم العثماني). كان بعض الزمول موجودين في مقاطعة السبت وسباعو، وهم يشكلون ،كما سنرى لاحقا، مستعمرات عسكرية حقيقية.

يتم تعيين القياد من طرف الداي بعرض من الأغا. كان يوجد نوعان من القياد ، وهما قادة الأوطان وقياد العشور. المجموعة الأولى التي كانت تضم القياد المدنيين والعسكريين للأوطان، ويجب أن تكون تركية. أما المجموعة الثانية، والتي تتكون عادة من العرب، فقد كانت مسؤولة خاصة بدفع العشر الذي يؤخذ من المحاصيل. غالبا ما كان هناك الكثير من قادة العشور في مقاطعة واحدة، ولكن لم يكن هناك إلا قائد مقاطعة واحدة. قياد العشور هم من يقومون بجمع فرسان الأغا عندما يتم استدعاؤهم. قايد الأوطان كان لديه فرسان خاصين وهم يتمتعون بنفس مزايا الأغا. يطلق عليهم اسم "مرازني"، ويتم استخدامهم من أجل إدخال ضرائب ومساهمات أخرى عدا العشر. كان هناك قياد لبعض العرب الذين يتواجدون في وضعيات خاصة،

وخارج المقاطعات التي يقطنون فيها. كان قايد عرب الصحراء لهؤلاء في هذه المنطقة، وقد استقروا في فترات مختلفة في محافظة الجزائر العاصمة. قايد الغرب للمغربيين الذي وجدوا في نفس الموضع، وقايد العريب من أجل العريب اللذين استقروا بحمزة.

كل مقاطعة كانت مجزأة الى قبائل أو عروش، يترأسها شيخ المشيخ، أو الشيخ الكبير. كل دوار أو قرية كان لديها شيخها الخاص. لم يعتمد التقسيم بالمقاطعة على أعراق أو أجناس الرجال الذين يعيشون في محافظة الجزائر. يبدو أن الأتراك، على العكس من ذلك، قد اتخذوا مهمة الجمع بين "القبايل" البربر والعرب في مقاطعة واحدة، ربما يقودهم تفكير سياسي موحد أدى الى تقسيم فرنسا لهم الى دوائر.

في كل مقاطعة يوجد قاضي من أجل العدالة المدنية. العدالة الجنائية كانت تحت رئاسة الآغا والقادة. الآغا هو الوحيد الذي كان يتمتع بحق إلحاق عقوبة الإعدام. لكن قايد السبت وقايد سباعو تحصلوا على هذا الحق ومارسوه لمرات عديدة.

سلطة الداي لا يمكن تحديها في محافظة الجزائر العاصمة، أين كان يخضع لسلطته كل من العرب و"القبايل". لم يكونوا مثل قادتنا، الضعفاء وغير المتأكدين، الذين لا يمتدون الا على الفحص وعلى أجزاء من مقاطع بني موسى، وكشاشنة وبني خليل التي كانت الأقرب اليها.

بعد أيام قليلة من احتلال الجزائر، انطلق السيد بورمونت من مبدأ مثير للشك

قليلا، وهو وجوب خدمة الأهالي من أجل السيطرة على الأهالي، معتقدا أنه قام بأعجوبة باختيار أحد المور لآغا العرب، ولم يأخذ بعين الاعتبار نظرة العرب المليئة بالكثير من الاحتقار لأفراد المور. في هذا الخطأ الأول، أضاف خطأ أخذ هذا الآغا في فئة من التجار، الذين يحتقرهم العرب بطريقة لا يمكن التعبير عنها، لأنه لا يوجد شعب يكره الأرستقراطية أكثر من ذلك. القائد العام ترك زمام المبادرة في هذا الظرف، من طرف مجالس أحمد بودرباح. أحد أخطائنا هو اعتقادنا الدائم أننا يمكن ان نستفيد من المور البربر من أجل توسيع تأثيرنا في بلد ليس لديهم فيه أي تأثير أو اي اعتبار. تقدم عربي من فرنسي لأنه اعترف له بحق الأقوى، ولكن الرغبة في جعله يطيع مدينيا أو تاجرا فهذا يعتبر إذلالا سيرفضه بكل ما أوتي من قوة.

الآغا الجديد حيدان بن أمين السكة لم يتمكن من فعل أي شيء يجعل العرب ينسون وصمة عار أصله ومهنته. كان يتميز بجشع مقرز، وشجاعة أكثر من الاشتباه بها، وخيانة أمانة مؤكدة . والى جانب ذلك المور لا يعرفون البلد جيدا، لأن مور الجزائر العاصمة لا يغادرون مشارف هذه المدينة إلا نادرا.

في اليوم الموالي لاحتلال الجزائر، أرسل باي التيطري ابنه الى السيد بورمونت، من أجل اجراء استسلام وطلب السلوك الأمن حتى يأتي بنفسه ال الجزائر العاصمة. تمت الموافقة على هذا السلوك الأمن، وقد أتى الباي شخصيا. وقام باداء يمين القسم بالولاء لفرنسا وحكومتها.

حفل التعرف على باي التيطري كان يوم 15 جويلية. ومن المعتاد في هذه الظروف أن يحصل المستسلم على علامة الكرامة، وهو سيف شرفي. السيف الذي أردنا تقديمه لمصطفى تمت سرقته في القصبة نفسها، قبل وقت قليل من الاحتفال، ولم نجد ما يحل محله. على الرغم من أن المضيفين الجدد لهذا القصر ضبطوا وجود العديد من الأسلحة الثمينة. لم يتلقى مصطفى أي سيف وهذا ما تسبب في استياء عميق. ومع ذلك، غادر الى المدية، عاصمة محافظة التيطري محتجا على تكريس نفسه لخدمة فرنسا.

بعد أيام قليلة من ظهور حمدان في خدمة الآغا، ظهر بن زمون، وهو رجل ماهر ومؤثر على قبيلة فليسة بمقاطعة سباعو، في اتصال مع القائد العام. اتصالاته أو مراسلاته كانت تثبت أنه شكل المشروع على نطاق واسع، لخلق مكانة سياسية مرموقة، بتشكيل وسيط بيننا وبين أبناء وطنه. العروض التي قدمها لنا كانت ذات طبيعة تجعلك ترحب بها أكثر من القيام بها. لقد توصل الى إقناع تجمع كبير ، أين يجب أن يقترح على العرب الإعتراف بالسلطة الفرنسية، بتعيين بعض الشروط التي تضمن لهم الرفاهية والحرية. عندما علم أن المارشال دو بورمونت يحضر للسير الى البليدة، كتب له على الفور من أجل منعه من ذلك، ومن التقدم في البلد، حتى تقوم معاهدة جيدة من تنظيم طبيعة العلاقات بيننا وبين العرب. لم يستجب السيد بورمونت للتحذيرات، وانطلق الى البليدة في 23 جويلية مع 1000 الى 2000 رجل من المشاة، ومئة حصان ومدفعين. هذه الحملة لم يكن

لها سبب الا الشعور بالفضول، لأنه لا علاقة لذلك بأي فكر سياسي. قامت المجموعة الصغيرة بالمرور على جسر واد الكرمة، وتوقفت طويلا في بوفاريك، هذا المكان المعروف كثيرا حاليا، والموجود في وسط مقاطعة بني خليل، ووصلوا في الليل الى البليدة، أين تم استقبالهم بحفاوة من طرف سكان المنطقة. في اليوم الموالي، لم نتأخر في إدراك أن العرب والقبايل يحضرون لمحاربتنا. كان العدو قد قام بقصارى جهده من أجل إخفاء نواياه، وإلا لكان قد ذبح جميع أفراد الفرقة العسكرية، لأن ذلك كان وشيكا لو أراد.

أقام الضباط معسكراتهم على أبواب المدينة، وهم متحمسون بخصوصهم، وقد تخلى الجنود عن كل شيء تقريبا، حيث تخلوا عن مواقعهم من أجل زيارتها، ولكن تم تحذيرهم عن طريق مظاهرات معادية جزئيا، وقد ركضوا الى معسكراتهم في حوالي منتصف النهار، تم اغتيال قائد سرية الأركان، بعيار ناري خلف سياج، حيث كان هناك ليقضي بعض الحاجات الطبيعية. على الساعة الواحدة أعطيت أوامر الانطلاق. وبمجرد ما بدأت الفرقة العسكرية بالسير، تعرضت لهجوم من مجموعة كبيرة (سرب) من العرب والقبايل، وكان اطلاق النار قويا مما جعل الكثير منا يترك المعركة. لحسن الحظ، تذكر الجنرال أوزال الذي كان يقود الفرقة العسكرية أن الطريق الذي سلكوه أمس كان أجوفا ومحاصرا في مسافة كبيرة: سلكوا طريقا آخر أوصلنا على الفور الى السهل. بدون هذا الالهام السعيد، كاد العدو أن يقضي علينا.

في السهل، لم يكن للقبايل شي يحميهم ولذلك لم يغامروا كثيرا. ومع ذلك واصلنا طريقنا حتى سيدي حايد، على بعد فرسخ (ما يعادل ثلاثة أميال) لحت بوفاريك. وفرت مجموعة جنودنا بعض تحميلات الأسلحة، ولحسن الحظ مازال التظلم يسود فرقتنا العسكرية. ومع ذلك، لم نتوقف سوى في محطة واحدة فقط من البليدة الى سيدي حايد، وسرعة سيرنا أعطت لفرقتنا صورة الفارين.

نامت فرقتنا في بئر توتة، وهنا تلقى السيد بورمونت عصا وبراءة اختراع مارشال فرنسا، الذي جلبه له ضابط الأركان، والذي وصل الى الجزائر خلال غيابه. تعيينه كان معروفا منذ عدة أيام. فرحة الانتصار، بعد احتلال الجزائر، تسممت بالنسبة اليه بموت ابنه. هما كان موت السيد تريلان، هذا القائد للسرية التي تحدثنا عنها سابقا، والذي أحبه مثل ابنه،جاءت اوسمة تكريمه لتغطي على حداده. وهذا الجنرال البائس (الحزين) لم يستطع أن يثبت رضاه بالمجد الذي حققته الحملة له.

بالإضافة الى ذلك صادف السيد دو بورمونت بعض الصعوبات التي أثرت على تجربته في البليدة. جرح فخره وحبه وسعى بشكل طبيعي الى البحث عن الأسباب الخارجية البعيدة عن تهوره. مور مدينة الجزائر العاصمة جعلوه يسمع أن الأتراك الذين بقوا في هذه المدينة يمكن أن يساهموا بمؤامراتهم. ويبدو أيضا أن خيانته وخداعه بسهولة يكون بوضع طرق مفترضة بين عينه، وفيها قام الأتراك بتكليف العرب بحمل الأسلحة. القائد العام، الذي كان يجب أن يحصل على مذنبين، أخذ ما عرض عليه، وأمر بترحيل كل الأتراك بكل وحشية،

وهو الشيء الذي لم يكن في شخصيته: لم يستثن الا المسنين والمكفوفين. كان يرغب في البداية في ضرب المنفيين بضريبة مليوني فرنك (2،000،000)، لكن سرعان ما تخلى عن ذلك، خشية أن يكون مجبرا على استخدام الوسائل التي تثير اشمئزازه. بالرغم من عودة الأتراك الى الاعتدال، الا أن ذلك لم يكن أقل ضغطا من الرجال الجشعين الذين استغلوا مصائبهم. العديد من مور المدينة الجزائرية أخذوا منهم مكافآت ومبالغ معتبرة، كثمن للخدمات التي لم يقدموها، وقضية عن وجود لم يكن مهددا أبدا. اسم القائد العام قام لأكثر من مرة بتسوية هذا النوع من المفاوضات، بواسطة رجال دون حياء، والذين كان من الخطأ دعوتهم الى مثل هذه الأعمال، ولكنه كان بعيدا عن معرفة وحتى معاقبة من ارتكبوا هذه التصرفات المتعفنة.

الأتراك الذين تم نفيهم تعرضوا لابتزاز من نوع آخر. الفترة القصيرة التي منحت لهم من أجل وضع الترتيبات اللازمة لأمورهم، جعلهم يفرطون في قيمة فواتير الصرف إلى بلاد الشام وايطاليا. ولم يستطيعوا أن يحصلوا الا على أسعار باهظة. بعض وكلاء القنصلية الخارجية دنسوا صفاتهم في هذه الأسواق بسبب الفوائد الفاحشة.

قبل حملة البليدة، كان السيد دو بورمونت مشغولا بتوسيع علاقاتنا حتى محافظتي قسنطينة ووهران. وتلقى اتصالا من الحكومة، يعلمه بأن مشروع دخول البوابة العثمانية في الجزائرالعاصمة وداخل مجلس الوصاية، والابقاء فقط على الساحل انطلاقا من الأربعطاش وصولا الى طبرقة، وهي المنطقة التي

يجب التوقف عندها. بما أن احتلال عنابة قد دخل في تنفيذ هذا المشروع، فقد تم حلها. ومن جهة أخرى، قام باي وهران بتقديم عروض الاستسلام، التي لا يمكن التراجع عنها، مهما كانت آراء الحكومة اللاحقة في هذه المحافظة، وقد أرسل اليه نقيب قائد أركان من أجل استلام يمينه. هذه المهمة كلف بها النقيب دو بورمونت.

تتكون المجموعة التي قادت الحملة الى عنابة من الفرقة 1 من القسم 1 من الجيش، وبطارية ميدان ومجموعة من مطلقي النار، ممن نزلوا يوم 25 جويلية على متن أسطول يتألف من سفينة وفرقاطتين وشراعية. هذه المجموعة من السفن، يجب أن تنزل المجموعات العسكرية في عنابة لتعود الى طرابلس من أجل إرغام باي هذه المنطقة على إصلاح الاهانة التي صدرت منه في حق الجناح الفرنسي. كانت هذا المجموعة تحت قيادة الجنرال دامريمونت، الذي أعطى في بداية حملته أدلة على براعته وشجاعته. كان سرب الجنود تحت أوامر محافظ الأميرال روزاميل. وبسبب عامل الوقت، لم تصل الا في 2 أوت أمام ميناء بون، وقد تقدمته السفية التي كانت تحمل السيد دو ريمبارت، وهو عميل سابق في الوكالات الفرنسية في إفريقيا. احتفظت هذه الأخيرة بذكاءاتها للمدينة، وأقنعت بدون عناء السكان من أجل استقبال الفرنسيين. وقد تم الهبوط بدون وجود عواقب تذكر.

قد يكون هذا المكان المناسب من أجل معرفة بعض التفاصيل عن محافظة قسنطينة، كما ذكرنا بالنسبة لمحافظة الجزائر، ولكن مثل هذا الاحتلال الأول

لبون لم يدم طويلا، وبقينا لأكثر من سنة بدون علاقات مع هذا الجزء من مجلس الوصاية وسنعود في كتاب آخر الى وصف ما يجب أن نقدمه. لقد تصرفنا بنفس الطريقة بالنسبة الى محافظة وهران.

شغل الجنرال دامريمونت نفسه مباشرة بعد هبوطه بوضع قواته في موقف دفاعي ضد العرب، الذين كانت مواقفهم بعيدة عن مواقف سكان المدينة. المفاوضات التي أراد أن يبدأها مع القبائل المجاورة كانت دون نتيجة، سواء كان ذلك بسبب خوف هذه القبائل من التعامل مع الفرنسيين، لجلب استياء باي قسنطينة، أو بسبب كرههم للمسيحيين الذي يبعدهم عن أي اعتبار آخر.

على بعد 400 متر من بون القديمة، توجد أسوار قلعة ، مثل ما في الجزائر العاصمة، وتسمى القصبة. استقرت احدى الكتائب هناك، أما بقية الفرق العسكرية فقد بقيت في المدينة، وحصنين تم بناؤهما على يمين ويسار طريق قسنطينة.

لم يتأخر العدو هن القدوم لمضايقة قاعدتنا الأمامية بواسطة نار المحاربين غير المرحب بهم. في 6 أوت، أراد السيد دامريمونت أن يلقنهم درسا ليعلموا مع من يتعاملون، وأمر بتنظيم حركة هجومية عليهم: لم يتحمل العرب صدمتنا، واختفوا. وفي اليوم الموالي، قام شيخ المجموعة (الكال) بتعزيزات خاصة، فتشجعوا، وفي ليلة 7 و 8 أوت، هوجمت صفوف الفرنسيين. تقدم العرب حتى حافة حفرة الحصن، ولكن حريقا مهولا وقف أمام عبورهم. في صباح 10 أوت،كان هناك هجوم آخر، لكنه كان ضعيفا.

في 11 أوت، لاحظ الجنرال دامريمونت أن الحركة السائدة بين صفوف العرب كانت مختلفة، وأن عددهم أصبح أكبر من المعتاد، وبذلك أدرك أنه يتم التحضير لهجوم خطير. انتقل شخصيا الى الحصن الذي كان يعتبر حسب موقعه الأكثر عرضة للتهديد، واستعد لدفاع قوي. خطط لانطلاق الهجوم على الساعة الحادية عشر ليلا. تسلل العرب الى أماكننا بجسارة مثيرة للإعجاب كان الجنود سعداء بمواجهتهم عدوا من مستواهم. تم صدهم بصعوبة وتواصل ذلك حتى الساعة الواحدة صباحا. عبر العديد منهم الخندق، وصعدوا على شرفات القلعة، وقاتلوا بالسلاح الأبيض داخل الحصون، أين ماتوا بكرامة بعد معركة شرسة، ساعدت فيها الشجاعة على الانضباط، وانتصرت الشجاعة لوحدها. ترك العرب 85 جثة في الخندق وعلى شرفات الحصون، دلالة على أنهم قاتلوا بشراسة. سمعت بعض الضباط يقولون بأن نجاحنا، دون أي أدنى شك، لن يكون كبيرا لو كنا في سهول سطاوالي، ولكان أكثر فتكا بأرواحنا، لو وجدنا أعداء مروعين مثل الذين وجدناهم في عنابة.

هذا الهجوم الساخن، كان آخر محاولة للعرب: حيث اقتنعوا بعدم جدوى جهودهم، وعاد معظمهم إلى القبائل. واصل عدد نادر جدا من المحاربين وقوفهم أمام مواقعنا. كان اللواء دامريمونت يستمتع بلذة النصر، حين تسلم فجأة أمر العودة الى الجزائر العاصمة. سنرى لاحقا سبب هذا الاستدعاء العاجل.

بينما كانت هذه الفرق العسكرية الشجاعة تقاتل في عنابة، تحصل محافظ الأميرال روزاميل في طرابلس على الإرتياح الذي كان يصبو إليه. وفي طريق عودته، أخذ فرقة دامريمونت، التي دخلت الى الجزائر العاصمة في 25 أوت، بعد غياب دام شهرا. هذه الرحلة القصيرة كان شرفا كبيرا للجنرال دامريمونت. كانت مواقفه العسكرية تستجيب لمواصفات الصورة التي أعطاها عن نفسه، كما جعله سلوكه وتصرفاته اتجاه سكان عنابة معروفا في جوانب أخرى لا تقل تميزا وحسنا. أولى في البداية الرعاية والاهتمام لوظائف القايد والقاضي، وأنشأ بعد ذلك مجلس الأعيان للتوسط بني المواطنين والسلطة الفرنسية. عندما كان عليه اتخاذ بعض الاجراءات التي يمكن أن تتنافى مع عادات السكان، كان يسمع أهدافه لمجلس الأعيان، ويقوم هذا الاخير بايضاح نواياه للسكان عموما. كانت معاملته بهذه الطريقة من أجل كراء المنازل المطلوبة لتكون ثكنات، وخلال أيام قليلة تم ايواء فرقته العسكرية. دقته في الوفاء بوعوده، وطباعه اللطيفة، لم تتوان في جعله يحصل على تقدير واحترام المواطنين، الذين أسرف في تقديم أدلة أقل غموضا عن عاطفته اتجاههم حتى آخر لحظة. كانت سمعته في العدل والاعتدال متشرة الى الخارج، وهذا ما ساعده على الحصول على استسلام بعض القبائل الذين يعرفون قيمته عندما جاء أمر باجلاء عنابة، مما تسبب في إجهاض علاقة كانت بدايتها جيدة. وبمغادرته، ترك ذخيرة لسكان عنابة، الى جانب سلوكهم

الوفي والموالي لنا، مما دفعهم الى الانتقام من باي قسنطينة. جعلهم يتعلقون بأمل دعم فرنسا الدائم لهم.

لقد رأينا فيما سبق بأن القائد دو بورمونت تم ارساله الى وهران من أجل استلام وثيقة استسلام الباي. هذا الشخص (الباي) الذي يدعى حسن كان رجلا قويا، مسنا وقد سئم السلطة. ولم يكن يريد إلا العيش بسلام بثروته التي اكتسبها. عرب المحافظة أرادوا أن يستغلوا سقوط الحكومة الجزائرية من أجل استعادة استقلالهم، الممنوع في العاصمة، وذلك عندما وصل القائد دو بورمونت. بالرغم من ان هؤلاء الأتراك ظلوا أوفياء، الا أنهم رفضوا العيش قلقين الى جانبه، وطالبوا بإصرار ارسال فرق عسكرية فرنسية الى وهران، ووعدوا بتقديم المدينة والحصون. وفيما يخصه شخصيا، أعرب عن رغبته في الاستقالة وإكمال أيامه الأخيرة في آسيا.

وبينما كان يحادث النقيب دو بورمونت، رسى النقيب لو بلان، الذي يقود شراعية (التنين) وسفينتين ، بالصدفة في مكلا وهران، وأخذ على عاتقه مهمة إنزال المئات من البحارة إلى الأرض. هذا ما أدى الى الإستيلاء على حصن المرسى الكبير، دون أن يبدي الأتراك، الذين شكلوا الحامية، أية مقاومة. هذه الطريقة المباغتة للمضي قدما لم تغير شيئا من مواقف الباي. عاد النقيب دو بورمونت إلى الجزائر العاصمة على متن شراعية التنين، ليعلم والده والبحارة الباقون في حصن المرسى الكبير بأنه مدعم في المكلا (مرسى) بوجود سفينتين أخريين.

وحسب تقرير ابنه، انتقل المارشال دوبورمونت الى وهران رفقة الخط 21، الذي يقوده العقيد غوتفريي، الذي تسلم 50 خبيرا في الهندسة (المتفجرات)، ومدفعين جبليين من نوع هاوتزر. أبحر أعضاء البعثة في 6 أوت، ولم تتسلل حتى بمياه مكلا وهران حتى تم طلبها عاجلا كما هو الحال في عنابة. نزلت بعض سرايا الجيش الى الأرض، ولكنها صعدت على الفور مجددا، وتم ترك حصن المرسى الكبير من خلال القفز عبر حصن الجانب الأمامي من البحر. عرضنا على الداي نقله إلى آسيا، التي أبدى الرغبة الملحة عليها. لكنه أجاب بأنه يريد لو يحصل التفاهم مع العرب، ويبقى في وهران، لكنه كان ينظر إليه دائما كتابع خادم لملك فرنسا.

وبينما كانت تجري هذه الأحداث، كانت هناك محاولة من أجل الاعتراف بالهيمنة الفرنسية على بوجي (بجاية). في 3 أوت، تقدم فرد من هذه المدينة الى السيد دو بورمونت، ويدعى مراد، وقال أنه مرسل من طرف المواطنين الذين يرغبون في الاستسلام لفرنسا. وطلب لنفسه مهنة القايد، وقال بأنه يكفي وجود سفينة حرب واحدة كي يعترف بسلطتها في بوجي، وكي يبدي الجناح الفرنسي الاهتمام به. وافق المارشال على طلبه، دون أي امتحانات، وعينه "قايد"، وتحصل على شهادة وهدايا وختم أيضا. تلقت شراعية الدولة أوامر بقيادته الى بوجي، وتنقل معه ضابط أركان من أجل معرفة البلاد، وموظف مدني من أجل انشاء علاقات تجارية إن أمكن ذلك. وبالوصول إلى مرسى (مكلا) بوجي،

توجه مراد والمور الثاني، الذي كان من المفترض ان يكون نقيب الميناء، ثم الشاطئ، على متن قارب كان يملكانه، والذي اتبع السفينة الشراعية. ولكن بمجرد نزولهما قطع رأسيهما. دخلت الشراعية التي أطلقت مدافعها عبارات نارية إلى الجزائر العاصمة، بعد هذا المشهد الدموي.

يبدو أن هذا البائس مراد، الذي كان شابا ومتغطرسا ينتمي الى هذه المدينة، ولكن بغيابه القصير، انقلب الحظ عليه. على أي حال، كانت هذه المجزرة التي حدثت تحت أعيننا، في حق رجل جعلناه يتمتع قليلا بوظائف مرموقة، واخلاء عنابة ووهران، والتي يمكن للعرب أن ينتبهوا لها، ويوجهوا ضربة قاتلة لاعتبارنا الذي قل بعد معاهدة البليدة. فقدنا كل تأثير معنوي بأخذ الجزائر، ومررنا عبر جميع أنحاء البلاد، على شعب دون إرادة ولا مثابرة، مما يسمح لنا بالقيام بكل ما نريده. تعززت وقاحة العرب خصوصا بسبب الجمود والتراخي الذي لحق بالسيد دو بورمونت في الجزائر العاصمة، عندما علم بأحداث جويلية.

في 11 أوت، وصلت سفينة من التجار من مرسيليا، وهي تحمل غالى الجزائر العاصمة نبأ سقوط تشارلز العاشر. وبما أننا لا يمكن أن نحتفظ بأدنى شك، بدا أن السيد دو بورمونت كان قادرا على تحقيق مشاريع أكثر أو أقل اتقانا، بهدف الحفاظ على شرعية جيش إفريقيا. لكن عندما أعطت اتصالات الضباط للأحداث التي كانت فرنسا مسرحا لها صفة عمل منجز، فقد تخلى عن متابعة الطريق، وبعد أيام قليلة من التردد الذي تصوره جيدا في موقفه، قام أخيرا برفع

ألوان العلم الثلاثة على أسطوله. الطريقة التي أثارت بها ثورة جويلية اعجاب جيش افريقيا، لا تندرج إلا بشكل غير مباشر جدا في موضوعي، أعتقد أنه يجب أن أعود في ملاحظتي الى ما يجب أن أقولها في هذا الصدد[1].

لا يمكن ولا ينبغي على السيد دو بورمونت التواصل مع قواته التي حصل على إشعار رسمي لاستقبالها من الحكومة. هذا الأخير، الذي رأته مناسبا للحد من ثورة جويلية لإبعاد ضيقة من تنازل الملك، أشار المارشال الى هذا التنازل، وترقية السيد دوق أورليانز إلى منصب الملازم الأول العام للمملكة. توقفت اتصالات الحكومة هناك، والسيد دو بورمونت لا يمكن أن يعرف بالجيش الذي ناداه هذا الأمير الى العرش. لم يعرف ذلك إلا عن طريق الصحف وإعلان وصول الجنرال كلوزيل، خليفة السيد دي بورمونت، الذي عرف أن للملك الجديد شرعية القانون، الخاصة بالخيار والضرورة. الجيش الذي كان على قناعة للقيام بكل شيء أفضل لفرنسا، لم يعد يهتم بهذه القضية.

بمجرد أن سمع السيد دي بورمونت عن أحداث جويلية، قال انه يرى ضرورة جمع كل القوات لتكون جاهزة لوقت الحاجة. حتى انه سارع في الجزائر العاصمة الى استدعاء اللواء دمريمونت وفوج العقيد غودفراي، مما أدى إلى إجلاء بون والتخلي عن وهران التي تحدثنا عنها من قبل. هذا الاجراء، المبرر باقتراب حرب أوروبية، ربما كانت هناك دوافع أخرى، ولكن لا جدوى من البحث عنها.

---

(1) انظر في الجزء الثاني الملاحظة 6.

السيد دي بورمونت الذي، على ما يبدو، كان يأمل بأن تكون الخدمة
قدمها لكل المسيحيين، ستحقق له المحافظة على موقفه على الأقل.
قام باي التيطري بأخذ ذريعة طرد الأتراك، لإعلان الحرب، وتكلم
دون أن يتبع ذلك بأي عمل ؛ ولكن الجيش الذي كان كله يحاصر الجزائر
العاصمة، كان مجمدا في خطوطه من طرف عرب متبجحة: كانوا يقتلون
جميع الذين يغامرون بالخروج. تم قتل عقيد الفوج 1 وأحد ضباط
سهل باشا مصطفى، على بعد أقل من ميل من قلعة باب عزون. وهكذا
فإن القاترين بالجزائر العاصمة، الذين بالكاد عثروا على مكان للتحرك
قد حوصروا من قبل بعض الرعاة المسلحين على نحو رديء، تحت ضغط
مخاوفهم، وانتظار قرار الحكومة فيما يتعلق بمصيرهم.

وأخيرا، في الأول من سبتمبر، ظهرت السفينة التي تحمل الجنرال كلوزيل
وخليفته السيد دي بورمونت في ميناء الجزائر العاصمة. وفي اليوم نفسه
أدخل الجنرال الى عاصمة مجلس الوصاية. السيد دي بورمونت الذي أعرب
حتى الآن، عن نيته في الذهاب إلى فرنسا، غير قراره فجأة، دون أن يعرف
جيدا ما نوع التأثير الذي سيسفرعنه. قرر بعد بعض التردد، أن ينسحب
مؤقتا لماهون، وطلب من سفينة الدولة أن تقوده، لكنها رفضت بشدة،
وذهب بعد ذلك الى الميناء، مع عدد من أعضاء جناحه، وهناك بحث مطولا

عن سفينة تجارية لتستقبله. ولم يجد الا سفينة شراعية نمساوية صغيرة، والتي
أبحر عليها في اليوم التالي مع اثنين من أولاده. الأكبر ذهب ليحمل علم
فرنسا الذي أخذه على العدو، أما الرابع فقد قتل في الحملة. وهكذا، تم نفي
السيد دي بورمونت عن الجزائر العاصمة. ومع ذلك، فقد هرعت بطاريات
البحرية في وقت رحيله، الى تحيته كجمعية خيرية، من خلال إطلاق واحد
وعشرين طلقة.

الكتاب 5

وصول الجنرال كلوزيل. - لجنة التحقيق. - تنظيم جديد للجيش. - تدريب الزواوة (جندي المشاة الجزائري في وحدة جيش فرنسية). - لجنة الحكومة. - منظمة الخدمات العامة المختلفة. - العدل. - المجال. - الجمارك. - تدابير المكافحة الصادرة في حق الأتراك والشركات. - المزرعة النموذجية. - تحليل أعمال الإدارية المختلفة.

شغل السيد الجنرال كلوزيل، الذي وضعته الحكومة الجديدة على رأس جيش أفريقيا، مكانة متميزة في تاريخ المجد الفرنسي، وكنا نتطلع إليه، وكنا على استعداد لاستقباله. ولكننا أجبرنا على القول أن أول اتصال له مع الجيش من المرجح أن يكون لخفض الحماس قليلا. أصدر أول إعلان ليعلم بوصول قوات الملك لويس فيليب، والبعثة التي كان مسؤولا عليها، دون أن تشير كلمة واحدة الى أن المجموعة كانت مسرورة بجيشه الأفريقي، ولا أنها تتبنى المجد الذي غطت عليه.

في اليوم الموالي ظهر جدول أعمال حيث كانت هناك جملة قصيرة مفادها المديح في مقدمة لإعلان تشكيل لجنة تحقيق لرؤية الحقيقة حول موضوع معاقبة المذنبين المتهمين بالإشاعة في جيش أفريقيا. جدول الأعمال هذا، كان رد الفعل عليه أكثر عداء من كونه مرحبا به، وقد أنتج انطباعا مؤلما.

يبدو بالتأكيد أن الانتشار المؤسف لواقع الخراب الذي اقترف في الجزائر العاصمة في الجرائد، كان كثيفا بما فيه الكفاية ليجعل الجنرال كلوزيل مجبرا على التحقق من حقيقة ذلك، ولكنه كان يرغب في تجنيب الجيش الذي يقوده العقوبة، فلم يرغب في وضع 36000 رجل محل إدانة بسبب جرائم لم ترتكبها الا مجموعة صغيرة من الجيش.

اختيار أعضاء لجنة التحقيق لا يمكن أن يخفف الاجراءات التي كانت مهينة: تم تعيين القليل من الرجال الذين نحبهم ليكونوا قضاة في قضايا تخص الشرف. بدأ هؤلاء السادة مهمتهم بمرارة، وكانوا يشيرون الى الاعتقاد بأنهم غيورون من المفسدين. لكنهم كانوا أكثر لطفا تدريجيا، وفي الأخير، وفي 21 أكتوبر، لم يفقد الجيش الذي علم رسميا تقدير السادة دولور وفوجيرو وكادي دو فو وبيلو دو بي وفلاندان. ظهرت بعض الاضطرابات في تلك الفترة، لكن تم التخلي عن الندم الذي كان يلاحقهم، وواصلوا الى ما لا نهاية.

بينما كان هذا يحدث في الجزائر، تفرغ الضباط الرسميون من جيش إفريقيا العائدون إلى فرنسا، في مارسيليا وتولون، الى البحوث الأكثر ازدراءا. وقد حمل موظف جمارك بائس عار تفتيش جثة الشجاع أميدي بورمونت الذي نقل للدفن.

وبالعودة الطبيعية للأشياء، عانى السيد الجنرال كلوزيل بدوره من هجمات ضغينة. انتقد بمرارة بسبب بعض الاتهامات الخاصة بالاستحواذ على الملكية

التي قدمت له خلال فترة قيادته. ذهبنا إلى أبعد من ذلك، وما يمكن أن يثبت له في هذا القرن هو عدم تجنيب أوحماية أي شخص، ولا حتى أولئك الذين يتمتعون بأفضل سمعة وأروعها ويستحقون الأفضل. وعلاوة على ذلك، حتى عندما سعى الجنرال كاوزيل لتحسين ثرواته في أفريقيا، كان يقول دائما، كما هو الحال بالنسبة الى المارشال فيلار، بأنه اذا خدم نفسه، لم يهمل أبدا شؤون فرنسا.

الحق بنظراته الواسعة روحا قوية، وقد كان أساسا يتمتع بصفة جيدة وثمينة، تتمثل في معرفته الجيدة كيف يتكفل بكل شيء بنفسه. فمن المفترض، ونود أن نعتقد بأننا لو تركناه يعمل ما يشاء، لكان قادرا على الاستفادة من البلد الذي يديره لوقت قصير جدا. ولكن من المفترض بسبب هذا، الدراسة بعناية أكثر مما قام به، وخاصة الإبعاد عن شخصه بعض الرجال الجديرين بثقته، والذين يمكنهم فقط إعطاء الاتجاه الخاطئ للأعمال.

لا يمكن للسيد الجنرال كلوزيل، الذي انسحب من الجيش منذ خمسة عشر عاما، وقائد أركانه السيد الجنرال دولور، أن يكونا على إدراك تام للتشريع العسكري، الذي يعتبر للأسف متغيرا. بعض الأعمال يحس بها من بداية إدارتها، ولكن سرعان ما تسلم هذه الأنواع من التفاصيل الى نقيب الأركان السيد شابيل. هذا الضابط المتمكن والعامل المنضبط والجيد وصل الى نشر هذا الجزء من الخدمة بلحن عسكري منتظم، لكنه لم يستطع منع تشكيل أربعة أقسام من الأقسام الثلاثة التي تشكل جيش أفريقيا. هذا الإجراء لم

يكن غرضه سوى توفير فرصة عمل للجنرال كاسون، مرافق جيش السيد كلوزيل، الذي استخرج من ثورة جويلية، على الرغم من عدم قدرته نفسيا وجسديا على تقديم أي نوع من الخدمة.

كان من غير المعقول زيادة عدد أقسام الجيش، التي أمر العديد من أفواجها بالعودة إلى فرنسا: تمثلت هذه الافواج في فوجي المشاة والخط 3. لملأ الفراغ بعد رحيلهم من الجيش، أمر القرار الصادر في 1 أكتوبر بتشكيل كتائب من الأهالي، تحت اسم كتيبة الزواوة. تصور السيد دو بورمونت مشروع هذه المنظمة، لكنه لم يعتقد أنه من الضروري وضعها موضع التنفيذ في الموقف غير مستقر الذي وجد نفسه فيه. الزواوة هم "القبايل" الأحرار من محافظة قسنطينة، والذين باعوا خدماتهم القوية البربرية، كما فعل السويسريون في أوروبا. تشكلت أولى هذه الكتائب، تحت أمر السيد نقيب الأركان مومي، بجدارة لا شك فيها، ثم حاولوا تشكيل الكتيبة الثانية، والتي كانت دائما غير مكتملة، تحت أمر السيد دوفيفي، نقيب الهندسة، وهو ضابط يستحق المنصب بجدارة عالية، بسمعته الرائعة في الجيش. جلبت الوعود الجميلة عددا من الأهالي في الصفوف الأولى، ولكن عدم أداء الوفاء جعل الكثير يغادرون. هذه الكتائب لم تحافظ على وجودها الا بالنشاطات الهائلة من قادتهم، الذين اضطروا إلى المحاربة ضد الصعوبات من كل نوع، والتي كانت في معظم الأحيان صادرة عن الغيورين الموجودين مع القائد العام.

العديد من الجنرالات وكبار الضباط تركوا وظائفهم نتيجة لثورة جويلية. السيد ديسكار كان من بين الأوائل: تم استبداله في قيادة القسم 3 بالجنرال بويي، الذي خدم لبعض الوقت مصالح مصر.

فكر الجنرال كلوزيل، الذي اهتم بترتيب شؤون الجيش، وقدم الوظائف الشاغرة، في توسيع منطقة الاحتلال قليلا. كان هناك فقط طريقين عمليين للجيش من أجل الانتقال من الجزائر العاصمة إلى متيجة، أحدهما على ساحل البحر، والآخر عبر تلال الكتلة الصخرية للجزائر. تم إنشاء المواقع في هذه الطرق، وأهمها تشغل حوش الحسن باشا، الذي حصل على الاسم من المزرعة النموذج. هذه المزرعة، التي تشكل فيها المباني موقعا سهلا للدفاع، على بعد ثلاثة أميال من الجزائر العاصمة، وفي سفوح مدخل متيجة.

ومع ذلك، فإن القائد العام لم يغفل وجوب أن يكون محاربا ومسؤولا في نفس الوقت. نحن شاهدنا بأنه بإهمال السيد دي بورمونت تعطلت جميع الخدمات العامة. لقد أصبح من العاجل استعادة أمر بأن سكان أوروبا المدنيين ينمون كل يوم.

في 8 سبتمبر، تشكلت إدارة الجمارك وإدارة ممتلكات الدولة. هذه الأخيرة كانت مسؤولة ليس فقط عن إدارة ممتلكات الدولة، بل يجب أن تكون على دراية بجميع الحقوق غير الجمركية. سلمت الإدارة للسيد جيراردين الذي وضع على رأس خدمة الجمارك، التي سيرها كرجل مستنير. لأن تكاليف

الجمع تحت ادارته، والتي كانت في تلك الفترة 18 % لم تكن تقدر الا ب 7،5 %.

في 16 أكتوبر، تم إنشاء لجنة حكومية لتوفير دفع للإدارة وتقرير المسائل والقضايا المثيرة للجدل: وتتكون من أمين خزائن جيش الاحتلال ومجلس الوصاية، اللذين كانوا يرأسونها، ومن ثلاثة أعضاء آخرين، الأول للعدالة، والثاني للشؤون الداخلية، والثالث للمالية. وكان أعضاء هذه اللجنة كل من: السيد فولاند، رئيس أمن المخازن، الذي حل محل السيد دونيي، والسيد ديفال، قنصل فرنسا، المسؤولة عن العدالة، والسيد كاديت دي فو، المسؤول عن الداخلية، والسيد فوجيرو، المسؤول عن المالية، كما تم تعيين السيد كاز سكرتيرا لهذه اللجنة.

تم الحفاظ على البلدية، التي أنشأها السيد دوبورمونت. وكان على رأسها مفوض الملك، السيد كادي دو فو، خلفا للسيد بروجيي، وبعد بعض الوقت، أصبح السيد جارمون نائبا له، الذي وضع في هذا الجزء من المصلحة أمرا بأن السيد كادي دو فو غير قادر على التكفل حتى نفسه.

تم استبدال السيد أوبينوسك في مهامه كملازم عام للشرطة، بالسيد رولاند دي بوسي. وكان هذا الأخير يحمل فقط صفة المفوض العام، وتم تعيينه من طرف وزير الداخلية، الذي نص على التواصل مع الإدارة مع وزارته، على الرغم من أن الجزائر ليس ضمن اختصاصاته. أنا لا أعرف لأي حد امتثل السيد رولاند

دي بوسي هذا الحكم، الذي لم يعجب السيد الجنرال العام كلوزيل بالتأكيد. العمل الأكثر أهمية في إدارة عامة كلوزيل، كان تنظيم المحاكم. في 9 سبتمبر أنشأت المحكمة المختلطة المؤلفة من الأوروبيين والسكان الأصليين (الأهالي)، ولكن لم يكن هناك إلا وقت قصير، وقام مرسوم 22 اكتوبر بتنظيم إدارة العدالة على النحو التالي:

محكمة للعدل، تتألف من ثلاثة أعضاء، كان عليها أن تتعامل مع جميع القضايا المدنية أو التجارية، التي يهتم بها الفرنسي، وأسباب لها نفس الطابع بين الأجانب من مختلف الأمم، وتلك الخاصة بهذه الأخيرة مع السكان الأصليين (الأهالي). سمح لها بتطبيق القانون الفرنسي أو القانون الخاص بمجلس وصايه الجزائر العاصمة، حسب الاقتضاء. يجب أن تحكم في نهاية المطاف إلى مبلغ قدره 12،000 فرنك. بغض النظر عن جميع الأضرار والفوائد.

يعلن عن المسائل الجنائية بين الفرنسيين في الجزائر العاصمة عن طريق محكمة العدالة، ويعاد إرسالها الى فرنسا من أجل المحاكمة. الأمور الجنائية بين الفرنسيين والأجانب يتم التعامل معها بنفس الطريقة، ويكون الرئيس العام على علم بها من أجل تحديد انتهاتها.

تم إنشاء محكمة الشرطة: وهي تجمع في مسؤولياتها تلك الصلاحيات الخاصة بقضاة الصلح، و تعتبر محاكم القضاء المستعجل (محاكم الشرطة البسيطة).

احتفظ الأهالي بقضاتهم وقوانينهم. جميع المسائل (القضايا) بين المسلمين

يجب أن تمثل أمام القاضي الفوري والحكم غير قابل للاستئناف سواء كان سبب
أو الجنائية. جميع المسائل بين الإسرائيليين، على حد سواء المدنية منها والجنائية
يتم تعيينها في محكمة الحاخامات الثلاث، والتي تصدر الحكم الساري أيضا
وفي الأخير كان حكم القاضي المغربي في جميع الحالات بين المسلمين واليهود
قابلا للطعن أمام محكمة العدل.

وضع مرسوم 15 أكتوبر تحت ولاية مجالس الحرب، الأهالي المتهمون
بالجرائم أو بالجرائم المرتكبة ضد الأشخاص أو ممتلكات الأوروبيين. لم يكن
هناك أي تغيير في هذا الحكم.

لا يمس مرسوم 22 أكتوبر بقضاء القنصلية. واصل موظفو مختلف القوى
في النظر في القضايا بين الناس من الذين ينتمون الى وطنهم. أعطى القائد العام،
الى القاضي والحاخامات سلطة قضاء غير قابلة للاستئناف، ليحتفظ بالحق في
اتخاذ قرار عن الشكاوى أو إنكار العدالة ويمكن أن يحاكم عليها.

النشاط التشريعي الذي قمنا بتحليله فاز بمدح السيد بيشون نفسه، والنقد
اللاذع عن كل شيء في الجزائر، لم يصدر عنه. عرف بسد حاجة اللحظة الحاضرة
دون المساس بالمستقبل، وتحويل الصعوبات بمهارة[1].

أي جانب ننظر اليه، هناك القليل مما يمكن قوله ضد الأحكام

(1) المور (المغاربي) حمدان بن عثمان خوجة، في الكتاب الذي نشره عن الجزائر العاصمة، ينتقد مرسوم 22 أكتوبر، بعد أن الغى ولاية (السلطة القضائية) القاضي الحنفي. ويدعي بأن هذا الاجراء هو عقبة أمام التبرعات الصالحة، التي يعترف بها هذا التشريع الحنفي، حتى عندما عرضت شروطها في هذا الصدد، كانت أسهل شروط التشريع الملكي، الذي لا يعترف بها الا عندما تكون فورية ومطلقة. يشكو حمدان من الخطأ في هذا الظرف.لم يتمم القاضي الحنفي وظائفه بسبب القضاء الذي لا يزال في الجزائر، إلا بالاسم بما أن طرد الأتراك، الذين كانوا الحنفيين الوحيدين في مجلس

الصادرة عن مرسوم أكتوبر 22، ولكنه لم يتم حتى تعيين القضاة،
وهذا ما قدم العديد من المخالفات. في الأول السيد ميشال، الذي كان
في هذه الفترة الحالية، لا يزال يشغل منصب القنصل، وفيما يتعلق بأعمال
الأحوال المدنية وكتابة العدل (نشاط كاتب العدل أو الموثق)، فلا ينبغي
أن تكون من نشاطاته، لأنه كان يمكن أن يطلب لحكم صحة الأفعال
الصادرة منه؛ ثم كان ينبغي أن يكون السيد رولاند دي بوسي قاضيا
ويتوقف عن نشاطه كمفوض الشرطة. وقد رأيناه قبل عدة أشهر، يقوم
بأداء هذه المهام المزدوجة وغير المتناسقة.

السيد الجنرال كلوزيل، وبعد تنظيم أكبر الفروع في الحكومة، خلق
فرصا قليلة للعمل تقتصر على استخدام أكثر أو أقل إثارة للجدل. وهنا
شكل لجنة طريق، التي يجب عليها أخذ جزء من الوظائف الطبيعية
للبلدية، لأنه لم يكن من المؤكد الاستقرار في الجزائر، وخاصة في هذا
الوقت، وهو تمييز بين الطرق الكبيرة والصغيرة. كلف أمين هذه اللجنة
بتغيير أسماء كل الشوارع، ومايصبو اليه هو عدم تعرف سكان الجزائر
على مدنهم. أراد السيد كلوزيل أن يضع كل الأقربين إليه.

هذا المثال الجيد لهؤلاء المخترعين، وأعقبه في ذلك رئيس أركانه، حل
الغاسكونيين (سكان غاسكون) المحليين على لائحة المترجمين العرب.

الوصاية، وبقوا بدون قضاة. وبذلك توقف القاضي الحنفي عن كونه قاضيا، ولكنه بقي كذلك على المسلمين، واذا أراد السيد حمدان أن ينشأ له مؤسسة من ممتلكاته، فسيستقبل ذلك بالكثير من الشرعية أكثر من الاستعداد.

الجهاز الاداري الذي تحدثنا عن نشأته، بدأ نشاطه من أجل السلطة، وأحيانا لأوامر القائد العام. وفي بعض الأحيان من أجل تشريع المدنية. سوف أقدم أهم الأوامر التي لها علاقة بإدارة ممتلكات الدولة.

في 8 سبتمبر، وبسبب حقارة الاستسلام، أمضى مرسوما يضم الى ممتلكات الدولة، ممتلكات الداي والبايات والأتراك المرحلين، وكذا ممتلكات مكة المكرمة والمدينة المنورة. هذا الانتهاك من محلف كان خاطئا للغاية، وقد مر ذلك في باريس خفية، دون أن يلاحظه أحد. ولكن في الجزائر كانت هناك شكاوي حقيقية ونزيهة، ليس من طرف الأتراك، الذين كانوا يقتلون بكثرة لو تجرأوا على رفع صوتهم، ولكن من طرف عائلات الأهالي، التي كانت متحالفة معها. الذين نصحوا الجنرال كلوزيل بهذا الاجراء،كانوا يعرفون جيدا عدم الشرعية بعدم جعلها عامة معلنة عن طريق الملصقات، وسيلة النشر الموجودة في الجزائر: لا يمكن معرفتها الا بالتطبيقات التي أجريت على التوالي، حسب الظروف، وربما أيضا حسب ملاءمة المسؤولين المكلفين بالتنفيذ. سنرى فيما بعد، وتحت إدارة الجنرال بارتازين، التحويل بالقبض لفترة غير محدودة، للمصادرة المعلنة ضد الأتراك المساكين من طرف السيد الجنرال كلوزيل. هذا القبض كان موجودا أيضا في اللحظة التي كنت أكتب فيها.

في 7 ديسمبر، ظهر مرسوم يعطي لإدارة ممتلكات الدولة حق تسيير ممتلكات مكة والمدينة، الخاصة بالمساجد، وعموما تلك التي تعود الى جهة خاصة والمتعلقة بالمجتمعات. هناك ملاحظتان مهمتان حول هذا المرسوم. الملاحظة الأولى، أنه يتحدث عن ممتلكات مكة والمدينة وكأنها تنتمي الى المنشأة، على الرغم من أن الاجتماع في الميدان يشير الى أن المشرعين، مثل الجنرال كلوزيل، ينظرون إلى المرسوم الأول على أنه تافه، أو أنهم نسوا وجوده. أما الملاحظة الثانية، هي أن الظرف الذي صنع مرسوم 7 ديسمبر اقل جباية مالية) من الذي ساهم في تحرير مرسوم 8 سبتمبر. هذه ببساطة عبارة عن عملة إدارية تريد تحطيم المهام الخاصة في مجلس الوصاية، لأن قواعد قوانين تشريعنا المالي لن يقبل بها في فرنسا مجددا.
لأنه كان من المفهوم أن الخزينة الكنز كان يجب أن توفر نفقات هذه المهام.

طبق مرسوم 7 ديسمبر دون صعوبات فيما يتعلق بملكية النوافير. الكل كان يعلم أن نصب النوافير لدى المسلمين كان عملا خيريا عاما كثير الحدوث من طرف أشخاص أغنياء، والذين يخصصون لصيانتها بنايات ومعاشات. كان في الجزائر العاصمة العديد من المؤسسات من هذا النوع الذي جرده مرسوم 7 ديسمبر. الاهتمام والحفاظ على النوافير يمر بأمين العيون، الذي لا يعتبر الا عاملا خاضعا للعلماء المهندسين الفرنسيين.، ومنذ هذا التغيير، كانت الجزائر العاصمة مهددة كل سنة بمشكل الماء. لا تتطلب الهندسة المدنية أقل من 600،000 (600 ألف) فرنك فرنسي من أجل ضمان الخدمة. هذا المبلغ الذي يقدم مسبقا يمثل انفاقا سنويا يقدر بـ 30،000 (30 ألف) فرنك، ينبغي أن تكلفة صيانة

النوافير، والتي ارتفعت في 1834 الى ما يعادل (24 ألف) 24،000 فرنك الدخل الذي ينزع منه ملكية الدولة للنوافير ليس سوى 17،763 فرنك و23 سنتيم. وبالتالي، سيكون علينا الإنفاق لهذا الشيء 36،236 فرنك و 78 سنتيم، التي تمكنا من اقتصادها عندما سمحنا ببقاء إدارة امين النوافير، التي تضمن تقديم خدمة جيدة أرخص من تلك التي يقدمها مهندسينا. وأنا أعلم جيدا أنه يمكن الاجابة على ذلك، بأن جنودنا حطموا أو دمروا جميع القنوات (النوافير)، وأن النفقات العامة الزائدة المفروضة على أنابيب المياه من طرف عرباتنا الثقيلة، والتي غالبا ما سحقت، فإنه ليس من المستغرب أن تكون الرسوم (ما يتم انفاقه) في زيادة. ولكن إذا دمر الجنود القنوات، فمن ينبغي أن نلومه على هذا الخطأ؟ أما فيما يتعلق بالنفقات العامة الزائدة على قنوات، فالجميع يعرف أن هناك ثلاثة شوارع فقط في الجزائر العاصمة حيث يمكن للسيارات السير، وخارج الهندسة كانت متقنة بما فيه الكفاية في أرضه لكي لا تترك مجالا للمرور الى الطرق التي بناها بالضبط فوق القنوات نفسها، إذا كان دراسة الاتجاه تتطلب كل هذا الازعاج. أذكر على سبيل المثال طريق "بيرماردريس" (بير مراد رايس)، حيث لم تنته بعد عملية الحفر، وقد أدركت فرقة الهندسة انها كانت فوق القناة (قناة لجر الماء) التي تحمل نفس الاسم. من المؤكد أنني لست من المعجبين بالحكومة التركية، ولكن من المحزن أن نرى اننا نقوم بكل هذه الاساءة (الشر)، وبنفقات أكثر منه.

التسيير من قبل الإدارة لممتلكات الدولة وممتلكات المؤسسات الدينية والخيرية،

فتح الباب أمام شكاوى عديدة: كانت الحكومة متهورة في ذلك، ولكن وفقا لعادتها حيث لم يسبق حل أي قضية بشكل كامل، فإنه لم يلغ مرسوم 8 سبتمبر و 7 ديسمبر، واكتفت بالتخفيف من التطبيق. تم الاتفاق عل أن ممتلكات هذه المؤسسات لا تزال يحكمها "الأوكيل" أو النيابة العامة للمسلمين، ولكن زيادة الدخل يتم دفعها الى الخزينة.

وكان التسيير بعد ذلك في هذه المسالة على هذا القبيل، أن مصالح وزارة المالية وتلك الخاصة المؤسسات الدينية والخيرية تم التضحية بها لمصالح خاصة، وهذا يعني تلك المصالح الخاصة بالأوكيل. في الواقع، إذا كان مرسوم 7 ديسمبر قد طبق بالكامل، بعد دفع الكثير من التسهيلات للمؤسسات التي استفادت من الزيادات، وإذا كان العكس، وألغي المرسوم تماما، فيتم اتباع الإيرادات دون وجود أي عقبة إلى وجهتها السابقة. ولكن الحكومة التي تراجعت قبل التنفيذ الكامل لمرسوم ترك نوعا من الفوضى، وإعفاء من جهة، والذي أعفى الأوكيل من أي مراقبة للمؤسسات الدينية، و الذي سمح من ناحية أخرى، بمعارضة الاوكيل للتطبيقات التشريعية التي مازالت قائمة، استجابة لطلب أولئك الذين لديهم الحق في الدخل من هذه المؤسسات. "هل يمكن أن نقول لهم، ليس لدينا ما نعطيه لكم، لان الفرنسيين يحجزون عائداتنا". كانت هذه الاجابة جديرة بالقبول (مسموحة)، كان هناك، في الواقع، المدفوعات قدمت لادارة ممتلكات الدولة: أولا، في الأيام الأولى للاحتلال تمت إزالة كل ما تركه الاوكيل في الصناديق، ثم تم دفع مبالغ معتبرة في فترات مختلفة. مصطفى بودرباح، أوكيل

مكة والمدينة، دفع خلال أربع سنوات ما يعادل 34،531 فرنك الى الخزينة، وكان عليه توزيع في الوقت نفسه حوالي 50،000 فرنك على الفقراء، الذين كان يعطي لهم أقل من 250 فرنك في الأسبوع. أو الدخل (الايرادات) التي سيرها باعتراف من الجميع تقدر ب 80،000 فرن سنويا على الأقل، وكان عليه أن يحصل في هذه السنوات الأربع على 360،000 فرنك، منها 275،469 فرنك بقيت بالضرورة بين يديه.

ومن بين هذه المؤسسات الدينية، تلك الخاصة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وهي الأغنى ، لتليها مؤسسة المسجد الكبير، وتلك الخاصة بالمساجد الأخرى، وتلك الخاصة بالأندلسيين أو أحفاد الموريسكيين (مور اسبانيا)، وأحفاد محمد عليه السلام (المسلمين)، تلك الخاصة بالزوايا أو المصليات، وعدد قليل من المؤسسات الأخرى . وكان جميعها من أصل الهبات ووصايا الارث ، وجميعها يجب أن توفر سواءا لنفقات العبادة، أو احتياجات الفقراء، أو فئة معينة من الفقراء، اعتمادا على الغرض من المؤسسة. غرض مؤسسة مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى مساعدة الحجاج الفقراء لمغادرة الجزائر الى الاماكن المقدسة، فهي تقوم بإرسال بعض المال للفقراء في هاتين المدينتين. تعليق المساعدات الممنوحة للحجاج هو يعتبر خطأ وسلوكا متهورا جدا ، لأنه لوحظ أن جميع المسلمين الذين قاموا بالرحلة إلى مكة الخمس عشرة سنة الماضية ، ورأوا مصر تحت حكم محمد علي، فهموا جيدا أن المسيحيين و المسلمين يستطيعون العيش في ظل نفس القوانين.

وعلاوة على ذلك، فإن جميع المخالفات الصادرة، في هذه الفترة، عن ادارة اقامة المؤسسات الدينية لم يكن لها،كما قلنا سابقا، تأثير كبير لدى العرب. هذا ما يشارك بشكل قليل للغاية: يمكن أن نعطي الدخل الزائد من هذه المؤسسات الوجهة التي تناسبنا، دون أن يكون لدينا أي شيء من الخوف أمام احتجاجات بعض الناس المهتمين بالحفاظ على الانتهاكات القائمة. ولكن العدالة والسياسة تفرضان علينا استخدام هذه الإيرادات من أجل رفاهية السكان المسلمين.

منذ احتلال الجزائر، وجزء من السكان الذي يعيش في المدينة في حالة من المعاناة الصعبة يصعب وصفها. من جهة، تراجعت مواردها وزادت أسعار السلع الأخرى بنسب مخيفة. وكانت العديد من المباني قد شغرت كما هدمت الكثير من المنازل لتوسيع الشوارع وبناء الأماكن العامة. بدأت سلسلة الهدم هذه تحت قيادة السيد بورمونت. وعد السيد كلوزيل بموجب مرسوم 26 أكتوبر بتعويضات تعود الى أصحاب الممتلكات، ومس ذلك مباني ممتلكات الدولة (المتعلقة). هذا الإجراء العادل والإنساني وضع تحت التنفيذ: سادت روح الضرائب البغيضة على قواعد العدالة و الشرف، وسحق التنازل. في أمة يرتفع فيها الدخل الى 1200 مليون، كان الإفلاس للأسر الفقيرة التي جردت ضد كل الشرائع السماوية والبشرية. أقول الإفلاس، والا ما معنى وعود يكون فيها التنفيذ مؤجل باستمرار؟ ومع ذلك، لا شيء يمكن أن يكون أسهل من التأثير على اعفاء مباني القطاع من هذا الدَين المقدس، الذي تكون فيه الواردات دائما عار على الخزينة، وضحايا إدارتنا لن يتم تعويضهم؛ ماذا! الأسرة التي جردت

هي بلا مأوى، وفي الشارع الذي أصبح فيه الرصيف بمثابة وسادة السرير، يجرؤون على تأمل منزل بدلا من اعطائها لها! سوف نعود في وقت لاحق الى هذا الموضوع المحزن، ولكن نحذر القارئ منذ الآن، أن بعد عمليات الهدم التي كانت واسعة في الجزائر لتجعلها كومة من الأنقاض، قد يكون في كثير من الأحيان بسبب آخر غير الأفكار بعض الروتينية لبعض المهندسين المنهجيين، الذين وضعوا هذه المدينة المسكينة في وضع مزري، حيث كان التقليم والقطع يتم دون توقف. كما ضحي دون رحمة بالأسواق التجارية المفيدة والمصانع والمؤسسات العامة. في نقاط مختلفة بدأ الهدم فجأة بدأت بسبب نزوة، ومن ثم تتخلى عنها مرة أخرى، ثم تعود اليها وتخلى عنها مرة أخرى. بناءات بدأت على هذه الأنقاض يمكن أن تكون قاتلة اذا أعيدت حسب خطط جديدة للسلطة، والتي كانت لا تزال بعيدة عن كونها نهائية. لكن لنعد مرة أخرى الى بقية تحليلنا الاداري.

في 8 نوفمبر، يمنع مرسوم من نقل ملكية الممتلكات العقارية، ولا يسمح للإيجار الا لثلاث سنوات. لم تكن تعرف الإدارة بشكل جيد جدا، في ذلك الوقت، ما كانت تمتلكه، وبعد الكثير من العناء، تمكنت اليوم من معرفة بعض الوقائع.

وضع مرسوم 7 ديسمبر شهادة براءة للمهن الصناعية، وهي تنقسم إلى أربعة أقسام، الى جانب الطبقة الاستثنائية المكونة من المصرفيين. في 31 من نفس الشهر، كانت الحانات (محلات المشروبات) تخضع لحق البيع.

ظهر في 17 سبتمبر، مرسوم خاص بالجمارك ، الذي غير بمرسوم آخر في 17 أكتوبر، وهو يحدد النظام على الأسس التالية.

حق الاستيراد تم تحديده إلى 4% للشحن الفرنسية و 8% للسلع الخارجية، دون تمييز العلم. الأشياء ذات الاستهلاك القليل، بالإضافة إلى ذلك، تخضع لحق مزعوم في المنحة، الذي هو في الواقع تكملة لحق الجمارك المحدد بعشر الاضافة.

حدد حق التصدير إلى 1% للسفن الجزائرية والفرنسية، و 1،5% للسفن الأجانب.

كانت سبائك الذهب والفضة في العملة، ما عدا عملة فرنسا، تخضع لرسوم تصدير تقدر ب 3 فرنك للسبيكة بالنسبة للذهب، و20 فرنك بالنسبة الى الفضة، ولكن ذلك بالنسبة الى الكميات التي تتجاوز 5 كيلوغراما من الذهب و 25 كيلوغراما للفضة.

قيمة السلع التي كان تكون فيها الحقوق عبارة عن سيولة، يجب أن تضبط كل شهر بمرسوم زئبقي للغرفة التجارية. ولكن هذا المرسوم الزئبقي سيكون بالضرورة مليئا بالفجوات، فكثيرا ما يجبر التجار أنفسهم على تقدير قيمة السلع التي يعرضونها، وإذا كان هذا التقدير غير مناسب لموظفي الجمارك، يمارس حق الشفعة بصرامة في كل شيء. تم تخفيض حقوق الملاحة إلى حق المرسى على النحو التالي، دون تمييز في العلم (الجناح) 50 فرنك. لجميع السفن 5 حتى 50 طن؛ 75 فرنك بالنسبة لتلك التي تتراوح مابين 50 حتي 100 طن، 100 فرنك بالنسبة الى السفن التي تتجاوز100

طن. السفن ما دون 5 أطنان، والمرجانية الأجنبي لا تدفع حق مرساة.
أراد مرسوم 7 ديسمبر، تشجيع إدخال النبيذ الفرنسي، الذي يحمل 15%
من حق الدخول على الخمور الأجنبية. تم تطبيق هذه التكلفة (الرسم)
الإضافية على الخمور وعلى مياه الحياة الأجنبية بواسطة مرسوم 28 للشهر
نفسه.

بقرار مرسوم 17 سبتمبر، غير الذي تحدثنا عنه سابقا، ألغيت حقوق المنع
على السلع والإنتاج الغذائي في البلاد ، باستثناء القمح والجلود. الحق في منع
على البضائع المستوردة عن طريق البحر، كان الوحيد الذي استمر في الوجود
حتى في إدارة الجنرال بارتازان، لكن الناتج الذي يدفع للخزينة، وليس خزينة
المدينة، كان كما ضبطه السيد بورمونت.

ينص مرسوم 9 جانفي 1831، على أن مجلس البلدية (المدينة) يتألف من
سبعة مور واثنان من الإسرائيليين (اليهود) سوف يتجدد كل عام. وخصصت
الرئاسة لمفوض الملك بالقرب من البلدية. وأخيرا، وصل استخدام قنصل من
فرنسا الى الزوال في المدينة، التي أصبحت فرنسية، بعد الاستغناء الواضح عنه،
أما أعمال الأحوال المدنية فقد وضعت بقرار مرسوم 7 ديسمبر، فيما يتعلق
بتعيينات المسؤول نفسه.

و في 16 نوفمبر نص مرسوم على وضع يعقوب البكري رئيسا للأمة
اليهودية، كما نص المرسوم نفسه على أن الشكاوى المقدمة ضد رئيس الأمة
اليهودية بسبب المراوغة أو إساءة استعمال السلطة، سوف تعرض على الجنرال
العام الذي يحكم وفقا لخطورة القضية.

بعد تنظيم الخدمات، وضع السيد الجنرال كلوزيل الأسس لمختلف فروع
الادارة، وضبط وضع المحاسبة. نص المرسوم الصادر في 14 ديسمبر على أن
توزيعا شهريا لتوفير الأموال سيقدم من قبل أمين المخازن بين الإدارات الثلاث
الداخلية والعدل والمالية. أعضاء اللجنة الحكومية المسؤولة عن هذه الدوائر،
يمكنهم جدولة (اصدار) حوالات لا تزيد عن 500 فرنك، وبدون تعديل في
آخر الشهر، بحوالة فريدة من نوعها أكثر. الحوالات التي تفوق 500 فرنك،
كان يجب أن تصدر مباشرة من قبل أمين المخازن.

هذا هو مجموع الترتيبات الجبائية والبلدية والخاصة بالممتلكات التي اتخذتها
الجنرال كلوزيل. بقي أن نتحدث الان عن القوانين المتعلقة بالتجارة، الزراعة
والشرطة.

في 4 نوفمبر، كان تصدير الحبوب والدقيق الى أي الوجهة غير فرنسا محظورا.

في 7 ديسمبر، نص مرسوم في الجزائر على انشاء غرفة التجارة الفرنسية التي
تتكون من خمسة فرنسيين ، ومور واسرائيلي واحد. وقد تم تعيين أعضاء لستة
أشهر من قبل السلطة، ووجد أنه بعد هذه الفترة من الوقت، كانت التجارة
تنتخبهم بكل حرية.

وقدم المرسوم الصادر في 31 ديسمبر بالجزائر على انشاء مستودع حقيقي
من خلال تنفيذ الترتيبات الرئيسية لأحكام قانون 17 ماي 1826 المتعلقة بهذا
الشأن. ولكن نقص المخازن حال دون تنفيذ هذا المرسوم، ولم تتم الموافقة على
المستودع التفاعلي الا بالنسبة الى بعض السلع. الأملاح ومنتجات المصنعة لم
تكن لها أية حقوق.

في 30 أكتوبر، ظهر مرسوم مهم، ما صنع الخطوة الأولى نحو الاستعمار. كثير من الناس، المغمرون أكثر من كونهم ماهرون، اتبعوا السيد الجنرال كلوزيل في أفريقيا. لقد تصوروا أن فكرة إنشاء مزرعة تجريبية تكون بمثابة منظم لجميع المنشآت الزراعية التي سيتم تشكيلها. وقد أسست شركة مجهولة لهذا الغرض، والمرسوم الذي يخص هذه القضية وافق على النظام الأساسي، وقد استأجر مزرعة تسمى "حاووث حوسان باشا"، التي، منذ ذلك الوقت، أصبحت معروفة لدى العامة الأوروبيين باسم المزرعة النموذجية. ضم التأجير كل من المباني، و1000 هكتار من الأراضي. وكانت تصل الى سعر سنوي يعادل فرنك واحد لكل هكتار، ل 9 و18 و72 عاما، مع إمكانية الإنهاء، ولكن لصالح مشترين فقط. أعمال المزرعة النموذجية، التي كما قلنا سابقا، ليست هي نموذج المزارع التي تتطلب في البداية 500 فرنك، ولكن كانت تراجع منذ ذلك الحين. وقد ساهمت عدة أسباب لوقف تطوير المؤسسة، وأكثرها أهمية هو الوضعية غير الآمنة.

افتتاح المزرعة النموذجية كان بالبعض البريق. وقد وضع موقع لحماية العمال. مهما النجاح البسيط جدا لهذا المشروع، كان الجنرال كلوزيل لا يقلل من الثناء على هذا المشروع، الذي يعتمد عليه، كمؤسسة بهدف مفيد.

الشرطة اجتذبت أيضا اهتمام الجنرال كلوزيل وعدد كبير من الاجانب في الجزائر وجعل المراقبة النشطة ضرورية؛ من ناحية أخرى، رعاية الشرطة العامة والسياسية تتطلب أحكاما خاصة بشأن الحق في حمل السلاح، وبيع الأسلحة والبارود.

رأينا أن مباشرة بعد الغزو، تم نزع سلاح السكان في الجزائر العاصمة دون صعوبة؛ ولكن لم يكن نفس نفس الشيء مع عرب الريف. ولكن بعد ذلك أصبح نزع السلاح منهم ممكنا، حيث يتطلب سفرهم عزلهم من الأسلحة للقدوم إلى أسواقنا، واضطروا لاتباع الطرق التي تملؤها الفوضى وقطاع الطرق. ومع ذلك، يبدو أن الحذرمطلوب لمنعهم من الدخول بالأسلحة في خطوطنا (صفوفنا). ونتيجة لذلك، تم تخصيص مواقع حيث يجب أن يضعوا أسلحتهم بعد وصولهم الى الأراضي التي احتلت من قبل الجيش الفرنسي، حيث يستأنفون طريقهم. الجنرال كلوزيل، لم يجد هذا الاحتياط كافيا، واضاف في 22 أكتوبر، عقوبة الإعدام ضد كل العرب الذين نجحوا في التغلغل داخل مسلحة خط مراكزنا. ويحظر نفس الأمر، نقل البارود والرصاص، خارج حدود المعسكر. وكانت جميع هذه التدابير اتخذت بعد اغتيال ضابط من الفوج 35 من الخط.

أمر مرسوم ثاني في 22 أكتوبر، بإنشاء مكتب في الجزائر لبيع بالبارود والرصاص. ولا يجب تسليم الذخيرة للمشترين الى بتصريح (رخصة) من قائد المكان. تأسست لجنة من ثلاثة أعضاء لمراقبة هذا المكان الذي لا يوجد له إلا على الورق، كما هو الحال بالنسبة الى المستودع، الذي صدر قرار انشائه بواسطة مرسوم 14 ديسمبر. المرسوم نفسه تلفظ بعقوبات ضد من يبيع بطريقة غير قانونية، وبما أنه خلال مدة أربع سنوات، لم يكن هناك أي بيع بطريقة قانونية و شكلت من قبل السلطة، على الرغم من مرسوم 22 أكتوبر،

ومجموعة أخرى مصنوعة من هذه المواد، ومع ذلك، فمن الواضح أن الناس لا يمكنهم المتاجرة بالبارود، فهذه التجارة لا تحدث الا تحت أعين السلطة، والتي ليس لديها السلطة ولا الرغبة في معارضة ذلك.

في 14 نوفمبر، نص مرسوم على أحكام لتقييد التجارة في المعادن النظيفة في صناعة الأسلحة، ولكن تم التخلص منها بمرسوم صدر في 28 ديسمبر. و في 14 من الشهر نفسه، كان إدخال أسلحة الحرب سواء أجنبية أو فرنسية محظورا، وتم تعديل ذلك فيما أسلحة الصيد والأسلحة الفاخرة التي تحمل فقط برخصة قيادة من الجزائر العاصمة.

ربما توقفت لفترة طويلة جدا على جميع التفاصيل التي لم تكن ذات أهمية متساوية للقارئ، ولكن كان علي أن أجعله يعلم ما يتعلق بالإدارة المدنية للجنرال كلوزيل، والتي تستحق أن تدرس.

الكتاب 6

العلاقات مع العرب. - حملة المدية.- الإستطراد في محافظة التيطري. - الاستيلاء على البليدة. - معركة الثنية. - احتلال المدية. تعيين بن عمر باي التيطري -. - القتال وحقيبة البليدة. - الحد من الجيش. - الحرس الوطني الجزائري. - الصيادون الجزائريون. - إزالة حمدان. - العقيد منديري، آغا. - المعاهدة مع تونس حول محافظة قسنطينة وهران. - إخلاء المدية. - رحيل الجنرال كلوزيل. - دولة من المستعمرة من رحيل الجنرال كلوزيل.

في حين كان الجنرال كلوزيل، يحتاج الى الإدارة المدنية، كان يؤمن بتمديد سلطته الى الخارج. اعترافات قوية، منتشرة في كل الاتجاهات، تعلم العرب بخروجنا من تخدرنا، وقريبا جدا سيعودون إلى مشاعرالطاعة. بعض علاقات القيادة، من جهة، حول الطاعة ومن جهة أخرى، استقرت بين الآغا و"القادة". ولكن حمدان كان غير قادر على استغلال الوضع. انسحاب البليدة الذي وجد فيه، جعله يتصور رعب العرب، حيث لم يتجرأ للظهور في السهل دون أن تدعمه قواتنا. "القادة" العثمانيون الذين تواجد بالجوار كانوا اذا : في بني خليل كان محمد بن شرقي، في بني موسى تواجد حامد بن أوسفون، في الخشنة كان محمد بن عامري، أما في السبت فقد كان "القايد" مسعود بن عبدلواد.

كانت مدينة شرشال تعرف بالزعيم محمد بن عيسى البركاني، وهو شيخ
بني مناصر، وهو شخصية تنتمي الى عائلة نبيلة وقوية، والتي كانت فيها سلطة
الشيخ وراثية.

وكانت بقية المقاطعة في الفوضى، باستثناء القليعة، المدينة المعروفة بالمرابطين
المشهورين من أسرة مبارك، التي حافظت على نوع من النظام. الى الغرب،
أصبح بن زامون أكثر قوة يوما بعد يوم.

لو كان الجنرال كلوزيل يعرف بشكل أفضل البلاد و الوضع الحقيقي، لحقق
نتائج أكثر إيجابية مما حصل عليه، لكنه حصل على معلومات كاذبة أو ناقصة.
لا هو ولا أي شخص يعتقد بربط القضية الفرنسية، الفرسان القدماء للآغا
والزموليين، الذين تجاهل وجودهم أولئك الذين كانوا على رأس الأعمال
(القضايا)، وربما تجاهلهم حتى حمدان الأغا نفسه.

ومع ذلك، اعتقد مصطفى بو مزراق، باي التيطري بأننا لا يمكن أن نصل
اليه، وتحدى السلطة الفرنسية وراء الجبال. قرر الجنرال العام انهاء موضوع هذا
الرجل، الذي كان في مركز حشد ساخط أو مركز اجتماع لكل المستائين . أمر
مرسوم 15 نوفمبر بمساءلته في البرلمان، وبناء على اقتراح مجلس العاصمة، عين
مكانه مصطفى - بن الحاج عمر حمدان قريب حمدان، الذي كان من المور وتاجرا
أيضا. لكن مثل هذه التدابير يحتاج الى دعم بالأسلحة. ونتيجة لذلك، توجهت
هيئة للجيش بقيادة القائد العام شخصيا، الى محافظة التيطري في 17 نوفمبر.

هذه المحافظة، تقع بين محافظة قسنطينة و وهران، وتحدها من الشمال محافظة
الجزائر، وتمتد في الجنوب إلى الصحراء. الجزء الشمالي، الذي يتميز بتضاريسه

الجبلية جدا، لا يذكرنا بأفريقيا أبدا ، البرد هناك أشد من جنوب فرنسا. هذا هو
المكان الذي تقع فيه المدية، عاصمة المحافظة، وهي بلدة صغيرة ذات أربعة أو
خمسة آلاف نسمة. يؤكد السكان الأصليون أن الجزء الجنوبي يتميز بجمال ملحوظ
(مميز)، ولكننا لا نعلم بذلك الا عن طريق الإشاعات. تم تقسيم محافظة التيطري
إلى 21 "أوتان" (منطقة أو مقاطعة)، سبعة منها تحيط بالمدية على شكل مروحة،
من المركز إلى المحيط. أما البقية الأخرى فتمتد في اتجاهات مختلفة، وذلك بالضغط
على ما سبقها. أقوى هذه المقاطعات هي "ديزا" التي تمس محافظة قسنطينة: لديها
أكثر من 24 من الكانتونات وكانت عادة للقايد أحد أبناء باي التيطري.

كان حكومة باي التيطري تعكس حكومة الداي، ووسائل عملها مع العرب
هي نفسها. كان تحت تصرفه مستعمرتين عسكريتين تمثلان مجموعة من 1200
فارس. وكان يطلق عليهم اسم "الهبيد (الحبيد) والدوار" ، الذين كان لهم نفس
المنشأ (الأصل) ونفس التنظيم الخاص بالزموليين في محافظة الجزائر العاصمة.
عاشوا، وما زالوا يعيشون، في "بوراقية" (برواقية)، وهو نوع من الحصن أو
مساحة منزل مربعة تقع على مسافة مسير يوم واحد الى جنوب المدية.

كان هناك الكثير من المبالغة في الفقر في محافظة التيطري نفسه. ولم يذكر شالر
في كتابه القيم عن الجزائر، الا ما يساوي 4،000 دولار (أي 20،640 فرنك)
من الإيرادات في هذه المنطقة. ومع ذلك وجد على أوراق الباي ،مبلغ بوجو
(85،357 فرنك و26 سنتيم) من مساهمات التيطري. تدفع قبائل الصحراء ما
يقرب 100،000 (100 ألف) فرنك للباي، للحصول على الحق في التجارة مع
المدية.

هيئة الجيش المخصصة للمشي في هذه المحافظة كانت تتألف من ثلاثة فرق، بقيادة حراس (مارشالات) المعسكرات أشارد ومونك وأوزيه وايول. تشكل هذه الفرق الثلاثة كل من الكتائب الأربعة من أفواج مختلفة: تلك الخاصة بالفرقة 1 تم تشكيلها من قبل الخط 14، 37 و20 و28، وتلك التابعة للفرقة الثانية 2، من بواسطة الخط 6 و23 و15 و29 ، أما الثالثة 3 فقد تشكلت من الثالثة الخط 17 و30 و34 و35. هذه الفرق الثلاثة تشكل قسما تحت قيادة الملازم العام بويي. كان هناك، علاوة على ذلك، احتياطي يتألف من 21 كتيبة من الخط، وكتيبة من الزواوة، و صياديي أفريقيا، وبطارية الميدان، وبطارية الجبل، وفرقة هندسية.

هذا الجيش الصغير، يعمل لديه 7000 مقاتلا، أقاموا مؤقتا بيوفاريك في 17 نوفمبر. منع المطر المستمر من صنع الحساء من لحظة وصوله حتى الصباح، ولم ننطلق من هذه النقطة إلى عند منتصف يوم 18، وذهبنا متجهين نحو البليدة. وعلى بعد ميل من هذه المدينة، التقى الجيش بفرقة قوية من الفرسان العرب، الذين أبدوا نوايا عدائية. أرسل القائد العام اليهم المتمرد الشاب الإيطالي، الذي اسمه يوسف، والذي سوف يلعب دورا بارزا في وقت لاحق، وقد قام بايقاف الجيش. هذا الشاب سرعان ما عاد مع الشخص الذي بدا وكأنه زعيم الفرقة، كان عربيا في صحة جيدة، بنظرة ثابتة، مع الحفاظ على الافتخار وفرض نفسه. القائد العام كان قد أدلى بنية للذهاب إلى الفراش (النوم) في ذلك اليوم في البليدة رد عليه بترفع لكي لا يقوم بفعل شيء لأنه كان قادرا على المعارضة. في هذه الإجابة، أمر الجنرال للبرلماني بالانسحاب،

ووضع على الفور الفرقة في حالة سير.

بدأ العرب على الفور باطلاق النار الكثيف. تقدمت فرقة أشارد التي كانت على رأس الجيش بسهولة، وسرعان ما ضنعت قذائف قليلة الفوضى في صفوفهم. بحلول الظلام، كان الجنرال أشارد أمام البليدة، التي كانت مغلقة الأبواب. وكان يستعد لاطلاق النار على المدفع، عندما فتحت من قبل ضابط وبعض الجنود تسلقوا الجدران. كانت المدينة مهجورة، وأكبر عدد من الأشخاص فروا إلى الجبال.

بينما سارت فرقة أرشاد الى البليدة عبر الطريق ، انتشرت فرقة مونك على اليمين للوصول إلى هناك عبر الحقول، ولكن كل ذلك انتهى عندما وصلت. ومع ذلك، واصل بعض "القبايل"، اطلاق النار في المرتفعات التي لجأوا اليها. أرسل ضدهم عدد قليل من الفرق التي انتشرت (تدفقت) وبقيت هناك.

شكلت فرقة أشارد إقامة مؤقتة قبل البليدة، حيث لم تترك الا بعض المواقع. حيث استقرت الفرقة 2 و3 في الخلف ولكن على بعد مسافة قصيرة من الأبواب. وصلت فرقة اورال متأخرة جدا الى موقعها، فضلا عن فضلا عن الأمتعة وكتيبة ال 21 التي كانت تنتقل سيرا على الأقدام في الخلف من أجل التغطية. اثنان من التجار الذين يتتبعون الجيش، ظلوا قليلا في الخلف ، فقطع العربرؤوسهم.

لم يكن لدينا من الرجال في اليوم 18 الا 30 رجلا مبعدين من الحرب. توقف الجيش البليدة خلال كل يوم 19. كانت نية القائد العام مغادرة

الحامية في حين كان يتطلع في هذا اليوم الى استخدامها في الأعمال التحضيرية اللازمة لإنشائها، كما سارع الى إصلاح أنابيب (قنوات) المياه التي كان العدو قد كسرها في عدة أماكن. وفي نفس اليوم، تقدم العرب الى السهل أمام فرقة أشارد، وجاء "القبايل" لاطلاق النار على اليسار، والبقاء على سفوح الأطلس الصغير، التي تلتصق بالمدينة. انتشرت فرقة من الفرسان الأوائل دون أن نتمكن من اللحاق بواحد منهم. أما الآخرون فقد لوحقوا في الجبال، من طرف الكتائب من خط 20 و37. كانت الأوامر بتدمير كل شيء، واحراق كل شيء في هذا الاتجاه، أين توجد أرقى الحدائق في البلاد. قتلنا في المدينة، تقريبا تحت أعين الجنرال ، كل من معه أسلحة في متناول اليد. استمرت هذه المجزرة برئاسة المارشال رئيس المجلس لوقت طويل، وفي الأخير أظهر الجنود أنفسهم أكثر من تردد واضح. يعتقد الجنرال كلوزيل، ولا شك، أن تخويف العرب بهذه الأعمال كان من الصرامة، والتي لم تكن من عاداته، ولكن كان يستعد للدموية الانتقامية.

سحب العديد من سكان البليدة من الرجال والنساء والأطفال الى الأخاديد الأولى للأطلس. أرسلنا اليهم برلمانيا ليقنعهم بلعودة إلى ديارهم، ونحن لم نريد الرجال المتزوجين. استسلم الكثيرون لسوء حظهم، لهذه الدعوة.

وفي 21، استأنفت مسيرة الجيش، على طول سفح الأطلس. ولم يبق في البليدة الا الكتيبة و34 و35، ومدفعين، تحت قيادة العقيد روليار، وهو ضابط قوي ومتمكن جدا.

في حوالي منتصف النهار، وصل الجيش الى مدخل الأخدود،حيث يتقاطع طريق المديةب الجبل. هناك توجد مزرعةجيلة تدعى حوش شاوش الموزاية.أحد مرابطي موزاية،اسمه محمدبن سيدي فقير،جاء لمقابلة القائد العام، مع خمسة من شيوخ العشائرالمجاورة،التي تنتمي الى مقاطعة (وطن) سبت.

قال ان نيته في العيش في وئام مع الشعب الفرنسي،وأنه لايعتقد أن شعب موزاية يدعو للقلق أو يعرقل رحلتنا،وسأل،بناءعليذلك،عن الناس وممتلكاتهم المدخرة، والتي منحت لهم، كمانعتقد. ومع ذلك، وجد بعض الناس أن القائد العام لم يستقبل هذا الرجل بشكل مناسب، ونحن على مقربة من رؤية هؤلاءالعرب المتوحشين،الذين يحملون في أيديهم مستقبل البلاد، وبدون مساعدة منهم لايمكن أ بدا أن تفعل أي شيء في أفريقيا.

استقرالجيش بشكل مؤقت في حوش موزاية: استقرت فرقة أشاردعلى بعد ثلاثة أرباع ا لميل إلى الأمام على طريق المدية. استنادا إلى المعلومات المقدمة من المرابطين، حول صعوبة الطرق[1]، تقررمغادرة المزرعة، في قيادة كتيبة من خط 21 رفقة قطع الأسلحة وجميع العربات. كما كانت المدفعية الجبلية والبغال تتبع الجيش أيضا.

---

(1) كان رفقة القائدالعام مرابط آخريسمى حامد بن اسغيغي بن حا د بلي وسف الذي كان منذ بعض الوقت متعلق بقضيتنا،و الذي قدم لنا مايكفي من المعلومات الجيدة عن البلد.

أعلن بيان للقوات في اليوم التالي بإنها ستقوم بأول عبور لجبال الأطلس

بدأ الجنود على الفور الحديث حول حرائق ا لإقامة المؤقتة في العملية التي

التزموا بالقيام بها. الأكثر ادراكا، عادوا الى ذكريات الحروب التقليدية

الرومانية، واعلموا أقرانهم بأنه لا يوجد أي جيش أوروبي عاد الى هذه

الأراضي مع هذا الشعب،الذي نحب كثيرا

أن نقارنه،لأنه لايوجد دولة لم تتنافس في هذه المجتمعات التي تتطلب

المثابرة والاستمرار. هذه الأحاديث في المعسكرات المؤقتة هي على

العموم لافتة جدا في الجيش الفرنسي.

وهنا تصاغ عبارات حية لأفكار متنوعة وعميقة، والتي انتقلت بعد

ذلك الى صفوف الجيش،لتعطيل جنودنا. شيء واحد فقط أحرج المعلقين

عن إعلان الجنرال كلوزيل ؛هو المثل الذي يتعلق بالقائز بالأهرامات،

عن عددالقرون التي بقي الجيش الفرنسي فيها متأملا. كان العدد متفاوتا

وفقاللنسخة،البعض يطبقه على ا لأطلس نفسه، والذي حمل في قممه

القرون الماضية بشكل جيد، بينما رأى آخرون أنه عبارة عن تلال عتيقة،

معروفة في البلادتحت اسم "قبر الرومية" ونحن نراه من موزايةعلى تلة

شمال حجوط.

وفي الاخير، كان بعض المرحين يتجرأون على القول أن القرون التي

كنا نتأملها، لم تكن الا عبارة عن بعض الجنرالات التي أرسلتها فرنسا

جوسلية الشابة، والتي تمكنت بعد حياة مهنية قوية، بلاشك، من البقاء

على قيد الحياة .كل هذا مهم جدا،لأن هذه النكتة تجعلنا نعتقد أن الجيش

يعرف ويحكم على رجال الإمبراطورية،رغم أن هذه الفترة كانت لاتزال

محاطة بالهيبة.

والمؤكدأن العديد من يتبعهم سوءالحظ يختفون في كل مرة يتم تسليط

الضوءعليهم. غادرالجيش في الفجر يوم 21 .ترك حمدان الأغا،الذي تابعه

حتى ذلك الحين، في هذه المزرعة، مراقبة تحركات العرب في سهل متيجة،

ولكن بدلا من بعض التسوق في جميع أنحائه،لاكتشاف مشاريعهم، بقي

هناك منزويا، بعيداعن خطر. أعتقد أنه من اقامة هذا الأغا في هذا الحوش

تعودناعلى تعيين مزرعةتحت اسم لأغا، الذي لايعطى في البلاد.

كما أعلن لنا المرابط، الذي أبقاه الجنرال كلوزيل مقرب منه، بأن الناس

في موزاية لايسعون لمعارضة أية نقطة في تقدمنا،أوعلى الأقل،الذين أرادوا

شن حرب يذهبون للانضمام الى قوات باي التيطري،التي من المتوقع أن

تمرعن طريق ثنية. تقدمنا من دون الكثيرمن المتاعب، ووصلنا إلى سفوح

جبال الأطلس، ونحن على هضبة عالية، حيث العيون مصوبة الى سهل

متيجة. وكان البحر يظهرمن مسافة بعيدة، واكتشفنا في الغرب، بحيرة

"تولة" في نهاية أراضي حجوط. توقف الجيش عندها لفترة وجيزة، ... المدفعية الجبلية الأطلس الجليل باطلاق 25 طلقة نارية من المدفع، ... بدأ الجيش في الحركة، بعض الوقت دون مواجهة العدو، ولكن على ... الواحدة، تواجد أمام فرقة أشارد التي تشكل رأس الجيش، وبدأ إطلاق النار ... أطلقت فرق 14 و37 بعض العيارات النارية بواسطة المتحاربين وسرعان ما ... تغير هذا الموقف إلى يسار من الطريق. تراجع عبر التلال على مرتفعات ... شية.

واصل الجيش تقدمه، وسرعان ما وجد نفسه في الأمام بالقرب من هذا العبر، وهو ممر ضيق، أو بالأحرى بمقطع ببضعة أقدام تحيط به من اليمين الى اليسار (تلال صغيرة) مخروطية. لم نتمكن من المرور الا بصعوبة، حيث نجدها على اليمين حفرة عميقة، ومن اليسار تلال شديدة الانحدار. بالاقتراب من الممر، أصبح الطريق أكثر خطورة وهو محفور وزلق وقصير وفروعه منعرجة ومتقاربة وهي مائلة جدا. وضع باي التيطري قطعتين مدفعيتين مبيتين في البطارية على يمين و يسار قواته، التي من الصعب جدا تقييم عددها، وهي تملأ كل المرتفعات.

لا يمكن مهاجمتهم في هذاالموقف إلا من الأمام وعلى اليسار، أما على اليمين فقد كان الهجوم أكثر صعوبة. ونتيجة لذلك، أمر القائدالعام الجنرال أشارد بالمغادرة وصعود فرقته إلى مرتفعات اليسارللفوز عبر التلال، أما فرقة مونك دوزي، الذي كان يسير خلفه، فينبغي عليها المواصلة باتباع الطريق.

من أجل تنفيذ الرسالة بدقة، اضطر الجنرال أشارد لمغادرة الطريق الحالية، حتى لحظة الوصول الى هذه النقطة، أين تتواجد فرقة مونك دوزي. لتجنب هذا السوء، لم يرسل إلا ثلاث كتائب على اليسار، تحت قيادة العقيد ماريون، وبقي على الطريق مع كتيبة من 37.

وجد العقيد ماريون نفسه في أرض جد متضررة وكانت تنازع عليها "القبايل"، وبذلك ساريبطه. الجنرال أوزيه، الذي كان يعتقد أن الضغط كان على الكتيبة 37، اعتقد أنه يجب أن يرسل الكتيبة 6 لدعمه. في هذا الوقت، زرعوا طول الكتائب على اليسار كي يتحرك الجنود، الذين وجدوا صعوبة في تسلق المنحدرات الشديدة التي واجهوها بشكل مستمر، واعتقد الجنرال أشارد أنهم وصلوا الى التلال، وأنهم يتكفلون بأمر العدو. قبل ذلك، تقدم مع الكتيبة الوحيدة من 37، التي أرسلت منها فرقة محاربين خارج الوادي على اليمين، وقد عانت الكثير. وكانت تحت أوامر النقيب لافار، الذي قتل في معركة بسالة. هاجمت الكتيبة 37، برئاسة الجنرال أشارد والقائد دوكروس، الموضع الأمامي بأعظم قوة، ويمكن القول أنهم اندفعوا بتهور من أجل الموت، لأن في جميع الاحتمالات، نصف هذه الفرقة الشجاعة يجب أن يموت قبل أن تصل إلى الهدف. في الواقع، فقدوا الكثير من الأشخاص، ولكن أقل مما كنا نعتقد. وألقي ببعض الضباط الى الأمام، لاملاء الطريق للسيد ماكماهون وكانت فرقة الجنرال أشارد هي الأولى التي وصلت الى الممر.

كان العدوخائفا بسبب قوةالهجوم، وسارع الى التخلي عن موضعه دون محاولة الصراع وجها لوجه. وصلت كتائب ا لعقيد ماريون في هذاالوقت الى الممر،وحيا مع التصفيقات خط 37 الشجعان.

استقرالجيش كله مؤقتا في مرتفعات مأخوذة من العدو، وتقدمت فرقة أشارد لكن قليلا كما هو الحال بالنسبة للفرسان. وصلت فرقة أورلو كذا الأمتعة في وقت متأخرجدا الى الموقع،وقد تعرضوا للهجوم من قبل بعض المحاربين في حين أن فرقة أشارد كانت تكافح مع المدافعين عن ممر الثنية.أبدت فرقةالفرسان حضورا غير مهم في أرض غيرملائمة. كان لدى جيشنا في هذااليوم المجيد 220 من الرجال عاجزين عن القتال. كان للجنرال أشارد الشرف من بين كل الضباط العامين كما كان الشرف للجنرال دوكروس الشجاع من بين الضباط السامين،أما ماكماهون من فئةالشباب فقد كان له الشرف في فئة الضباط المبتدئين. من ممر الثنية هذاأطلق الجنرال كلوزيل اعلانه الشهير الذي يعكس أسلوبه،ويبدو محيطيا ومثيرا للسخرية لكثيرمن الناس،ولكن بعدذلك بدا أنه من المناسب للرجال أن تكون الأشياءالعظيمة تعود للأفكارالعظيمة،أو،اذاصح التعبير،للعبارات الرائعة.

في 22 نوفمبر، في الصباح ذهبت بعض الفرق لحرق بيوت سكان سوماتا (الصومعة)،الذين حملواالسلاح ضدنا.قررالجنرال العام أن تبقى فرقة مونك دوزيي في ثنية للحفاظ عليالممر،وأخذما تبقى من الجيش الى المدية،على الساعةالحادية عشر. ثنية هوأعلى قمة في الأطلس في هذاالاتجاه، فبعد الوصول

اليها، بقي فقط أن ننزل. الطريق بصفة عامة أوسع بالتركيزعليالجانب الشمالي،ومعبدفي الكثيرمن الأماكن.المنطقة من اليمين واليسارتكسوها الغابات. بالوصول الى سفح الجبل،هاجمت فرقة اشارد احتيقوات العرب وتبادلت معها بضع الطلقات النارية. الكتيبة من خط 20 كانت على يسارالطريق، لصدالعرب الآخرين الذين بدوا وكأنهم يحاولون الهجوم، وكان هناك اشتباك حاد فقدناعلى اثره عددا قليلا من الرجال. أصيب خمسة رجال وسقطوا في أيدي الأعداء،الذين، فروا الى الصخور، ليقدموا لنا رؤوسهم الملبئة بالدماء.

قاتلت فرقة أشارد في غابة الزيتون، البعيدة عن الأرض التي تم العثورعليها. أمرالقائدالعام فرقة الفرسان لتهيئة نفسها: عند الوصول إلى هذه النقطة، تحرك المحاربون بسرعة، لكن توقفوا لوجود نهر اعترض طريقهم: لم يواصل العرب تقدمهم لأنهم كانوايعلمون من التجربة أن مشاتنا يمرون في كل مكان.

من بساتين الزيتون إلى المدية،لا تحوي الأرض سوى عدد قليل التموجات: فهي تميل قليلا الى اليمين، وتتصل في هذاالاتجاه بحوض الشلف.

من وقت لآخر، يتوقف بعض الفرسان العرب لإطلاق عبارات نارية علينا؛ولكن فرالجزء الأكبرمن قواتهم إليالمدية.رأينا عدة مرات المرابط بن الفقير يجري بالقرب منهم ليحثهم على وقف القتال.

على بعد ميل من بساتين الزيتون، خرج أحد العرب الذي أتى سيرا على لأقدام وهو يرتدي ثيابا رثة، فجأة من المكان الذي كان مختفيا فيه،

وتقدم الينا، وأظهر لنا رسالة موجهة إلى القائد العام. كانت من سلطات المدينة، وشملت تقديم المدينة (الاستسلام)، كانت قد كتبت في الليلة السابقة، وهذا يعني، قبل أن تتلقى المدينة خبر هزيمة الباي.

بالاقتراب من المدينة، سمع الجيش باستغراب صوت إطلاق النار، ترافقه بعض طلقات المدفع. هؤلاء كانوا اناس المدينة الذين أرادوا أن يعطونا دليلا على صدق استسلامهم، وقد أطلقوا النار على قوات باي التيطري الهارب رفقة فرقه عن طريق برواقية وسيلة دفاع كافية ضد العرب. مع المدخلين الرئيسيين توجد قلعتين صغيرتين مسلحتين ببعض المدافع من الصنع الإسباني، وقد بنيت بانتظام أفضل من مدينة الجزائر، والشوارع عادة ماتكون أكبر حجما وأقل صعوبة، والمنازل بأسقف القرميد مثل جنوب فرنسا. القائد العام الذي تلقى بيان الاستسلام من سلطات المدينة، دخل الى هذه المدينة مع حلول الظلام، حيث استقرت كتيبة هناك. انتقلت فرقة أشارد إلى الأمام في ضواحي منزل الباي الريفي، أما فرقة أوورل فقد بقيت على بعد ربع ميل الى الخلف. وكان لهذه الفرقة في اليوم الموالي، أي 23 ، تبادل أعيرة نارية مع بعض العرب الذين حاولوا الدخول الى المدينة.

وفي نفس اليوم لم يعرف مصطفى بومزراق، الى أين يتجه، خوفا من الوقوع في أيدي عرب الصحراء، وفضل أن يقع بين أيدينا. ذهب إلى الجنرال كلوزيل لاعتقاله، ولكن مع ذلك تعامل معه بلطف. جميع

الأتراك من أتباعه، الذين عثر عليهم في المدينة عوملوا بنفس الطريقة. أظهر استسلام مصطفى بومزراق نهاية الأعمال العدائية. بن عمر الذي عين مكانه كما قلنا سابقا، استقر بهذه المناسبة، والشعب المسلح في المدينة شكل نوعا من الحرس الوطني. قررترك الزواوة وكتيبتين فرنسيتين في المدينة، بيهاي ذلك تلك التي عين فيها العقيد ماريون قائدا. وكان الجنرال كلوزيل قد شكل أيضا مشروع إرسال الجنرال مونك دوزيه الى مليانة، ووضع الجنرال بويرفي قسمه بالبليدة. ولكن هذه الخطة تم التخلي عنها في فرحة النصر.

يبدوأن انطلاقنا من الجزائر العاصمة، كان دون أن نعرف عن التكاليف التي من شأنها أن تؤدي إلى إنشاء باي وحامية في المدينة، أو أننا كنا نأمل في العثور على كنز، لأننا بدأنا طريقنا بدون مال تقريبا. اضطررنا الى الاستعانة بمخزون الضباط، والاقتراض حتى مبلغ قدره 8 إلى 10 آلاف فرنك من السيد مصطفى بومزراق، الذي لم يفعل أكثر من ذلك.

في صباح اليوم 26، غادر القائد العام المدية للعودة إلى الجزائر، مع فرقتي أشارد وأوورل. لم يتوقف الا بعد بضع ساعات فقط من ثنية، والجيش ذهب لينام في موزاية. لم نجد على الطريق، الا مظاهرات سلمية من "القبائل" والعرب، ولكن في هذه اللحظة، كانت مدينة البليدة مسرحا دمويا للأحداث. عندما اقترب الجيش في 27، لجأ الى محاربة بعض قوات

العدوالتي ظهرت وهي تريد القتال،وهذا ما أدى الى تجديد المعركة التي كانت في اليوم السابق.

في 26، كان بن زمون على رأس جيش من "القبايل"، وجاء للهجوم على العقيد روليار في البليدة. قام باختراق عدة نقاط،وقاتلوا طويلا من شارع الى شارع. يبدوأنه حتى الحامية التي حشرت تدريجيا تحت أقواس بوابة الجزائر،ليست أكثرمن كتلةعديمة الشكل ومشبطة. عندما خرج العقيد من خلال هذاالباب،والذي كان لحسن الحظ مرفقا بفرقتين من النخبة التي دارت حول المدينة ورجعت عبر المدية. وقعت الفرق فجأة في الجزءالخلفي من المهاجين، وقد اعتقدوا أنهم كانوافي مواجهة جيش المدية، وقد أكدواهذاالخطأ، بواسطة مؤذن المسجدالرئيسي الذي صرخ في أعليا لمئذنة، وكان في الواقع بسبب قدوم القائد العام للقوات المسلحة. وبسرعة كبيرة تفرقوا فورا واختفوا. هذاكل شيء،ولكن لاتزال بعض التفاصيل مغطاة بسحابة مظلمة ودموية. عندما عبر الجنرال العام البليدة في 27 نوفمبر،كانت الأرض مزدحمة بالجثث،وكان الكثيرمنها لكبارالسن من الرجال،النساء والأطفال واليهود، والناس المسالمة تماما. بداعدد قليل جدامن الأشخاص الذين كانت لهم الرغبة أوالقدرةعل الدفاع عن أنفسهم. بعدهذه المذبحةالكبرى، لم نجد تقريبا أي أسلحة لدى المهزومين. كان هذاالظرف الأخيرمثيرا لشكوك غريبة نشأ ت في نفس الجنرال العام كلوزيل،الذي في سخطه خاطب رئيس الحامية،

بنعت مؤسف. الرعب الذي كان يشعر به عل مرأيا لآثارالدموية من مجزرة في المدينة، كان يتقاسمه كل من الجيش الذي لم يشارك في هذا الحدث المؤسف، ولكن التأسف للمهزوم استبدل قريبا بشعورمعاكس، عندماعرفنا بمقتل 50 جنديا مدفعيا كانوا متوجهين بتهور الى مزرعة موزاية عل الجزائرالعاصمة، للذهاب بحثا عن الذخيرة،بعدأمرمن القائد العام القادم من المدية. لقد هلك كل جميع هؤلاء المساكين. وعرفنا أنهم قد هوجموا من طرف فرسان مرجية وحمدان في مقاطعة (وطن) بني خليل.

هذه البراهين للغضب الأعمى المتبادل المليئة بالحزن للذين يؤمنون بإمكانية الاندماج بين الشعبين. جاء عرض آخر ليؤثرعل الراحة قليلا. الجنرال كلوزيل الذي كان قد غادرو تخلى عن مشروع احتلال البليدة،هذه المدينة مع جيشه في 28. بقية السكان كانوا خائفين من أن يقعوا في أيدي"القبايل"، اتبع جيشنا.كبارالسن، النساء والأطفال كانوا يلهثون وهم حفاة الأقدام في الكثيرمن الأحيان، وهم يختفون وراء كتائبنا: كان هذاالمشهد مفجعا. جنودنا، الذين تعاطفوامعهم، بدأوا في التعامل معهم بحرص أكبر؛ نزل الضباط من خيولهم لاعطائها الى هؤلاء المساكين الذين أهلكهم التعب. في المساءاستقرينا في سيدي حايد وهو منطقة جرداء، وجنودنا أعطوا القليل من الماء الذي كان لديهم لنفس الأطفال الذي جعلتهم نفس المعركة أيتاما.

في 29 نوفمبر، عادالجيش إلى ثكناته. تأثر القائدالعام،بشكل عميق من المجزرة،وتخلى،كما قلنا،عن احتلال البليدة، التي كان يراها دون أدنى شك كمنطقة لسكان عدائيين كثيرا. تركت حامية المدية تقريبا دون طعام ولا ذخيرة: كماكان لديهم هنا ك موارد قليلة من المنطقة، ويجب التفكير في الإرسال اليها، ولذلك عاد الجنرال بوير إلى الجزائر يوم 7 ديسمبر مع اثنتين من الكتائب القوية التي عبرت الأطلس ووصلت الى المدية دون أن تطلق عيارا ناريا واحدا. ومع ذلك، لوأراد "القبايل"لأساؤا الينا كثيرا: ففي اليوم الأخيرمن المشي، سيطر اضطراب كبير على احدى الكتائب لدينا، والتي تحولت عشوائيا، بين عشية وضحاها، بين الأطلس والمدية، في أحوال جوية مروعة.

علمت حامية هذه المدينة بفرح شديد بوصول المساعدة التي أتى بها الجنرال بوير. ومع ذلك، فقد تلقت بالفعل بعض الحزم من الخراطيش من العرب. وواجهت، لمدة ثلاثة أيام، هجومات قوية لصدها؛ وقد بدأت في 27. هرع العدو بقوة نحو مزرعة الباي،حيث كانت الكتيبة من خط 28 والزواوة، وبدأت المعركة مع مايكفي من القرار. كان يريد أيضا قطع الاتصال مع المدينة، لكن السكان والخط وجدوا مخرجا لاخراجهم من مواقعهم في هذا الاتجاه. أيدت هذه الحركة، من خلال مخرج وجدته القوات التي كانت تشغل المزرعة.

وفي اليوم التالي، أي في 28، بدأالعرب مرةأخرى نفس العملية،ولكن لن تنجح معهم أكثرمن المرةالأولى، كانت المعركة أكثرصعوبة من تلك التي جرت حول المزرعة، تصرف الزواوة ببسالة عند مقتل احد قادتهم. قاتل السكان كما في اليوم السابق،عليالرغم من جهود العدولجذبهم إليه.

في اليوم 29، جرت الهجومات بنفس الطريقة،لكنها كانت أقل حدة بكثير. كان عدد المهاجين قد انخفض بشكل ملحوظ. في يوم 30،كان العدوقداختفى تماما. غادر تاركا وراءه 500 قتيل في ساحةالمعركة. العرب و"القبايل" الذين شاركوا في هذه المعارك الثلاث ينتمون إلى أوطان أو مقاطعات "ريغة"، حسام، بتحلب، بني حوسان، عوزارة (أوزارة) وأوارة .كان هناك أيضا من قدموا من حيد (هيد)، ودوار وعريب وبني سليمان.

هكذا كانت الهجمات ضد المدية خلال احتلالنا. تم صدها بسهولة، وحتى الأن، كثيرا ما يستشهد بها على أنها دليل على خطر إرسال الحاميات في المناطق الداخلية. بعد هذه المعارك المختلفة أصبحت ذخيرة الحرب قليلة جدا لدى العقيد ماريون، ليجد نفسه مضطرا لرفض السكان الذين استنفدوا الذخيرة الخاصةبهم.

هذا الضابط السامي ترك مهمته (القيادة) في المدية للجنرال دانليون، الذي جاء مع الجنرال بويرليحل محله. تمت زيادة الحامية لكتيبتين، واستأنف الجنرال بوير، بعد أن قضى ثلاثة أيام في المدية، مع ماتبقى من القوات، الطريق إلى الجزائرالعاصمة، حيث وصل دون وجود أي حادث من أي نوع.

ومع ذلك، ووفقا لأوامرمن الحكومة، كان على الجيش الأفريقي أن يخفض عدده إلى أربعة أفواج. كانت المسألة قوية ،في هذا الوقت، في الحرب الأوروبية، كان الجميع فيها يريد مغادرة أفريقيا للتمرن على المسرح اكثر اشراقا. الجنرال كلوزيل، والذي كماقلنا، قد نظم بالفعل الزواوة لتفادي بالقدر الكافي، الانسحاب الأول للجيش، وأم رفي هذا الوقت بإنشاء الحرس الوطني الذي يتألف من الأوروبيين والأهالي، لكنه لم يتم من هذا الإجراء الا مجرد بداية التنفيذ. ولم يتم ذلك الا تحت وصاية الدوق روفيغو الذي نظم الحرس الوطني الجزائري، الذي خفض الى أبعاد أضيق بكثيرمن تلك التي صممها الجنرال كلوزيل. فكرة خلق تنافس المواطنين للدفاع المشترك كانت جيدة، ولم يكن من الواجب التخلي عنها.

أمرالجنرال كلوزيل أيضا بتشكيل مجموعة من فرقة من الزواوة على الخيول أو ما يسمى ب"سباهيس"،التي كانت تحت أوامر السيد ماريي، نقيب ا لمدفعية، الذي يتميز بذوقه الواضح جدا للازياء ولآداب المشرق وكأنه كان مدعوا لهذه المهمة؛ولكن لم يكن لهذه الفرقة، في ذلك ا لوقت،وجود الا من خلال تسمية بحتة. كما حل تشكيل فرقة أخرى من الفرسان الأهالي،تحت اسم المماليك محلها. كان الشاب يوسف الذي تحدثنا عنه سابقا مكلفا بتنظيمها، وقد كلف كماسبق ذكره، بتنظيم وجذب الكثيرمن الشباب الجزائريين الذين ينتمون إلى أسر الشرفاء. ولكن الوعودالتي قدمت له لم تحقق دائما، وكانت هذه الفرقة لم تعد أكثر قوة من فرقة السيد ماريي. بشكل عام، تصور السيد كلوزيل

الأشياء بشكل جيد للغاية، ولم يخطأ الافي وسائل التنفيذ، وهوما لم يهتم به بما فيه الكفاية.

أراد القائدالعام الذي تخلى عن احتلال البليدة، مع ذلك،أن يكون للمدينة حاكم معين من قبل السلطات الفرنسية. وقد وصل إلى هذا المنصب المرابط بن يوسف، من مليانة، وأعطى له تسمية الخليفة، الى جانب حكم المدينة والقبائل المحيطة بها. بما أنه لم يتم تحديد هذه القبائل بالاسم، وبالاضافة الى ذلك، ووفقا للممارسات الإدارية للبلد، لم يكن سكان الريف مجبرون على معرفة سلطة محافظي المدن،والنتيجة كانت انتشار الاضطرابات التي كانت شائعة بين الخليفة الجديد وشيوخ القبائل.

الهاربون من البليدة كانوا يرون هذاالنوع من السلطة وقد تم ترميمها،فعادوا تدريجيا إلى ديارهم، وفي شهرجانفي،كانت المدينة قد استعادت كل سكانها تقريبا،ولكن في فيفري،شهد السكان خلافات مع الخليفة الذي تصرف بشكل مسيئ معهم،فكان يسوي ذلك بالحل الوسط أيضامع القبائل المجاورة من خلال مزايا القيادة، فطاردته وكتبت إلى القائدالعام لطلب حاكم آخر. السيد كلوزيل، الذي لم يكن في تلك اللحظة في موقف القيام بأي شيء،أغلق عينيه عما كان يجري من فوضى في البليدة بين الناس، وأعطاهم حاكما آخرا كان يسمى محمد بن شرقاي.

وتمت إزالة الأغا في أول أيام شهر جانفي. بعد حملة المدية، أراد حمدان، إيقاف السخرية منه بسبب الأدلة الوافرة عن الضعف لديه من خلال البيانات

في ا لحملة،وطلب وحصل على إذن تسيير البلاد مع فرسانه. في هذه الجولة، تبادل بعض طلقات النارمع عصابات من المسلحين الذين أبدوا في السهل، وأرسل من البليدة، الى الجنرال العام، رأسا وقال أنه رأس أحدالعرب الذين كانوا قد شاركوا بنشاط في مجزرة ال 50 مدفعيا، ولكن يمكنني أن أؤكد لكم انه كان رأس (مؤذن) البليدة الذي ساعد، كما رأينا أعلاه، في هزيمة "القبايل" في الهجوم بن زمون. هذا الرجل، الذي قام بإعطاء المعلومات الكاذبة التي حفظت الحامية الفرنسية، لم يكن له أي غرض بلاشك غيرالابتعاد عن مسرح الحروب، ولكن يجب الإبلاغ عن هذا العمل للرأي العام كصديق للفرنسيين. وكان ذلك ليؤسس سلطة لنفسه على حساب سلطتنا التي ضحى بها حمدان. قام بذلك بمهارة أكثر من الفرنسيين الذين كانوا يعتقدون أنهم حصلوا على رأس الد أعدائهم. لم يكن هذا الفعل الغادر، والذي تم تجاهله طويلا، هو الذي أفقد الآغا. وضعنا عليه بعض اللوم والابتزاز الذي ارتكب خلال رحلته، وبالنسبة للجزءالأكب رفاقتصرت على طلبات لأحكام الاذن باستخدام، ولكن بما أن الجنرال العام كان متعبا، قال انه سينتهزهذه الفرصة للتخلص منه. تمت إزالة ا لآغا يوم 7 جانفي. خاف القائد العام، من أن لا يسلم حمدان نفسه خشية العارمن المؤامرات الخطيرة التي قام بتدبيرها، ما أجبره على الابتعاد عن الجزائرالعاصمة، وانتقل إلى فرنسا، حيث قضى بضع سنوات وتزوج.

نفى الجنرال كلوزيل أيضا محمد بن عنابي، المفتي الحنفي للجزائر العاصمة، الذي أشير اليه بأنه رجل يجب الخوف منه، والذي كان كان

يفتخر بقدرته على التعامل مع العرب بتأثيرخاص لم يستطع التمكن منه. إبتكر أيضا خطة رسال أبناء عائلات المور المميزة الى فرنسا لغرض مزدوج يتمثل في توفير التعليم الأوروبي لهم كما سيكونون رهائن أيضا، ولكن التردد لدى السكان أدى الى التخلي عن الفكرة. بدأ أعضاء البلدية المغاربة (المور) مرة أخرى في هذا الظرف ابتزاز الأموال من العديد من الأسر، التي وعدوها بالاعفاء من اجراء لم يتلقوا حتى أمرا بتنفيذه. حمدان بن عثمان خوجة، الذي نشرعن الجنرال كلوزيل تشهيرا افترائيا، اتهم بالإشاعة العامة، بأنه انتزع بهذه الطريقة، مبلغا كبيرا من أرملة الشهير يحيى الأغا. ومع ذلك،فإن الجنرال كلوزيل الذي كان يدور في رأسه منذ زمن طويل مشروع يتيح لنا تنفيذه تركيزكل جهودنا ويكلل مانملك من تضحيات على محافظة الجزائرالعاصمة،بتأسيس سيادتنا عليأجزاءأخريمن ا لمنطقة (مجلس الوصاية.) كان لإعطاءأمراء العائلة المالكة في تونس، بيلك قسنطينة ووهران، مع الاعتراف بالتبعية، وجزية سنوية يضمنها باي تونس. كان سفراء هؤلاء الأمير في الجزائرلبعض الوقت لمعالجةهذه المسألة. في 15 ديسمبر، أزيل الحاج أحمدباي قسنطينة،رسميا من منصبه، وفي اليوم التالي صدر مرسوم بدعولتعيين سيدي مصطفى، شقيق باي تونس بدلا منه. وفقا لاتفاق وقع في 18 من الشهرنفسه، بدأ الباي الجديد، بضمانة شقيقه، بدفع مليون فرنك فرنسي

سنويا، كمساهمة في المحافظة، ولكن لم يقولوا له من قبل كيف سيحصل على حكومته. يبدو أنه يجب أن يكون ذلك من قبل القوات الخاصة. لأن الجنرال كلوزيل أرسل الى تونس عددا قليلا فقط من الضباط الفرنسيين لتنظيم رسم شبه أوروبي للقوات التي ستنتقل في مسيرة الى قسنطينة.

تم تمرير اتفاق مماثل في أول أيام شهر فيفري لبيلك وهران، الذي ترك لسيدي حمد أميرآخرمن تونس أيضا، مبلغ سنوي قدره مليون فرنك وهذا يمكنه على الأقل أن يتمتع على الفور بعاصمته، لأن مدينة وهران كانت تحت سيطرة قوتنا.

إمبراطور المغرب، عبد الرحمان، الذي سعى للاستيلاء على تلمسان، كان القائد العام متخوفا من أن المقاطعة سوف تقع في أيدي هذا الجار القوي، ولكن حسم ذلك بإرسال بعض القوات التي كانت في ذلك الوقت في حملة المدية. كان الجنرال داموريمونت المسؤول عن هذه الحملة. ذهب الى الجزائرمع خط 20، في 11 ديسمبر، ووصل في 13 من الشهر نفسه اليميناء وهران. قام باحتلال حصن مرسى الكبير في 14، وبعد بضعة أيام، حصن القديس غريغوريوس. ثم بقي لمدة شهر في حالة من التراخي الكامل. ارسل إليه من الجزائر كتيبة، خط 17، ولكن فكر بأن هذا التعزيز للقوة غير ضروري، فأعاد ارسالها إلى فرنسا.

عرف بعض الضباط صعوبة في شرح ما قام به الجنرال داموريمونت الذي لم

يحتل وهران مباشرة بعد وصوله، فلم يكن هناك أدنى شك بأن لا أتي خذ تقرير في هذا الوقت حول كيفية التعامل مع هذه المدينة لم يكن الباي الجديد قد عين بعد وربما كانت التعليمات التي أصدرها القائدالعام تنص على التصرف بحكمة وحذر، كي لا يضطر لأعمال الصرامة لتنصيب حكومةجديدة للمحافظة. بعدذلك كان هناك أغراض أخرى، تظهر في هذه الأجزاء، وتأتي قبل المفاوضات مع تونس التي وصلت إلى نهايتها، والتي تدعم وجود قواتنا التي أدخلت على إمبراطورالمغرب لاجلاء محافظة وهران. ربما كان هذا هو السبب في أن الجنرال داموريمونت لم يحتل حتى 4 جانفي، مدينة وهران، أخذجميع التدابيراللازمة لمنع مواجهات دامية، ومع ذلك، فقد شهدت منطقة حصن (سان غريغوار) والمدينة، اشتباكا مع بعض العرب ولكنه دون أي أهمية.

باي وهران العجوز، الذي، أخيرا، أزيل من موضعا كان يرد ثقيلا عليه غادر بعد ايام قليلة من احتلال المدينة من قبل الفرنسيين على سفينة قادته إلى الجزائر العاصمة. وبقي هناك حتى رحيل الجنرال كلوزيل، وبعد ذلك أحيل على المعاش في الإسكندرية ومنها إلى مكة المكرمة، حيث توفي هناك.

بعد أيام قليلة من وصول حسن باي الى أرض الجزائر التي يعيش فيها حوالي مئتي تونسي، بهدف تشكيل حرس جديد لباي وهران الذي عين رسميا في 4 فيفري، وكانوا تحت قيادة ملازم أو خليفة هذا الأمير. هذا الأمير غادر،

بعد الانتهاء من أعماله في الجزائرالعاصمة، على متن سفينة مع فرقته الصغيرة، وذهب للاستيلاءعلى وهران. بعد انتهاءالجنرال دامريمونت من التثبيت، ترك له الخط 21، بقيادةالعقيد لوفول، وترك المحافظة بعد الانتهاء من مهمته.

في حين كان هذا الجنرال في وهران، قام العقيد بإرسال عقيد قائد الأركان أوفراي الى إمبراطور المغرب،لإجبار الأميرعلى احترام التراب الجزائري التابع لفرنسا.

لم يتجاوز السيد طنجة حتى تم امساكه من قبل حاكم المحافظة، إلا أن محكمة المغرب وعدت بإخلاء محافظة وهران، وعدم التدخل في شؤون مجلس الوصاية (المنطقة)، ولكننا سنرى في وقت لاحق أنه لم يتم الوفاء بهذا الالتزام .

لم يجد ملازم باي وهران الجديد هذه المدينة في حالة مرضية كما كان يأمل. وكان معظم الناس قد تخلوا عنها، وكانت العرب في المحافظة بعيدون عن الاستسلام. يبدو أن الجنرال كلوزيل أخفى عن التونسي الحالة الحقيقية للأمور، وقد شكا من خداعه. اعتمد بشكل كبيرعلى مخازن معبأة بشكل جيد، في حين أن تلك التي تسلمها كانت فارغة. كانت التقاريرالتي بعث بها الى تونس غيرمرجحة لجعل الأمير أحمد حريصا على معرفة محافظته. ومع ذلك، فإن الهدوء عاد تدريجيا. دخل بعض سكان وهران الى المدينة، واستسلمت بعض القبائل. يفترض أنه لما كنا قد اتخذنا الإجراءات المناسبة، لكنا قادرين على التعريف بسلطة الباي

الجديد، ولكن يبدو أن الحكومة الفرنسية غيرراغبة في التصديق على معاهدات السيد كلوزيل مع تونس، فلم يعد هذا يهتم بهذه القضية، التي يأس من جعلها توصلنا الى أشياء جيدة. ومع ذلك، شكلت هذه المعاهدات أقل جزء قامت ادارة الجنرال كلوزيل باحرازه. حتى أنها كانت مفيدة التقريرالمالي المشكوك في تحصيله خلال مراقبته في السنوات الأولى، ولكن كانت فرنسا ملزمة على وضع خصومات هذين الباي ن في ا لأيام الأولى من إدارتها، لكانت قد فازت في هذا المشروع ماخسرته مؤسساتها في بون (عنابة)، وهران، بوجي (بجاية)، أرزيو ومستغانم. وفقا للتقريرالسياسي، كانت الترتيبات التي وضعها الجنرال كلوزيل أقل حكمة. لأنها تسمح لنا بالعمل مباشرة عبر مركز مجلس الوصاية (المنطقة) بجميع وسائل عملنا، ووضع أساس للقوة والحضارة التي يجب أن تتفاعل بالضرورة مع الغايات، وحالة تبعية وخضوع، أو إذا كنت ترغب في القول الاندماج مع العرق المحتل.

كسر غرور السيد سيباستياني ليكون السبب الوحيد في عدم التصديق على المعاهدات. لقد كان وزيرا للشؤون الخارجية وقد أحرزت انجازات دون مشاركته. لم يخفي ذلك عن الجنرال كلوزيل، الذي أجاب أنه كان بسبب تعيين اثنين من البايات في المحافظات التي تعتبر من حق فرنسا، ومالم يكن مسؤولية وزيرالشؤون الخارجية، انه وافق على الاتفاق لتنفيذ الأحكام المالية

بكفالة باي تونس، وهو لايزال هناك في منصبه كقائدعام لجيش أفريقيا.على الرغم من عقلانية هذا التفكير،لم تستمرالحكومة في الحفاظ على معاهدات كلوزيل كشيء باطل. ومع ذلك،كانت ذات فائدة ملموسة، وكان السؤال منذ بعض الوقت عن استئناف العمل في الواقع، ولكن انتهى الامربالتخلي عنها تماما. وبالتالي، هذا يمكن لغرور رجل عجوز تافه، أن يخلط أوراق خطة بمهارة وتصميم، بعد أن حقق نتائج ناجحة قبل أن تقضى عليها.

في حين أن الأحداث التي تحدثنا عنها، قد تواصلت ونجحت في وهران، كان الجنرال كلوزيل مضطرا للتخلي عن المدية نتيجة لانخفاض عدد أفراد جيش أفريقيا. لم تكن حامية هذه المدينة قادرة أو لا تعرف خلق أي مورد هناك، وأصبح من ا لمستحيل التزود بالمؤونة. كان بن عمررجلاغير قادر،كما كان غير مغامر أيضا، ولا يعرف كيف ينظم شيئا. كان الجنرال كلوزيل ينص على عدم تغيير الإدارة الحالية، والتصرف في اللحظات الأولى على أنه حكم باي الأتراك، لكنه ترك كل شيء يذبل، ولم يفكرحتى بالاتفاق مع سكان حيد (هيد) ودوار، الذين كانوا من الممكن أن يصبحوا عونا كبيرا، وأن عادتهم في دعم السلطة يمكن أن تحقق عروضها. كل ماقدمه من عناية إدارية تراجع لممارسة المهنة في بعض الأحياء داخل المدن في أعمال قضائية خاصة بالمحاكم، وجمع الغرامات.كان الجنرال دانليون غير قادر على

توجيه، كان رجلا قادرا جدا على الحفاظ على الانضباط بين قواته، واتخاذ بضع الخطوات المبتذلة التي يجب الحفاظ عليها، ولكن لاتسأله عن شيء آخر أكثرمن ذلك. من المؤلم جدا أن يكون دائما جاهزا لإلقاء اللوم،ولكن كيف يبرر لرجل لم يكن قادرا حتى على إنشاء مطحنة كان بالحاجة اليها، واضطر إلى خفض الحصص الغذائية للقوات في محافظة غنية بالحبوب، وفي مدينة كان سكانها أيضا متقبلين لقضيتنا أكثر مما كانوا سكان المدية في ذلك الوقت[1]؟

كما كان الجنرال دانليون غيرمتأكد من قدرته على عبورالأطلس مع فرقته، وقد أرسل الجنرال كلوزيل لمقابلته، حتى ممر الثنية، حيث جلبته فرقة أشارد إلى الجزائر،حيث عاد يوم 4 جانفي.وكان أراد بن عمر، الذي نشعر بالعجز لأو ل مرة أن يترك ا لمدية معه، لكن سكان هذه المدينة، الذي خافوا من الوقوع في الفوضى، أصروا على بقائه معهم. كان هناك رجل أكثر ذكاء من بن عمر، وقادرعلى اغتنام الفرص المواتية لانشاء سلطته على أساس متين. وبعيد عن ذلك، سوف نراه قريبا ملزما على التخلي عن منصبه الرفيع الذي كان قد قدمه له الجنرال كلوزيل، حيث كانت له فرص جيدة للنجاح.

(1) ما سيأتي سيعطي فكرة دقيقة عن الجنرال دانليون.طاردته قبيلة عربية،بعد الحصول على يد الشيخ بن عمر، بطريقة مخزية وضعته في حالة تمرد ضد الباي. غادرالجنرال دانليون المدية مع جزء من أتباعه لمعاقبة هذه القبيلة، ولكن أدرك بأنه لايزال بعيدا عن تحقيق ذلك ومن المتعب الوصول اليها، فبدأ بحرق الأكواخ وأخذ الماشية من القبيلة المجاورة، معتقدا أن الأثرسيكون نفسه.

بعد إخلاء المدية، وجدت قضايا الجزائر العاصمة في نفس النقطة التي اتخذها الجنرال كلوزيل؛ كانت لنا مواقع استيطانية في المزرعة النموذجية والبيت المربع، بدلا من أن نكون في حدود ضيقة بين فيجي ومصطفى باشا. ولكن كان كل شيء في تحسن متواصل. وإلى جانب هذه المواقع، كان لدينا سلطة غير معروفة الا في فترة دي بورمونت. احتشد عدد قليل من الرجال من أجل السلام لدى "القادة"، في هذه العادات للإستلام للسلطة. ولكن بما أن هؤلاء الرجال لم يكونوا للأسف نشطاء كثيرا، فلم تجد فيهم السلطة الا دعما ضعيفا. شاركت الجماهير في فرحة لا معنى لها بعد التخلص من أي قيد، ما لا يوجد حتى في القوانين التي تحكم أي مجتمع، ولكن قريبا تقع هذه التجاوزات على عاتقها، استجابة عادلة وعقلانية، أظهرت حاجتها إلى من يحكمها. عدد قليل من الناس أرادوا مراقبة مسيرة الأفكار بين العرب: بذلك ينبغي جعل هذه المهمة سهل بكثير بالنسبة لأولئك الذين يمارسون السلطة في الجزائر العاصمة.

عندما كان السيد الجنرال كلوزيل أقل تعاملا مع العرب، فإن مرسوما جاء لإلغاء جميع حقوق البايات والقادة المستخدمين لصالحهم في بعض الظروف، والعودة الى المعاملة المخصصة لهم سنويا. ينص هذا المرسوم على الإبقاء على هذا النظام، الذي كان في 18 فيفري يحفظ هذه الحقوق التي يمكن اعتبارها ضرائب دورية، بل ويمكن تسويتها اذا تم جمعها بالنيابة عن الحكومة. وقد

اتخذت بعض التدابير أيضا من طرف مفتش مالي لجمع التبرعات؛ قرر أنه سيتم بحلول شهر وكل اثني عشر يوما. من غير المفيد القول أن جميع هذه الأحكام لم يبق لها أن وجدت على الورق، لأنها تظهر كشهادات مضللة لسلطة لم نملكها.

وفي نفس الوقت تقريبا، كان الجنرال كلوزيل يعيد منصب الآغا الشخص السيد موندري، قائد سرب الدرك وأكبر عميد في الجيش. وضع في خدمته 12 فارسا من الأهالي، ليكون دليله. كان العميد الكبير مونديري الى حد بعيد شخصا تافها، والذي كان آغا بالاسم فقط.

بينما كان كل هذا يحدث في الجزائر، انشغلت حكومة فرنسا بإيجاد خلف للسيد كلوزيل الذي اتهمها بالتصرف بطرق مستقلة أيضا، وهذا يعني، أحكام كثيرة جدا لزعزعة نير العبودية المذل للمكاتب. تم اختيار الجنرال بارتازان، الذي كان قد قاد فرقة خلال الحملة. وينبغي أن يكون الجنرال الجديد مجرد لقب متواضع لقائد فرقة في احتلال أفريقيا. وصل إلى الجزائر العاصمة يوم 20 فيفري، وغادر الجنرال كلوزيل في اليوم التالي، بعد أن أعلن عن طريق جدول الأعمال أن جيش افريقيا لم يعد له وجود بهذه التسمية، وعليها أن تأخذ تسمية قسم الاحتلال.

مهما كانت الأخطاء التي نسبت الى السيد كلوزيل، فقد تركت الكثير من الندم في افريقيا. أراد الخير للبلد وآمن بمستقبله. الجيش الذي بدأ التشهير، والذي

أعاد إليه المساواة بعد ذلك، وجد فيه المدافع المتحمس. أخذ بزمام المبادرة التي استحقها، وعندما أراد وزير الحرب مهاجمة صحة تعييناته، ساند بالحزم والنبل الحقوق المكتسبة من قبل واحدة من أروع مآثر الجيش في ذلك الوقت. بدأ سكان أوروبا بالتكتل في الجزائر العاصمة، ووجدوا في السيد كلوزيل رجلا يدرك من احتياجاته جيدا، ويتجنب الإذلال في الخسارة، كما كان في الكثير من الأحيان.

ارتفع عدد هؤلاء السكان، في وقت مغادرة الجنرال كلوزيل، إلى 3000 افراد من كلا الجنسين ومن جميع الأمم، الذين قدموا بدافع الحاجة لزيادة قوتها وتلقي الرعاية الاجتماعية، أو الهروب من ذكريات غير سارة بالتوافد إلى إفريقيا. ولكن هل يتوق عمل مستعمرة برجال في مختلف المواقف والحالات؟ من بين هؤلاء الأفراد من كانوا يعملون في العديد من قطاعات التجارة، والقليل جدا من الزراعة. كانت المزرعة النموذجية الفردية المؤسسة الزراعية الفرنسية الوحيدة. في المقابل، زادت في جميع الجوانب الأعمال التجارية والمنازل التجارية والمتاجر، كان في الجزائر العاصمة، منذ شهر جانفي 1831، ما يكفي لتلبية كل احتياجات الحياة الأوروبية تقريبا. ولكن لم يكن هناك أي ابداع، فالتجارة ليست انتاجا.

الكتاب 7

وصول الجنرال بارتازان. –المسيرة العامة لادارته. – السيد بوندوروند أمين المخازن في رئاسة هيئة احتلال مجلس الوصاية. – نظرة عامة حول أعمال الإدارة العسكرية. –إنشاء حق التسجيل. – الاستحواذ الأوروبي على الجزائر العاصمة. – اختبارات الثقافة. – تحليل لمختلف النشاطات الإدارية.

السيد بارتازان الذي عينته الوزارة خلفا للجنرال كلوزيل، قام كما قلنا، بقيادة فرقة في جيش أفريقيا خلال حملة عام 1830. كان اختيار الحكومة له نظرا لكونه شخصا يمكن أن يخضع بسهولة لها، وليس لأنه المنتصر في الأطلس.

تشكل جيش الاحتلال الذي تزعمه الجنرال، من بقية جيش أفريقيا، ومن ضمنها عدة أفواج تم إرسالها على التوالي إلى فرنسا، الى جانب هيئات جديدة المنشأ. وتتضمن على التوالي ال15، 20، 21، 28 و30 من الخط، الزواوة، والمقاتلين الجزائريين وسربين من الصيادين ال12، بالإضافة إلى عدد من بطاريات المدفعية وفرق الهندسة. كان هناك أيضا مجموعة غير منظمة من المتطوعين الباريسيين الذين يتزايدون كل يوم. وهي تتألف من الرجال الذين قاموا بدور نشط في ثورة جويلية، وكانت الحكومة الجديدة قد سارعت

للتخلص منهم خلال إرسالهم إلى أفريقيا قريبا عندما لم تعد بحاجة اليهم
ثم العمل على جعلهم أكثر انتظاما،وبذلك شكلت في وقت لاحق خط 67.
هذه الفرق لم تكن مرتبطة بالقطاع الا بالالتزام القانوني،وكان يسمح بقيادتها
في الجزائر، بعد التخلي عن وعود أولئك الذين لديهم مصلحة بابعادهم عن
باريس. لقد صدر عن هؤلاء الرجال الكثير من الشر والاساءة، ومع ذلك،
فانهم يتصرفون في أي ظرف من الظروف بشجاعة، وقدموا العديد من
الخدمات الحقيقية لهذا البلد كفنانين. وبشكل عام كان الضباط أسوأ ما في
هذا الحشد. وقد اغتصبوا كلهم هذا اللقب تقريبا، أوعلى الأقل حصلوا على
مناصب أعلى من مناصبهم الحقيقية. ولكن سرعان ماحدثت عملية التطهير
المناسب.

تم تقسيم كل هذه القوات إلى ثلاثة فرق بقيادة العميد بوشي، فوشار،
وبروسار. حكم الجنرال دانليون منطقة الجزائر العاصمة. وكان الجنرال بارتازان
قد عين العقيد لوروي دوفيرجيه كقائد للأركان. وعين السيد بوندورو وكيلا
للهيئة احتلال مجلس الوصاية خلفا للسيد فولون،الذي كان قدعاد الى فرنسا.
منذ بدايته الأولى في الجزائر،كان الجنرال بارتازان رجل داخلية وحسابات
شخصية. ويبدو أنه كان يرى في هذا المنصب فرصة كبيرة لتحقيق مكاسب
كبيرة في تعاملاته المعتبرة؛ وكان غير قادر على رفعها بطرق آثمة. هذا الضيق
في الفكر والشعور،شائع جدا بين رجالنا في السلطة، وهو ما يميز سمعتهم في
نظر الأمة.

هي تعتبر خيانة أمانة من الحجم الكبير وبعيدة عن الصدق البسيط.
كان السيد بوندورون، أمين المخازن الجديد، وبأهميته الإدارية، الموظف
الثاني في هيئة احتلال مجلس الوصاية، شخصا مستحسنا في الكثير من النواحي،
لأنه كان قليل الثراء في وضع يجعله في حاجة إلى توفير المال، ومع ذلك، عاش
بطريقة سليمة. ولكنه لم يكن رجلا ذا سعة عالية. لم تعط الإدارة العسكرية،
التي أدارها بنظام مادي في أفريقيا إلا مجموعة من الأدلة الحزينة على عجزها.
ومع ذلك، كانت تضم عددا كبيرا من الموظفين. كان هناك خمسة من الحكام
الفرعيين أو المساعدين في الجزائر العاصمة وحدها، تحت قيادة السيد
بوندورون، ومن بينهم نجد الرجال ذوي الجدارة الحقيقية في التخصص.ومع
ذلك، لم تكن هذه الادارة قادرة على خلق أي شيء تقريبا في البلاد، ولم تعش
الا يومها فقط، كدليل واضح على عدم وجود حماس أو تشجيع من جانب
زعيمها.
وكان الجيش دائما، يتسلم الغذاء في الميدان، أي الخبز، اللحوم، والخضراوات،
الملح والنبيذ. هذا ما يحدث في الأسواق في فرنسا في ما يتعلق بهذه السلع،
باستثناء اللحوم وفي بعض الأحيان الحبوب. لم تكن إدارة جيش أفريقيا تفعل
أي شيء. فقد كانت تتلقى فقط السلع أو ما يرسل اليها لتحصي الكميات. لكن
الجيش في الكثير من الأحيان كان يشكو من هذه السلع، فالأغذية تتضرر في
الكثير من الأحيان ومن الواضح أنها غير صحية في بعض الأحيان، يتم توزيعها
دون وقوع أي طارئ، أي لا يمكن القيام بذلك بطريقة أخرى. في مراسلة قادة

الأركان نلاحظ في أوقات الفترات، ولاسيما تلك الخاصة بتجديد الجنرالات، وجود مطالبات وشكاوي، وأستطيع أن أقول حتى اتهامات خطيرة للغاية،تم إرسالها إلى الإدارة في هذاالشأن. اعتاد الجنود، على أحكام طفيفةجدا، وربما المسؤولون عن التغذية،يمكن أن يتهموا في هذا المنصب بعض أعضاء الإدارة بالتواطئ مع الموردين.

عمليات بيع وشراء اللحوم تحدث في الساحات.وقد تفاوت وضع هذا الحكم في كثيرمن الأحيان. أحيانا تقوم به الشركة، وتخضع في بعض الأحيان للحكم. منذ فترة طويلة كان المحاسبون هم الذين يمولون باشتراك زئبقي والذي تكون جميع البنود فيه لصالحهم: وهنا تكشف عن نفسها فيما يخص جميع أنحاء الإهمال، ومن أجل تلبية الحاجة لاستهلاك كبير وثابت، فإنه ينبغي أن يكون لها قطيع حسب هذه الاحتياجات، قطيع لا يكلف شيئا للإطعام،لأن ممتلكات الدولة تضم حقولا للرعي واسعة النطاق وليست بعيدة عن العاصمة، على ضفاف أركاث وحميز، كما يمكن أن نجد أراضي مختلفة بتكلفة قليلة جدا، ولكن أقرب بكثيرمن المدينة. اذا سير هذا القطيع بشكل جيد، فسيتضاعف، لتوفيراللحوم الجيدة للجيش بأقل تكلفة، أفضل من اللحوم السيئة التي توزع عليهم منذ أربع سنوات. بدلامن ذلك،كل المحاسبين يملكون بعض الحيوانات التي لا يطعمونها، والتي ذبحوها قبل ساعات قليلة من امكانية موتها جوعا. تحزن العين على مرأى الهياكل العظمية التي تتسكع حول منازل المحاسبين والتي توجه

لتغذية جنودنا. اعترف جنرال برؤيته وجودهذه الظلال للقطعان الإدارية وهو ما يكفي، في قاعدة جيدة لتحفيز إزالة هذا المنصب (أي أمين مخزن). لكن لم يحدث أي شيء: زود الجزارون في قواتنا المسلحة بلحوم سيئة جدا، بالوسائل التي وظفتها الادارة، بحيث أن أدنى انخفاض في اللحوم الواردة من العرب، يجبرنا على تخفيض الحصص الغذائية، وحد ث ماحدث حتى أن اللحم غاب تماما في بعض الأحيان.

المحاسبون الذين لديهم مصلحة شخصية لشراءلحوم رخيصة، يكتفون بشراء حيوانات غير جيدة وفي بعض الأحيان مريضة، وأحيانا أخرى ماشية مسروقة، والتي تكون بأسعار رخيصة جدا. والإدارة العسكرية، التي لم تكن راضية بالطريقة التي يتم بها اطعام الجنود، كانت تعطي مكافآت تحفيزية لسرقة العرب أنفسهم. رئيس المكتب العربي وبسبب دعمه حقوق لمالكين المحليين والأوروبيين، الذي يقر أن الثروة الحيوانية تنمي اليقطيع محاسب، قدواجه الصيف الماضي اتهامات الادارة بالاساءة في تموين الجيش،لأنه أراد استعادة هذه الماشية. لذلك فإن الإدارة تعترف بتعيينها لعدد من الوسائل المستخدمة لإطعام الجيش في بلد نسعى الى ادخال الحضارة اليه ونوقف السرقة.

في كل هذا، لم تكن الإدارة العسكرية فقط الجاني. بل ينبغي القول أن المدراء العامين ليس لديهم الاهتمام شخصيا باحتياجات الجيش والوسائل المستخدمة، من الواضح أيضا أن من المستحيل انشاء مؤسسة

قطيع عام مع قطيع حقيقي ينمو ويتنج،كما كان الحال في حكومة الداي، ولكن في الأخير، كان من واجب أمين المخازن اتخاذ مبادرة الاقتراح، وأنا مستعد للاعتقاد بأن المساعدات العسكرية كانت غائبة في منشأة مفيدة. ولكن على العكس من ذلك، يبدوأن الإدارة لم تزعج نفسها لدراسة موارد البلاد، وحتى انها لم تتخذ قرارات للاستفادة من تلك السلطة العسكرية التي وضع تفييدها.وسوف أذكرعلى سبيل المثال مقص ورص القش تحت قيادة الجنرال فوارول في البراري الشاسعة والحميز. سوف نرى في الجزء الموالي ما كانت عليه هذه العمليةالتي لم تحمل أي فائدة، وذلك بسبب خطأمن الإدارةالعسكرية.وخلاصةالقول،أن هذه الإدارة،لاتعرف إنتاج حتى كومة قش،أوأن تولد عجلا. إضافة لهذا كانت دائما تشعربالحرج من وسائل النقل في جميع تحركات القوات، وهي لم تكن قادرة على تنظيم قوافل المساعدة لمساعدة العائلات الفقيرة في البلد، والتي لديها على الأقل بغل أو جمل، وفي الاخير كانت واحدة من الأسباب الرئيسية لحالة تحجر الجيش الهائلة في أعالي الجزائرلمدة خمس سنوات.

من بين أعمال السيد بوندرون، عمل واحد يستحق كل الثناء، هو إنشاءالمستشفى التعليمي في الجزائرالعاصمة. يتم إجراء دورات بواسطة ضباط الصحة من الجيش، من بينهم رجال ذوي المعارف العميقة. ومن بين هؤلاء العالم العامل بودوس، والذي، على الرغم من صغره

(كونه شابا)، اكتسب بالفعل سمعة أوروبية. هذا الجراح الشهير، المهتم بالمؤسسات المفيدة، مثل كل الرجال الذين يستحقون مصير الحدود المشتركة، ساهم إلى حد كبير في إنشاء المستشفى التعليمي. أعجب السيد بوندورون الذي يشكل أكبر حالة، وبسط كل الصعوبات بنظرة عالية وعرض مثابر، وكنا نود أن نراه في جميع الفروع الأخرى للإدارة، لأنه، أعيد وأكرر، كان السيد بوندورون، واحدا من هؤلاء الرجال الذين نرغب في استئجارهم على الإطلاق.

وكان السيد الجنرال بارتازان غير قادر على إعطاء الدافع الحافز للإدارة العسكرية التي تلقاه من رئيسه المباشر. كان نفس الوضع بالنسبة للحالة المدنية، وهنا كانت نعوم ةالقائد العام نتيجة، طبيعية للامبالاة حول كل ما لا يتعلق حصريا به، وزاد هذا إلى حد التطرف والتعصب في نفسه وصل الى درجة الحذر نفسه وعدم اليقين وعدم الثقة بالنفس. على الرغم من أن الكتاب الذي نشره مؤخرا، لا يحمل أي شيء رائع جدا، الا أنه سمح باكتشاف المزيد عنه، وكما كان افتراضنا، فقد كان غير قادر على معالجة المسائل الإدارية ذات المرتبة العالية. كان يمكن بسهولة عن طريق إسكات أولئك الذين على دراية بالعبارات الإدارية، والتعود أخيرا على الحصول على ما يرغب فيه دون مناقشة، ولكن لا يخلو ذلك من الاستياء. لأن الرجل ذو الكرامة العالية يغفر لمن وضعوه في الكثير من الأحيان في الحاجة الملحة للاعتراف بعجزه الفكري. أنا ألمس الآن مسألة حساسة في موقفي، وفي الأخير قررت التحدث عن الحقيقة.

هناك نوعان من العثرات والعقبات التي تجاوزها جنرالاتنا بصعوبة. مهما تألقت حياتهم الماضية والجدارة في خدماتهم، الا أن قلة منهم لديهم المعرفة العامة وحب العمل اللازمين للدفع بالجهاز الإداري الى الأمام في نفس الوقت وبثبات. في حين لم يجروا بأي حساب وملاحظات ولامشورة رؤساء إداراتهم، كانت تصرفاتهم تحمل الكثير من الجهل والوحشية. عندما تركوا للعمل دون مراقبة، كل في مجال تخصصه، ومن ثم سيكون هناك خلل عام، وضيق في أعمال الإدارة. كل رئيس قسم لا يرى ولا يجب أن نرى الا تخصصه. الاعتبارات التي تؤخذ خارج الحلقة التي يتحرك فيها،ليست بالنسبة له، بحيث إذا لم يكن هناك في أعلى التسلسل الهرمي الإداري رجل قادر على الامساك بين يديه كل الأبناء دون الخلط بينهم، لن تكن هناك إدارة ولاهدف مشترك. لم يكن عمل إدارة المالية الا زيادة الإيرادات دون النظر في ما إذا كانت المعايير الجبائية تؤثرسلبا على ازدهارالبلاد. ولا ترى ادارة الأشغال العامة الا البناءات التي يمكن تصنع الاحترام الذاتي لأعضائها فيما يتعلق بالفن، ولا تهتم إذا كان البناء أرخص وأسهل وغير مناسب للوقت الحاضر. وهكذا كانت البقية.

ماقلناه عن الجنرالات يمكن تطبيقه، عن طريق القياس، على الكثير من السياسيين في النظام المدني، ونحن بالكاد لدينا في فرنسا إلا التخصصات. الرجال الذين يملكون المعرفةالعامة نادرون للغاية. ومع

ذلك، فمن الواضح أن نكون أكثرعرضة للايجادفي القسم المدني حاكما جيدا الجزائر العاصمة أحسن من الأقسام العسكرية. بما أن الاختيارلا يتعلق فقط ب 80 حارسا من الأفراد التابعين للملازمين والجنرالات، أين يتم اختيار بعضهم حسب العمر، والآخرون ينتمون إلى الجيل الذي غابت فيه فوائد التكوين العالي تماما.

ارجو أن يقتنع القارئ بأنني لا أسعى لمهاجمة أي شخص. أعترف بكل ارادة أن هناك بعض الاستثناءات للقاعدة العامة،ولكن من المسلم به أيضا أن في قرن الأزمات مثلما هو الحال في بلدنا،حيث أن كل 15 عاما تجلب أفكار و احتياجات جديدة، ورجال هذه الفترات يجب أن يختفوا معها، ولا يتوقع أن يعتبرهم العامة بطريقة ازدرائية بأنهم مكثوا وقتا طويلا على المسرح. الوطن ممتن لبعض الخدمات القديمة، ليسجلهم بدون اعتبار في روعة المجد، في حين أنها باستمرارالبقاء على الساحة، ليكونوا عرضة للتعرف في اللحظة (الحاضرة)، وهذا ما لايأتي بالكثيرمن الفضول لاستكشاف ما كانوا عليه في السابق.

وصل السيد بارتازان مع أحكام مسبقة أكثر أو أقل تبريرا ضد معظم المسؤولين الذين استخدموا سابقا. هذا ما شهدناه في أفريقيا بصفة عامة مع كل تغيير للزعيم (القائد). ويتصور أحدث الوافدين الجدد الأخطاء التي تم الإبلاغ عنها، أو أنها قد اكتشفت وقد غطى على نفسه بربط ذلك حصريا

بالموظفين الإداريين وذلك عن طريق تغيير عدد قليل من الموظفين، سيتم قول كل شيء. ومع ذلك،إذا كان الموظف قد خرج عن مساره، فمن الأفضل إعادته الى الوضع الصحيح بدلا من استبداله برجل جديد، في بلد تكون فيه دراسة واختبار مثل هذا، بعد تلقي تكوين في المجال، وهوليس ما بالشيء الهين.صحيح ان وضع رجل على الطريق، يجب أن يعلم شخصيا أين تريد أن تذهب.

من بين أولئك الذين أثاروا استياء الجنرال بارتازان كثيرا، كان السيد فوجيرو، مفتش المالية، الذي كانت معهم مشادات حادة إلى حد ما. كان هذا المسؤول مهما جدا، وقد قام باختبارصبر الجنرال العام في العديد من المرات. حل محله السيد ويليومك مفتش مالي، وكعضو لجنة الحكومة، التي أخذت في 1 جوان تأهيل اللجنة الإدارية، السيد نائب أمين المخازن، و كان وزير الجيش لأشهر قليلة. ليحل محله السيدكاز. ذهب السيد جيراردين، مدير البرامج الميدانية الى فرنسا بسبب عطلته، وحل محله بشكل مؤقت السيد المراقب برنادوت.

غادر رولانديوسي مهنة مفوض عام للشرطة. وأسندت الى العميد مانديري الذي كان آغا العرب، والذي أصبح مسؤولا بمهمة ثالثة بعد المهمتين اللتين لم يتقنهما.

كل هذه الترتيبات أنجزت، ويبدأ كل رئيس قسم يديره الى حسابه الخاص، دون الكثيرمن الحرج من البقية. قدمت المشاريع المتفق عليه على شكل نموذج الى القائدالعام،وكان العمل يجري قدر المستطاع.

لكن، من المفترض أن يكون للحاكم فكرة واحدة خاصة ،لتبرئة ضميره، فكان الجنرال بارتازان يحمل فكرة تجعله على اتفاق مع الأهالي (السكان الأصليين).المشروع كان يستحق الثناء جدا،ولكن تطبيقه لا يحدث دائما بفطنة كبيرة. آثارتعاطفه مع السكان المسلمين تتركزعلى عدد قليل من الموروعلى غرار بودرباح وزمرته. هذا الرجل الذكي والبارع قدم جائزة لنفسه أو لاتباعنا، من خلال صفقة مزرعةالقمح (رشيبة) وهي الصفقة التي جمع فيها المستحقات، من بين جميع الصفقات وجميع"الفنادق". بدأ يلعب دورا هاما بين المسلمين، وقد كان في السابق حقيرا ورجلا دون أخلاق، وقد ظهر اسمه لأكثرمن مرة في المحاكم. يبدوأنه في هذه الفترة بدأ نبلاء المور في الجزائرالعاصمة يحلمون بمطعم مسلم يعود بالفائدة عليهم. هناك سبيل لاعتقاد أن اتصالات شبه رسمية جاءت من الأعلى، لجعلهم يعتقدون أن الأشياء ممكنة الحدوث، وأن فرنسا نفسها، تعبت من غزوهم واحتلالهم، وستمد لهم يد العون.

في 24 ماي، اصدر السيد الجنرال العام بارتازان مرسوما دفع أولي يعاد لإيجار لمدة 6 أشهرسيدفع لأصحاب الأملاك لأسباب تتعلق بالاستعمال العام.

وهذا هوكل ماحصل عليه حتى الآن الأهالي المساكين سرقوا من قبل الإدارة الفرنسية. ومنذ ذلك الوقت، كانت كتلة هؤلاء المساكين في زيادة هائلة، والفوائد بسبب كانت على الأقل في هذه اللحظة تصل الى120،000 فرنك فرنسي من القسط السنوي. فلتتصورأن مثل هذا المبلغ يؤخذ سنويا من مئات العائلات، بسيطة الحال بالنسبة للجزء الأكبر،فاضطرت للمغادرة مقابل البؤس واليأس. ولكن لاأحد يريد التغلغل في هذا السرالمليء بالكثيرمن الألم. الأطفال الفقراء يتسولون في الشارع، حيث ينتظرون الصدقات المهينة،وفتيات كن ينتظرن نصيبهن في عش الزوجية وقد أصبحن الآن عرضة للجوع والدعارة، ولا أحد يهتم بسبب هذه المآسي. تذرف الدموع لسوء الحظ المظلم الذي لم تتطرق له مقالات الصحف، والذي لم يصل الى غرفة الاستماع الى شكوى هؤلاء والتخلص منه. أرسلت الحكومة مفوضين في عام 1833 لدراسة الوضع في البلد، ومع ذلك، فقد وجدت ظلما كبيرا يجب إصلاحه. وقد عين واحد منهم في المنتدى الوطني أحد ضحايا إدارتنا، ولكن من كان هذا الضحية؟ هذا الأوروبي الذي بعد أن اشترى مقابل 800 فرنك اجزاء واسعة من مزرعة في ضواحي الجزائر العاصمة، وقد سلبت منه مبانيه التي أجبرعلى التخلي عنها كمأوى لجزء من فرساننا، ولكن دفعنا له 2،000 فرنك مقابل الايجار. هذه هي المصيبة الرهيبة التي انتقلت الى الأعمال الخيرية التي تحدثنا عنها.ومع ذلك، كان يذهب الى الحفلات

الراقصة والسهرات، حيث وجه ملاحظاته، حيث يمكن لهذا المتحدث أن يراه أمام باب الفندق، أين يدخل العشرات من الأطفال التي لم تعطلهم حضارتنا بعد، مقابل متجر أو ورشة عمل آبائهم.

الحكومة نفسها، كانت فرنسا ممثلة في غرف، يجب أن تعالج الانتقادات القاسية وسوء المعاملة وسوء النية ضدالسكان الأصليين المحرومين. وقدرأينا أن الجنرال كلوزيل قد أصدرمرسوما يقضي بأن تكون المباني مجالا لضمان ديونها، ولكن بعض الملتزمين من وزارة الحرب، كانوا قد درسوا فن حكم الجزائر في المعاهد الإدارية للسيد جيرونت، وفي نشرة القوانين، وجدت هذه الطريقة لاخراج قواعد مشتركة، والذي كان صحيحا، وأنه لايوجد علاقة بين خصائص الميدان والديون السيادية، وهوفي هذه الحالة، ما كان مزيفا. لأن هذا هو السؤال الذي يلخص في تعبير بسيط: الحكومة الفرنسية أصبحت تحكم في الجزائر، لكنها لا تعرف حتى الآن مايعود اليها.وفي مثل هذا الوضع، كانت هناك أسباب أكثرأوأقل قوة تستدعي هدم منزل: البيت ينتمي الى منطقة تعود الى ممتلكات الدولة، وبهذا انخفض عدد المنازل في الميدان، ولم يعد التساؤل عن ذلك. يوجد أبعد قليلامن المنزل الأول منزل ثان كان هدمه ضروريا أيضا ولكنها تعود الى أحد الخواص، وهو يطالب

ويقول: "ليس بعيدا عن بيتي في شارع من هذا القبيل، في بيلك من نفس
قيمة منزلي، أعطوها لي وسوف اتركك". حذر كلوزيل من هذا الطلب،
وأجاب بموجب المرسوم الصادر في 26 أكتوبر، حيث أمر وزير الحرب
بوقف التنفيذ.لوكان ذلك للوصول الى دفع تعويضات بوسائل تخرج
عن العادات الإدارية، فلا شيء أفضل، ولكن هذا الاجراء لم تكن له
نتيجة غير تخريب أملاك المحرومين، من الواضح للجميع أن الذي
يتأمل أشياءا أخرى غير المعاهد الإدارية، يرى أن ملتزمي وزيرالحرب،
كان عليهم اعادة توجيه القواعد الموضوعة من قبل الادارة الى قوانين
ثابتة من العدالة والشرف، وإذا كنت أتحدث عن الكتبة (الملتزمين)،
ليس لأنني أخشيان أصل إليالوزير، ولكن أنا مقتنع إن مسألة الجزائر قد
تم التخل عنها. ولكن ماكان لي في موقفي، سبب للشك، ولكن إذا كان
الأمركذلك، فإننا أرسلنا للمحافظ، ربما، لرؤية الأمورعن كثب، وقال
انه سينجح في ابعاد أي شكوك حول صحة رأيه حتى في عقل أولئك
الذين اجبرهم الواجب لقراءة انفعالاتها لأسبوعية في الجزائر.

تحمل وزيرالحرب، بحكم هيئة موظفيه، مسؤولية الظلم الذي
ارتكب ضد أصحاب الممتلكات.لو تركنا المهمة للقادة الرئيسيين لدفعوا
التعويضات. بوصول السيد بيشون،حسمت ميزانية المدفوعات على

الإيرادات المحلية، وليس هناك شك في أن التعويض سيكون مستمرا.
عندما يرغب وزير للعودة الى الجزائر في القانون المالي، فإنه لايجب أن
يكون له وزنان ولا مقياسان، وعدم ترك الأهالي في وضع استثنائي عن
ما لا يقدمون لهم خدمات، في نفس الوقت الذي أخرجوهم مما كان
مفيدا بالنسبة لهم. ومع ذلك فهذا ما حدث بالضبط، لأنه إذا كان قانون
المالية من ناحية لا يسمح بالصرامةفي التطبيق،واتباع أحكام المرسوم
الصادر في 26 أكتوبر 1830من جهة أخرى، فلدينا قانون يحظر ويحرم
المالك من تعويض عادل ومسبق. على الرغم من هذا الانتهاك لقوانين
العدل والمنطق، لايجب أن نعتقد أننا في مكتب العدوالمنهجي للمور.
على العكس من ذلك، ما لايمكن تفسيره من تناقض، هو أن نفس
الأشخاص الذين تسببوا في الخراب والضرر للأسرالمسلمة يتبعه هذا
القدر الكبيرمن الترحيب للمتآمرين الذين وصلوا الجزائرالعاصمة.
وقد أغرقوهم باللطف والرعاية، عن طريق الديكورات والمعاشات،
من حسن الحظ أنهم لم يستخدموا مسألة التعويض لتمس بشكل قريب
الممتلكات المحروسة، قلنا أن الجنرال كلوزيل بجمع كل ممتلكات الأتراك
المرحلين ضمن ممتلكات الدولة. تم تحويل هذه المصادرة إلى ممتلكات
محروسة بمرسوم 10 جوان 1831، والذي تم بعد قرار وزاري في 27

ماي. مازالت هذه الحراسة أيضا تمس الأتراك، ولا نعرف كم من الوقت سيكون ذلك. أنا لا أعرف ما اذا كانت الحكومة تتوقع تحولت ملكية هذه الممتلكات بين أيدي الأوروبيين، أوأنها محرجة من ذلك،لأن تحتل شخصيا عدة ممتلكات ضرورية للخدمات العامةالمختلفة.

غالبا ما طبقت أحكام المرسوم بتاريخ 10 جوان، إماعن طريق الخطأ أوعن طريق تفسيرات كاذبة، على أتراك لم يتم ترحيلهم،وكان هناك بعض رفع الحراسةالجزئية. كانت اللجنة الإداريةتفرضها أولا، ليقوم الوزير بحجزها لاحقا. وهكذا، لم يتمكن الأتراك الذين ينتمون الى حامية مستغانم والذين كانوا في الخدمة من العودة إلى ممتلكاتهم بموجب القرار الوزاري، على الرغم من أن حراسة الممتلكات الذي تحقق، من الواضح أنه كان نتيجة خطأ لايقبل المناقشة. هذا الالتزام الذي يوجب الركض الى باريس لأشياء بسيطة، قلل في عيون المواطنين (الأهالي) أهميةالحاكم في الجزائر،وهذا ما كان إساءة كبيرة. قوة يجب ان تكون عظمى وتتمتع باستقلال أقل وضوحا[1].

ومع ذلك، جلب الأمل بعض الأوروبيين الى أفريقيا فكانت هناك عمليات استحواذ يومية. في 21 جوان الموالي، حدد حق التسجيب 2% عن أعمال الاستلاب النهائي أو نقل الحيازة لمدة خمسين سنة ومافوق.تم تخفيض واحد بالمائة من كل عام من الحيازة الأقل من خمسين عاما.

(1) جمعت مجموعة من الحقائق التي يمكن أن تعلمنا لماذا كان اختيارباريس لتنظيم مسائل الضمان والتعويض، ولكن ليس من المناسب لي شخصيا نشرها الآن.

هناك أشياء غريبة جدا لنقولها عن استحواذ الأوروبيين في أفريقيا، ويستحق هذا الموضوع توقفنا هناك لحظات قليلة.

لا تريد الأسر المسلمة العديدة ذات التحيزات العرقية والدينية العميقة أن تعيش تحت الحكم المسيحي، واتخذت في الأشهرالقليلة الأولى بعد الاحتلال، قرار الابتعاد عن الجزائر، للبقاء اما في الشرق، أو في مدن المناطق الداخلية من البلاد. حاولت قبل رحيلها أن تحقق ثروات،ولكن لم يكن المسلمون الذين بقوا في الجزائر في ظروف تجعلهم يحققون عمليات شراء المباني والممتلكات، وكان الأوروبيون الذين جاءوا ليستقروا هناك اكثر رغبة في أن يصبحوا أصحاب هذه الممتلكات.لم يملك معظمهم أكثرمن رأسمال بسيط، وبعد ذلك، أصبحت أكثر أهمية، لم يكن مستقبل البلاد يضمن بمافيه الكفاية لعمليات الاستحواذ التي تمت عن طريق وسائل عادية، وهذايعني، من خلال تبادل مبنى مقابل أي مبلغ: لأننا نستطيع، من لحظة إلى أخرى، إخلاء الجزائر، والمشترون الجدد سيجبرون على التخلي عن مبانيهم، دون أدنى بصيص من الأمل للعودة برؤوس أموالهم. لكن من ناحية، هناك الرغبة في شراء، ومن ناحية أخرى هناك من هم بحاجة للبيع، وينتهي ذلك بالتوافق. يتم هذا الاستلاب باستخدام المعاشات الدائمة. هذا النوع من المعاملات لا يحمل ضمانات

للمشتري، الا في حالة الاخلاء حيث لن يخسر الا بعض المعاشات، ويترك للبائع فرصة للعودة إلى ممتلكاته.

تحسب الايجارات عموما الى أدنى نسبة حسب القيمة التي تعطى للحيازات، لذلك كان الأوروبيون مبهورين من السهولة التي يمكن من خلالها الملكية في الجزائر العاصمة.

وبمجرد ما أصبح الحصول على الممتلكات، بطريقة جد مناسبة، متاحا، لم يبق الا تحديد المتلكين. بدأ منا الشراء للمهاجرين، ولكن سرعان ما اشتريا من كل الأيادي (الملاك). امتد الاحتلال العسكري على عدد كبير من المنازل في المناطق الداخلية من المدينة وخارجها. الدمار كان ثمار عدم الانضباط الصادر عن جنودنا والحزن للغاية، وبذلك يكاد يكون من المستحيل استخدام الممتلكات الريفية في ضواحي الجزائر العاصمة. رأى السكان الأصليون أنهم لن يجنوا شيئا من ممتلكاتهم، إما الريفية منها أو الحضرية، والتي اضطروا لبيعها للأوروبيين في ظروف صعبة وقعوا فيها؛ اشترى الأوروبيون بأسعار رخيصة، وأعربوا عن أملهم في أن تنجح ممتلكاتهم في جعلهم محترمين. ولكن كان ذلك مختلفا دائما تقريبا؛ باستثناء عدد قليل من الشخصيات الاستعمارية (المستوطنين) الذين تحصلوا على تعويض عن الاساءة التي ارتكبت ضدهم، أوضمانات للمستقبل بالضبط أنهم كانوا أكثر عرضة لتكبد الخسائر، وماعدا

هؤلاء، لم يكن المستوطنون يعاملون أفضل من السكان الأصليين (الأهالي) يمكن للمرء أن يقول الدمار والنهب كان مرتبطا بهم لأن سوء السمعة المرتبط بغرض هذه الخسائر الطارئة ليشتروا بثمن بخس ويستفيدوا من محن الأهالي، وبما أن أرادوا أخذ مهمة تحويل التهم ضدهم. القادة أنفسهم أظهروا الكثير من الإهمال لفرض احترام الملكية عندما عرفوا أن الخسائر لم يعد ينبغي أن تقع الا على عاتق الرجال الذين كانوا مرة أخرى سببا فيها بسبب تعاملهم مع الأهالي. قال الجيش أنه لم يغزوا البلاد لإثراء المضاربين. هؤلاء المستوطنون الذين أصبحوا يعتزون ويفخرون بالملكية المميزة الجديدة مما يدفعهم في الكثير من الأحيان للظلم، وأرادوا طرد الجيش من جميع المنازل التي احتلوها. من هناك، بدأ تبادل الاتهامات بين الجانبين، الى جانب تبادل الشتائم من القلقين والمخربين (الوندال)، مما نتج عنه صنفان من الرجال الذين يتنافسون لنفس الغرض.

ولكن كل ما هو خاص حول هذا الموضوع، هو أن أكثر من عسكري في فئة القلقين وأكثر من مضارب في فئة الوندال. اشترى العديد من الضباط المنازل والأراضي، ولم ينشروا في معاملاتهم الأكثر دقة رمن مضاربي المهنة، والعديد منهم لجأ إلى تدمير ممتلكاته الخاصة، وقطع الأشجار، وإزالة الخشب والرخام والتجهيزات من المنازل، وفي الأخير كل ما هو قابل للازالة بعد

الحصول بهذه الطريقة على بضعة آلاف من الفرنكات ،تركوها لتصادر من قبل الباعة المور (بسبب خطأ دفع الإيجار الذي منح لهم.

وإلى جانب هذه الوسائل الصعبة بعض الشيء لكسب المال والمباني، أضاف بعض الأوروبيين وسائل أخرى اجرامية. الممارسات الاحتيالية وقعت، لتجعل ملاك الأرض الأصليين يعتقدون أنه سيتم مصادرتها من قبل الحكومة، والذين لم يكن لديهم وسيلة أخرى لعدم خسارة كل شيء الا المبادرة إلى البيع بأي ثمن كان.

الأهالي الذين أعطينا لهم مثالا في الخيانة في المعاملات لم يتأخروا أبدا في تقليدنا. يبعث جميع الممتلكات "الفحوص" تقريبا، والشراء أصبح كثيرا في سهل متيجة. بدأنا أولا بالتعامل مع المور والعرب من أصحاب المزارع في متيجة الذين بدأوا في بيع أراضيهم، حيث وجدوا أنه من المفيد دفع الإيجار للمبنى بغياب ما يمنع المالك السابق من مواصلة التمتع بسلام، لأن جميع هذه المقتنيات كانت بعيدا عن خطوطنا. الاورويبون لايمكنهم حاليا التفكير في الاستيلاء، ولكن كانوا يعملون من أجل المستقبل، أملا أن يصبحوا يوما ملاكا حقيقين وليس بالاسم فقط، كونها وبمجرد الوصول الى الأرض، كثيرا ما كان البيع خياليا، حيث جشع المشتري يخدع سذاجة البائع. وتملكت هؤلاء الأوروبيين رغبة للحصول على شراء قطعة أفريقية وشراء كل ما يعرض عليهم، ليس فقط دون رؤية البناء، الذي كان من المستحيل تقريبا دائما، ولكن أيضا على أوراق مالية

كاذبة أو مزورة، وفي كثير من الأحيان على وثائق إعلان يكون فيها سبعة شهود مجهولين.

وبهذه الطريقة التي لديها نفس الخصائص تباع نفس الممتلكات في نفس الوقت للعديد من الناس، حيث تم خداع الأوروبيين اما بوضع عقود بيع خاصة بنصوص دقيقة، وقد حدث بالفعل أن اشترى البعض 10 مرات سهل متيجة أو اشترى أرضا لا وجود لها. جعل العرب خداع جشع الأوروبيين لعبة، ويجب الاعتراف بأن هؤلاء تصرفوا سذاجة، حاولنا أن نغفرها للأوائل في تصرف يسوده الكثير من الخداع والارتباك أكثر من الخبث. لأننا في الأخير، رأينا في الجزائر رجالا تخيلوا شراء ألفين أو ثلاثة آلاف فدان من الأراضي الممتازة التي زرعت بشكل جيد مع الماء بالقرى التي يسكنها مئات من الناس مقابل مئتين أو ثلاثمائة فرنك في السنة. لقد أصبحت كثيرا القلق في أحد الأيام على الصحة النفسية لاحد المستوطنين، الذي كان قريبا مني لفترة طويلة، حيث جاء ليقول لي انه قد اشترى في الصباح قرية ●●●●● التي كانت أجمل وأغنى وأكبر قرية من حيث عدد السكان في السهل. وبعد أيام قليلة، قادني عملي الى هذه القرية، وكنت أتساءل اذا كان إقليم ●●●●● سوى معلم واحد للسكان الذين كانوا من المزارعين أو المستأجرين، لكنني وجدت أن الجميع كان مقتنعا بالملكية الثابتة لمنزله، وحديقته وحقله، ولا أحد كان يشك بأن أوروبيا قد اشتراهم مثل "القن (عبد الأرض) المسكوفي".

كما كان مستوطن آخرمطمئنا، أوكان مقتنعا بأنه اشترىأكثر من 150 "زوانجة" (الزوانجة تعني 25 فدانا)، وأصبح صاحب الجزءالعاشر من مزرعة "الحوش"، ولكن عملية حسابية في دقيقتين أثبتت له أن هذه المزرعة التي تنتمي الى سهل متيجة الكبير، لا تمثل الا الجزء العاشر منه.

وعلاوة على ذلك، وبالرغم من خيبات الأمل الكثيرة، الا أن العديد من الأوروبيين يملكون حقا في متيجة الكثير من الأراضي الجميلة والواسعة، وتباع وتشترى بحسن نية أيضا. هذه المقتنيات الفعلية أ والحقيقية التي تتجاوز السهل، تمدد إلى ما وراء الجبال. ماهي النتائج المترتبة على هذا الاستيلاءعلى ملكيةالأرض؟ هذا ما سوف ندرسه.

معظم الناس الذين يشترون لم يكن لديهم الوسائل ولا الرغبة في استغلالها. انهم مازالوا يأملون في تشكيل تجمع سكاني أوروبي كبير في أفريقيا، وبعد ذلك سوف يحصلون على فوائد كبيرة خلال إعادة بيع ممتلكاتهم. ولكن كانوا أنفسهم عقبة أمام تحقيق حلمهم وطموحهم؛ بما أنهم كانوا هم العمال، فهذا يعني بأن عناصرالمستوطنين ينبغي أن يدفعوا لهم الجزية، وتؤخذ الفوائد من هؤلاء، وهذا ما يجعلهم يبتعدون. في الواقع أعيد بيع عدد كبيرمن الممتلكات عدة مرات، وسعر إعادة البيع يرتفع في كل مرة، لأننا شعرنا أن مثل هذه الفرصة لن تتكرر في الوقت الذي الذي

يكون فيه الاستغلال الأوروبي ممكنا، بحيث أن الإنتاج وجد الآن مثقلا بالفوائد المتعاقبة للمضاربة التجارية، والتي من الواضح أنها تجعلها أكثر صعوبة، بجعلها أكثر تكلفة بالنسبة لأولئك الذين يقدمون عليها. هذا الاتجاه لدفع علاوة كسل للعمل، لأمر يمس ويجرح معتقداتي السياسية والدينية العميقة ،لكنني لست من يلقي اللوم على الأفراد، لأن ذلك كان نتيجة للتنظيم الاجتماعي.

بعض المضاربين الذين كانوا أكثرنفعنا من غيرهم، و الذين يرون أن الادعاءات العالية جدا تبعد العمال، لهم مشروع؛ عندما يتقدم هؤلاء، بإقامتهم في أراضيهم بشرط دفع بعض الرسوم السنوية. بالتأكيدهذاهوأقل ماما يمكن أن يطلبوه، وبينما نفكر جيدا ،فيما إذاكان هذاالنظام السائد،هو النظام الإقطاعي الذي نشأ في أفريقيا. ومن الجدير بالذكر،أن وجهةالنظرفي المجتمع الأوروبي ا لقديم تميل إلى ا لاستقرارفي الجزائرالعاصمة على أسس قواعد كسرتها بنفسها.

يمكننا القول تقريبا، بعد كل ما رأيناه، أن أكبر عقبة أمام الاستعمار موجود في المستوطنين أنفسهم، الذين اشتروا للمضاربة وليس لينتجوا شيئا. ولكن من العدل أن نقول من حيث المبدأ، لو أن الحكومة قد منحت لهم حماية أكثر فعالية،لطلبوا انتاج الفائدة. لا أرى أي علاج ممكن من العواقب القاتلة لمستقبل المستعمرة، والاستيلاء على الملكية، الا اجراءا تشريعيا (قانونيا) يرغم ان ملاك

الأراضي ابقوا على البيع بسعر البيع الأول للأسرالعاملة التي ريد البقاء في البلاد، الأراضي التي يحتاجون إليها، وحددت في نفس الوقت الحد الأقصى لما يمكن للجميع امتلاكه. من الواضح أن توفير هذه الفوائد والمزايا والضمانات للمتجين الا طريقة لجذبهم الى الجزائرالعاصمة، لأنهم لن يأتوا بالتأكيد ليكونوا الأيادي التي تخدم الأرض. قد يكون هذا قد جذب الأسر الزراعية الغامضة، والتي تحرث بشكل مؤقت، ولكن بالنسبة للمزارعين الحقيقيين فهم رجال نظام، وعمل ومثابرة، ولن تكسبهم الا بجعلهم أصحابها.

لا يجب على هذه الملاحظات أن تؤذي (تجرح) أحدا. بالتفكير جيدا نجد أن تجارالأراضي يعترفون شخصيا بالدقة. معظمها تنتمي إلى بعض الأسرالمتواضعة التي كانت في ثورة 89 لتحررها بالكامل، وفهموا كيف أنه من السخرية المطالبة بأن يصبحوا أسياد الأراضي، ويمارسوا الاستغلال البروليتاري (أفراد من طبقة العمال)، هو ما اعتبروه مطالبة بغيضة بالحد ذاتها. وعلاوة على ذلك، كانوا يرغبون في مصالحهم الخاصة، لأن التصرف بطريقة مغايرة سيحددون دمارهم ودمار المستعمرة في نفس الوقت [1].

وما نأمله خاصة هو أن محتكري الأرض لا ليشعروا بعيوب نظامهم، مما

(1) الكثيرمن الأوروبيين في الجزائرفهم المسألةكاملة،وأناأعلم ا نه على الرغم من ملكية مزارع عديدة،الا انهم ارادوا من الحكومةوضع الحراسةعلى كافة الممتلكات الأوروبي في السهل،لتوزع فيما بعد على شكل قطع مجزأة تقدم للذين يأتون بالوسائل والرغبة في زراعة.

قد لمحنا له في الأعلى، وأعطوا هذا من حيث المبدأ الاتجاه الكارثي لأعمالهم. الأصل هوشراؤها للاستخدام، وفي ربيع عام 1831 أصبحت بعض المزارع مهمة وغالية جدا.توجه الدكتور شوفرو الذي كان رجلا ممتازا، والذي لايزالب عيدا عن ترك ندم وأسف عميق فيا لجزائرالعاصمة، والاخوة فوجيرو والسيد روش وكولومب الى تجارب في الزراعة، ويبدو أن ذلك توج بالنجاح. كان لديهم نفس المجموعة من العمال الأوروبيين فيا لمزرعةالتي حصلوا عليها منهم في بني موسى، على بعد ميل ونصف من المزارع النموذجية. تم تقليد هذه الأمثلة بالقرب ا لجزائر العاصمة، ولكن عندما نعيش خارج خطوطنا في الحرب ومتحمس باستمرار بالسياسة الكاذبة والخاطئة لحكامنا، فهذا يأتي لتدمير ما نعمل على خلق، وبالداخل، كانت المنتجات كانت الزراعة في الكثير من الأحيان فريسة لأولئك الذين كانوا سيدافعون عنهم، وتواصل الاستغلال، وكنا نمضي الوقت في انتظار أوقات أفضل من خلال تخريب الأراضي وسرعان ماتبع هذا المثال القاتل حشد من الناس الذي جعلوا منها مهنة دون أن تكون لهم أي أدنى فكرة عن الزراعة.

كانت الحكومة السبب الرئيسي لهذا الانحراف للنشاط الاستعماري ولم تفعل أي شيء لوقف العواقب.وقد وضعت رسوما لتسجيل، وأشادت بزيادة الإيرادات ببضعة آلاف من الفرنكات. ومع ذلك، فإن المشتريات

الأوروبية، والتي لاتزال، لسياستنا مليئة بالعيوب أكثر من تلك التي ذكرتها حول الاستعمار.

العرب الذين باعوا لنا ممتلكات بعيدة[1] على أمل دائم من أننا لن نعود لنشغلها، ليستمروا بالاستمتاع بها. بحيث أن كل عملية شراء المباني التي قام بها الأوروبيون، على النقاط التي لم تحدد حتى الآن، ما خلق في مستقبل الاحتلال أسرا عدوة جدد. بالإضافة إلى ذلك، تم شراء المباني في البليدة، وإدارتها يجب أن نتوقع أنه إذا لم نشغل هذه المدينة في أي وقت مضى، فسوف تصطدم مع كل خطوة ضد مطالبات الأوروبيين المبالغ فيه أكثر من مطالبات السكان الأصليين. ومع ذلك،فإن احتلال البليدة ضروري إذاأردنا أن نفعل شيئا للبلاد،والآن ها هم الأوروبيون ا لذين يجعلون الاستقرارأكثر صعوبة بحضورهم، لأنه من المعروف أ ن الكثيرقد اشتريمع دافع خفي لطلب مبلغ كبير (فدية) من الإدارة لوكانت في حاجة إليمبانيهم للمرافق العامة. إلا أن لحكومة لم ترد أن ترى ذلك،على الرغم من أنها بلغت بهذه الحقيقة. كنا نرغب في حظر أي شراء للمباني من طرف الأوروبيين ماوراء النقاط (المناطق) التي تحتلها خطوطنا؛ لكن الحكومة، من خلال تبصرها كانت دائما تسرعل توسيع هذه الصعوبات الخاصة. أثرت أخطاء الإدارة والأفراد على بعضها البعض، وقد وضعنا ذلك في موقف ان اي تقدم سيكون من المستحيل إذا كان هناك نظام.

(1) اشترينا في بني جيد،وفي بني خليمة وفي بني مناد،وحتى في بني مناصر التي توجد على بعد 52 ميلامن الجزائر العاصمة.

إذا كان إدارة الجنرال بارتزان مدركة قليلا لما يحدث، ومع ذلك فإنها كانت مليئة بالرداءة كثيرا، حيث قام السيدب ارتزان بتوقيع 115 مرسوما (أمرا)، منها 45 لتشكيل التشريع، و 50 على أشياء انتقالية، و 20 تعيينا للوظائف. في هذا العدد كانت الأحكام الجبائية الواردة تلعب الدور الرئيسي. في يوم 20 مارس، وضع الحق في المنح، للأشياء الاستهلاكية التي جلبت من الداخل والذي أنشأ:التسعيرة المعدلة في هذا الوقت تم تغييرها بأمر المرسوم الصادر في 30جويلية.

وفي 21 مارس صدر حق 80 بوجو في الشهر (148 فرنك. و 80 سنتيم) على جزاراليهود، لعقده قانون البراءات.

في 11 جويلية، وكم ارأينا أعلاه، كانت عقود التملك أو الحيازة، تتطلب ان دفع رسوما لتسجيل. في اليوم نفسه أعلنت تجارة الملح كتجارة حرة، ولكن ادخالها عن طريق البر والبحر، كانت تخضع لحق 3 فرنك. لكل كيلوغرام للأملاح الفرنسية، و 4 فرنك للأملاح. لم لا تقبل الأملاح في المستودع مثلما يمنح هذا الحق لغيرها من السلع بأمر 31 ديسمبر 1830 .ولكن متلقي الجمارك يسمح بالحصول على السداد تحت مسؤوليتها لشخصية وبناء على الفواتير، وإيداع إلى 3 أشهر من موعد بالنسبة الى النصف، و 6 أشهر بالنسبة للنصف الآخر من الحقوق المتحصل عليها من الخزينة. لايمكن أ ن يعاد الحق بغض النظر عن وجهة الأملاح اللاحقة التي دعمت.

في يوم 28 جويلية، تم تعديل بعض أحكام مرسوم التعريفة الجمركية.تم تحديدها ب10 فرنك للرأس الواحد فيما يخص رسوم تصدير الثيران والأبقار، و 12 فرنك للقنطارمتري (الكيلوغرام)، حق تصدير الشمع تحت أعلام أجنبية و 8 فرنك بالنسبة الى تصديره تحت العلم لفرنسي.

هناك بعض الأحكام المالية الأخرى لادارة السيد بارتزان، ولكنه اذات فوائد الثانوية.

بشأن ممتلكات الدولة، قدم الجنرال بارتزان في هذه الإدارة مبدأ تدل فيه التجربة عليا لفرصة: وهذا ما يعني فصل المجال العسكري عن القطاع المدني. وبمرسوم 26 نوفمبر 1831، تم توجيه جميع المباني التابعة للدولة إليثكنات القوات وإسكان الضباط، أوجعلها مخزن المدفعية الهندسة، وتلك الخاصة بالإدارة العسكرية، والتي تم منحها العبقرية العسكرية بعد أن كانت مسؤولة عن الإصلاح والصيانة. هذا الإجراء منع التدمير الكامل للمباني التي يحتلها الجنود الذين كانوا يقفون عندها عندماتم اتخاذها. فمن الصعب الحصول على فكرة عن الاضطراب الموجود في السابق والذي كان ضمن الاحتلال العسكري.في الخارج، كانت القوات تقيم في المنازل الريفية الملائمة لهم، دون دفع شيء و دون تحديد حالة المكان. كان وجوب الحفاظ عليها بكلمة واحدة دون الشكليات.داخل المدينة، وعندما أردنا انشاء قوات الضباط، توجهنا إلى المفوض الملك بالقرب من بلدة، والتي، وبدون النظر في الأماكن،أعطى أحد وكلائه مهمة تقديم المنازل الشاغرة. كان هذا لشخص يمرعل المدينة، ليطرق

باب أول منزل يجده أمامه، و إذا لم يجب أحد، لأنه تم التخلي عن المنزل، أوبسبب الهجرة أو بسبب غياب مؤقت للمالك، كان عليه كسر الباب، وتسليم المنزل للفرق العسكرية، دون أي إجراء شكلي. فمن المتصور أن هذا النهج يؤدي حتما الى فقدان كافة المباني المخصصة للثكنات، بما أن لا أحد كان مسؤولا عن الضرر، وبذلك ليسوا مسؤولين عن الاصلاح. وضع مرسوم 26 نوفمبر حدا لهذه الانتهاكات.

وكان الجنرال بارتزان قد خفض بالفعل جزءا من مساوئ الاحتلال العسكري،ببناء ثكنات مصطفى باشا،التي تقع خارج المدينة، وراء ضاحية باب عزون. هذا البناء، الذي صمم مخططه تحت أوامر المارشال كلوزيل كان عبارة عن تكتل من المباني المبنية بطابق واحد، وشرفة، ورتب كمعسكرللثكنات. يمكن أن يحوي 2000 رجل. بدأ العمل في شهر مارس وتم الانتهاء منها في اكتوبر. بغض النظرعن هذا المبنى الرائع، ولكن المفيد للغاية، كان مشرفا لإدارة الجنرال بارتزان.

تم تنفيذ أشغال أخرى أقل أهمية في ذلك الوقت. كان رصيف الصخور البحرية الذي يشكل ميناء الجزائر لقد ألحق به الكثير من الضرر وبالتالي كان وجود المخازن الواسعة التي تقع هناك مهددا أيضا. تم إصلاح ذلك بمهارة كبيرة وسرعة، من طرف السيد نويل، مهندس هيدروليكي (مهندس في علم السوائل المتحركة)، المسؤولة عن هذه المهمة تحديدا. تم بناء مسلخ (مذبح) خارج بوابة باب عزون،

وتحت إشراف البلدية، السيد ملكيور، المسؤول عن البناء، الذي كان في الوقت نفسه المقاول والمهندس المعماري، وقد عرضه مواهبه، خصوصا الصدق والثناء، اللذان جعلاه محل ثقة الجميع، وحصل في وقت لاحق على الفوائد الحقيقية المكتسبة بشرف.

تم انشاء ستة طواحين الهواء أيضا خارج باب الواد. وضعت الأجهزة في فرنسا، تحت إشراف ادارة ضباط الهندسة؛ ولكن تم بناء البرجين من قبل الشركة، في إطار اعتماد البلدية، و ارسلت بعد ذلك الى الميدان العسكري. هذه المطاحن تقع في المكان الذي توجد فيه الرياح والتي تتغير بارتداد الهواء، والتي تدور في أخدود واسع في بوزريعة، وهي لا تعمل أبدا تقريبا، واعتبر هذا البناء أول مثال على انتهاك حرمة المقابر التي جعلناها لعبة في ذلك الحين. على الرغم من الاستياء الشديد الذي تولد لدى المسلمين، الا أن البرجين تم رفعهما الى حدود المقبرة، وجد السيد المقاول "زدا" الفرصة مربحة للغاية لتوظيف الحجارة القبرية الموجودة بين يديه. هذا الأسلوب الاقتصادي لشراء المواد، وزيادة الفوائد. ولكن لن نضمن، أن ذنب التدني سيغفر لنا، كنا ملزمين بأن نتقاسم ذلك مع رئيس البلدية.

قبل وصولنا إلى الجزائر، لم يكن هناك منتدى في هذه المدينة. حيث تقف الأسواق تحت الأروقة، والتي بالتأكيد كانت أكثر ملاءمة، نظرا لحرارة المناخ. لكن، بما أن عاداتنا تتطلب مكانا، ثم أردنا أن يكون ملتقى

لنا حامية، وبدأنا ذلك تحت إدارة السيد بورمونت، للتوسيع عن طريق هدم المنازل المجاورة، حيث توجد مساحة صغيرة مربعة الزوايا والتي كانت في وسط المدينة، قبالة المدخل الرئيسي للقصر القديم "جنينة". كان هذا هو أصل مكان الحكومة الذي كان منذ وقت طويل مشروع الاحاطة بالمباني الجميلة. خصص السيد الجنرال بارتزان للهندسة العسكرية (لم تكن في هذا الوقت مسألة الطرق والجسور) مبلغا قدره 20 ألف فرنك للأعمال الأولى في هذا المكان، و وظف لتوحيد وإصلاح المخازن الجميلة القبية (المحدبة) الموجودة في الأسفل.

في ذلك الوقت، كان بامكان القادة العامين امتلاك المزيد من الأموال أكثر مما هو عليه الآن، لأن أنفسهم استقرت، كما هو الحال بالنسبة الى ميزانية الإنفاق على المدنيين، وحتى طريقة المحاسبة. لا يزال لدينا ما نقوله لإنهاء ما كان علينا قوله حول الإدارة المدنية للسيد بارتزان، بالحديث عن بأعماله المتعلقة بالبلدية والزراعة، والتجارة، والشرطة.

و كان السيد كاديت دوفوكان قد أدخل في توقعاته الحاجة لحجز الحبوب الكبيرة. اشترى 10000 كيلا، والتي تركها لعدم وجود الرعاية، الى أنهم ضطروا إلى رميها بعيدا أو بيعها بثمن بخس. حدد الاحتياطي الى 4000 كيلا، وكان على فلاح (مزارع) "راشيا"[1] تقديمها، لكن لم يفعلوا ذلك أبدا.

(1) هو مزارع من سوق الحبوب: كانت ميزة حظر بيع الحبوب خارج السوق، ويتحصل على حق (رسم أو مبلغ اضافي). لكل كيل يتم بيعه يدفع إلى الحكومة رسما يقترب 25،000 فرنك مقابل هذا الامتياز.

في 21 حدد أمر مدة سنة واحدة لمهام رئيس الأمة اليهودية،وسيتم تعيينه بواسطة القائد العام، على قائمة من ثلاثة مرشحين مقدمة من لملاحظين العبرانيين. كما وضع هذا المرسوم الى جانب رئيس الملة اليهودية، مجلسا مكونا من ثلاثة أعضاء يعينهم القائد العام من قائمة من ثلاثة مرشحين.

في 4 سبتمبر، أخذ مرسوم آخر بعين الاعتبار الدمار الذي لحق بالجزائر، والذي شمل تدمير كل النباتات، لمنع قطع الأشجار، ووضع الأحكام السارية للغابة من القوانين الفرنسية.

في يوم 15 جويلية، تحصل إدخال الحبوب على كل الحقوق. عندما صدرهذا القرار،كنا عالقين في خطوطنا بسبب العرب. كان بعد تراجع كارثي في المدية، والذي سنناقشه في الكتاب اللاحق، ولم نتلق أي شيء من الداخل.

يوم 24 مارس، كان ممنوعا حمل السلاح لجميع العرب في الجزائرالعاصمة،تحت طائلة الموت، إلا أولئك الذين لديهم ترخيص أو"القادة" أو المشايخ. كان الجناة يمثلون أمام سلطة رئيس المجلس. هذا النظام هو وسيلة غير مستمرة؛ لأن السيد بارتزان الذي لم يشغل الا عددا قليلامن المناطق خارج الجزائرالعاصمة، والذي لم يقم بأي إجراء ليؤكد سلطته على العرب، لم يتخذ تلك السلطة أكثر من منطقة الجزائرالعاصمة وتلك الخاصة ب"اليمن". وبعد ذلك، ماهي سلطة رئيس المجلس بالنسبة الى ادارة العدل، بعد الأمر التأسيسي في 22 أكتوبر الذي لم نتحدث عنه.

الكتاب 7

ظهر في 9 جوان، قرار يخضع لشكليات مزعجة لغاية لتجارة المعادن وغيرها من المواد الموجهة لصنع الأسلحة، وأمر بترتيبات جديدة خاصة بمسحوق البارود، والتي كما نعلم أن لاوجودها.

في 1 أوت، صدر أمر قضائي في المدية لتعلن عن عقوبة الإعدام ضد أي شخص من الأهالي ممن لا يعلنون عن حيازتهم للأسلحة والذخيرة. تم استعادة حرية تجارة الحديد والصلب في 7 سبتمبر.

كما أصدر السيد الجنرال بارتزان على الإدارة بعض أحكام القانون، والتي سنتحدث عنها لاحقا.

لم يقل مرسوم 22 أكتوبر 1830 من سيقدمون أحكام الاستئناف في المحاكمات الجنائية.كان من الواضح أنه في ذهن المشرع، يجب أن يكون أمام المحكمة، ولكن في الأخير كان من الواجب التعبيرعما جاء به أمر 9 جوان.

في يوم 20 جوان، تم إنشاء لجنة لمراجعة الأوامر المعادة على العدالة، ولكن هذا الاجراء لم يحمل أي نتيجة.

أحرز السيد الجنرال بارتزان في سياق إدارته، بعض الأوامر مثبتة أو معلنة للأحكام التي أدلى بها القاضي، وهو ما يثبت أنه أصبح مطبقا بينها تلقى القائد العام دعوات للمراجعة. وأذكر هذه الحقيقة، لأن في وقت لاحق جلب سؤال من هذا النوع نوعا من الاضطراب المؤسف بين السلطتين الأوليين من مجلس الوصاية.

الكتاب 8

العلاقات مع العرب. – اغتيال "قايد" كرانشة. – رحلة إلياالسهل. – الاعتراف من القليعة. – الأعمال التضاريسية. –حملة بني صالح. – حملة المدية. –اضطرابات الانسحاب. – القتال حول المزرعة النموذجية. – تعيين الحاج محي الدين الصقر سيدي بن علي آغا العرب. –الحملة المؤسفة في عنابة. – وفاة القائد هوندر. –الجنرال بوير في وهران. – منظمة الخدمات العامة بوهران. –وصف محافظة. –تذكير الجنرال بارتزان.

لم تضمن سياسة الجنرال بارتزان تجاه العرب أي خطوة الى الأمام وأكثر تبعا للإدارة المدنية. لاهو ولا أي شخص من المحيطين به قد انشغل بالمواصلة والاهتمام المناسبين. يبدو أن العرب كانوا مجرد مادة خاملة، وإحراج مادية، ووسائل مادية يجب أن تحيد فقط. حتى أننا لم نقلق حول ماكان يحدث لديهم (في عقر دارهم)، لأننا لا نعتقد بأنهم يفكرون في مهاجمتنا، وتخلينا بطواعية الاهتمام بحكمهم. فقط عندما يأتي البعض منهم، ممن تعب من الفوضى التي التهمتهم أو مدفوعا بواسطة روح التآمر، للمطالبة بزعيم فنضع على رأسهم الشيخ أو القايد دون أن نعرف ما كان ذلك مناسبا أو لا. تفاصيل العمل تترك للمترجمين، وهم فئة من الرجال الذي لا يمكن التخلي عنهم في هذا البلد، ولكن ينبغي

للمرء استخدامهم بحذر شديد؛ لأن عدد الذين كانوا على استعداد لكسب المال من كل شيء كان كبيرا. عندما نأمر هؤلاء للحصول على مسار الجرائم الصغيرة التي ترتكب بين العرب، توقفوا عن أولئك الذين يمكن أن يضعوا أيديهم عليهم، وبعد الحصول على فدية لصالحهم، يتخلون عن ذلك بالقول أنهم لم يتوصلوا لاكتشاف أي شيء. هذه الانتهاكات أبعدت العرب عن الجزائر العاصمة.في كثيرمن الأحيان كانت صفقاتنا عارية، وكراهية العرق بعيدة من أن تكون ضعيفة، لتكتسب مع كل يوم قوات جديدة.

أخطر قايد الذي تم تعيينه في كرانشة، محمد بن العمري، في يوم من الأيام ليأتي لزيارة الأغا مونديري، وتقديم بعض الهدايا له، قتل بعدعودته، كخائن لبلده. لم نكن قلقين كثيرا.

بعد أيام قليلة من وصوله، وهذا يعني في بداية شهر مارس، قام الجنرال بارتزان بجولات خلال بضعة أيام في متيجة مع 4 كتائب و 150 حصانا. لم يواجه أي أعداء في أي مكان، وقتل جندي واحد فقط في الجهة الخلفية للوفد العسكري حول البليدة. استجابة لطلب سكان هذه المدينة، امتنع الجنرال عن التوغل.كان الشيءنفسه بالنسبة الى القليعة، التي تقدم اليها أيضا. كان شيئا حزينا جدا ولايمكن تفسيره من خلال رؤية حاكم مقاطعة محتلة وقد تم ابعاده عنا لمدينتين اللتين نوى زيارتهما وقد كان من واجبه بسط أو فرض سلطته. من الصعب الآن القول ما الذي ذهب الجنرال بارتزان ليفعله في السهل.

استغل ضباط مكتب الطبوغرافية هذه الفرصة للتعرف على مسار شقة ومازافران. ذهبوا حتى القليعة تحت حماية مرابطيي أسرة مبارك ، وسطروا المخطط.

قام مكتب الطبوغرافية في سياق 1831 بعمل كبير جدا. ندين لهم بخريطة ضواحي الجزائر العاصمة، والتي كانت دقيقة التنفيذ وجميلة للغاية، مخطط الجزائر، وطرق أخرى عديدة. كان المكتب يتألف من عدة ضباط مهرة ومتحمسين؛ ولكن تخفيض عددهم إلى نقيب واحد، ولذلك لم يعد يمارس نفس النشاط.

في شهر أفريل كانت هناك جرائم قتل قليلة أو محاولة قتل وقعت في المناطق الداخلية التي تتواجد فيه خطوطنا (قواتنا). هوجم فرقة الفرسان التي أرسلها الآغا إلى بني موسى ، وأنا لا أعرف ما عملها هناك، من طرف سكان بني ميزرة وبني صالح [1] الذي قتل شخصا واحدا. وأخيرا، في هذه الفترة تم قتل قايد من كرانشة، بن العامري. ولذلك أراد الجنرال الذهاب لمعاقبة القبائل المذنبة: غادر الجزائرفي 7 ماي مع 4000 رجل وبعض من قوات المدفعية، و مشى على أوتان أو منطقة كرانشة. هناك أ وقف بعض الأفراد الذين كان يعتقد بأنهم من مرتكبي جريمة بني العامري، إلا أنه لم يستطع أن يثبت إدانتهم، و سرعان ما أطلق سراحهم ، ولم تعد هناك مسألة هذه القضية. توجه الجنرال من الكرانشة الى بني ميزرة، وهي قبيلة صغيرة ل"قبايل" منطقة أو أوتان بني خليل، والتي ساهمت بستة الثيران، لم تسلم منها

(1) قبائل "القبائل" في أوتان (منطقة) بني خليل على الجانب الشمالي للأطلس.

الاثلاثة فقط. من هناك، ذهب إلى بني صالح مرورا بين جبال البليدة، التي تركها على يمينه. دعى سكان بني صالح لتسليم الرجال الذين قتلوا فارس الأغا، والذين قيل أنهم ينتمون الى هذه القبيلة. طلبوا وقتا للعثور عليهم واستغلوا فترة الراحة التي أعطيت لهم للانسحاب من الجانب الآخر من الجبل، مع جميع من يستطيعون التحمل. بعد ليلة من الانتظار، رأى الجنرال بأنهم يلعبون به، فبدأ بالهيجان على القبيلة. تغلغل حتى منطقة ثيزة، التي تعد واحدة من قمم الأطلس، دون أن يجد أي مقاومة، ولكن بالوصول الى هذه النقطة، تلقى بعض الطلقات النارية من "القبايل" الفارين (الهاربين)، وقتلوا رجلا. نزل من الجبل مجددا دون أن تتم ملاحقته، وجاء للتخييم (اقامة مخيم أو معسكر) حول البليدة. أرسل سكان هذه المدينة، التي لم تدخلها، الغذاء للجيش. عادت الفرق العسكرية إلى الجزائر في 13 ماي.

هذه الحملة قصيرة، التي كانت دون نتيجة على الاطلاق، لأننا لم نلق القبض على مختلف الذين أردنا معاقبهم على جرائمهم، ومع ذلك، كان الجنرال بارتزان راض جدا عن نفسه. وقدم جدول أعمال حافل، بالرغم من كونه ثيزة قال: "نحن وصلنا الى الأطلس عبر مسار أكثر صعوبة من الثنية، وبالرغم من ذلك لا نشير الى ذلك في المذكرة مثل الجنرال كلوزيل".

طوال هذا السباق، لم يفكر القائد العام بطريقة ليفرض السلطة الموكلة اليه في القبائل التي يمكن أن يتفاهم معها. لم يقم حتى باستبدال التعيس أو المسكين بن العامري، الذي لم يتظلم لموته، ومع ذلك، قال انه أظهر مشاعر

الإنسانية وكان على الرغم من نفسه، ولمع بدأ اللوم على ضعفه، بدأ التحضير للحروب مع العرب وأكوانح بني صالح، لأنه غير قادر على العثور على أعداء آخرين.

لكن موقف بن عمر، باي التيطري الذي بقي بالمدية بعد أن أخلت القوات الفرنسية هذه المدينة، كان أكثر أهمية من أي وقت مضى. لم يكن هذا المور بمستوى الوظيفة التي دعي لأدائها، في ظروف تتطلب البراعة والدراية، ولكن على الرغم من ذلك قدمت له العديد من فرص النجاح. ترك له الجنرال دانليون، لدى مغادرته المدية امدادات جيدة من ذخيرة الحروب، وأرسل له الجنرال كلوزيل، بعد مرور بعض الوقت، مرتين للمدفع ضمن عتاد الحملة والتي يمكن أن تكون عونا كبيرا له. ثم توجيه هذه القطع الى المدية من قبل عرب بن عمر، ولا أحد فكر في أخلها في الطريق. كان المكان في حالة جيدة أيضا، ومسلحة بأسلحة المنطقة (الموقف). ولكن اركبنا خطأ الباي دون أي مال. ومع ذلك، فمن الواضح أنه كان بحاجة إلى مبلغ مقدم للاستقرار في البلاد، والسلطة بعد ذلك تخلق الموارد. للحصول عليه، استعمل وسائل جعلته يتهم بالابتزاز، وخصص الحبوب وغيرها من السلع التي جمعها للاهتمام باحتياجات الإدارة الفرنسية. أجري تحقيق حول هذا الموضوع، ولكن إعلان ممون أو أمين المخازن العسكري الفرعي، كان مع الشرطة الإدارية للحامية في المدية، والتي كانت موالية للباي، ولم تتبع هذه القضية.

إذا كان بن عمر قد استخدم لتعزيز التيطري بألف فرنك القليلة التي تمكنت من الحصول عليها بوضعها في رصيده (خزينته)، على الرغم من عدم انتظام وسائل، كانت هناك بعض الأشياء التي قيلت له: لأنه في الأخير لا يستطيع البقاء دون المال، ولكن يبدو أن اليأس الذي انتابه حول تثبيت نفسه بقوة في المحافظة، لم يجعله يفكر الا في زيادة ثروته الخاصة، أو بالأحرى لتغطية نفقاته الشخصية، لأننا لم يحدث منذ إدارته قصيرة، أن ازدادت ثروته. رجل أصغر سنا وأكثر مهارة من بن عمر، لكان قد استخدم المال المتحصل عليه، بأية طريقة لتصفية (حل) هيئة صغيرة من الفرسان التي سيتقدم معها الى القبائل المجاورة الأقرب الى المدية، وهو ما قد يزيد موارده المالية زيادة هذه الموارد هو زيادة في قواته لتلقي عروض أخرى بدوره كانت سيؤدي إلى أخرى، وهكذا دواليك، بزيادة قواته بموارده المالية، وموارده بقواته، ولكن كان لديه رأس غير رأسنا (لا يفكر مثلنا).

هذا الباي المسكين، وبعد وقت قصير من مغادرته الفرنسيين، لم يعد قادرا على مغادرة المدية. و سرعان ما بدأت المخاوف تنتابه حول سلامته (أمنه) في المدينة. غالبية السكان الذين كانوا كثيرين جدا، لأنها كانت توحد الشجاعة بحب النظام، كانوا على اتفاق معه، ولكن وكانت عائلة الباي السابق التي لا تزال في المدية مع العديد من الأنصار، والتي يمكن أن تقع من لحظة الى أخرى تحت ضرباتهم. الجنرال كلوزيل الذي أساء فهم

لم يقم بترحيل وليد -بو مزراق، ابن الباي مصطفى. هذا الشاب، الكريم، الذي كان شجاعا وحاسما، وقد أقام في الفترة الأولى في البليدة، حيث سعى إلى لفت الانتباه، بالتأثير على عادات مهمة. نجح بشكل جيد بحيث أصبح يبدو وكأنه شخصية غير مهمة ولا خطرة، وسمح له بالعودة إلى المدية. واستغل هذا التعالي ، عندما لاحظ أن الباي هيأ هذه المؤامرات له،كان هو قويا بالفعل بما يكفي لتحدي سلطته. غادر المدينة دون أن يجرأ ابن عمر على إيقافه، وذهب ليترأس القبائل الساخطة، وسرعان ما انظم الى بعض قوات الباي في منزل الباي في الريف، حيث حاصر المدية ، تحرك مناصروه (مساندوه) داخل ولم يعد الباي يجرؤ على ترك منزله بسبب الخوف وضيق النفس. كتب للجنرال بارتزان في جوان 1831، بأن موقفه لم يعد يمكنه من الدفاع عنه، وأنه إذا لم يتلق المساعدة الفورية، فيقضي عليه.

قرر الجنرال بارتزان عدم التخلي عنه، وانطلق من الجزائر يوم 25 جوان مع فرقتين بقيادة الجنرال بوشي والجنرال فوشار. لم تتم الفرق العسكرية ذلك اليوم، وكانوا أمام الواد كرمة، وفي 26 كانوا أمام بوفاريك ، وفي 27، في مزرعة موزاية، حيث تركوا كتيبة من الخط 30. في يوم 28، عبرنا ممر الثنية، حيث استقرت كتيبة من الخط 20، و ذهبنا إلى النوم في زيبوج الزرهة (الزرحة)، وهي بساتين الزيتون التي ذكرنا سابقا، والتي تقع في السفح الجنوبي من الأطلس. حتى الآن، لم نلتق بأي أعداء، ولكن في هذه المكان تم اطلاق بضع العيارات النارية على قواتنا.

وصل الجنرال بارتزان في يوم 29 الى المدينة. وهناك عدد قليل العرب الذين تظاهروا وهم يريدون مهاجمة صفوفنا عندما تقدمت بالقرب من هذه المدينة، من قبل أسراب مقاتلة من الخط 12. ابتعد هذا السرب (الفرقة العسكرية) من العدو، ولكن من خلال حركتهم للالتحاق بالجيش، هوجموا بدورهم، وكان بعض الخسائر. مع اقتراب القوات الفرنسية من غادر بو مزراق تخلت عن منزل الباي، الذي كانت احتله كتيبة من الخط 30 وبفرقة الفرسان. فيما استقرت بقية الفرق في شمال المدينة حيث دخلت كتيبة واحدة.

لم تتخذ أي حركة في 30 جوان، ويبدو أن الجنرال لم يكن يعرف بالضبط ما أراد فعله، وكان الغرض من زيارته انقاذ باي التيطري، ولكن على الرغم من أن وجوده أبعد الخطر للحظة، لكن من الواضح أن العودة الوشيكة ستكون رهيبة أكثر من ذلك. في هذه الحالة، ما كان على القائد العام الا أخذ ثلاثة خيارات (طرق) فقط، اما ترك الحامية الفرنسية المدية لدعم بن عمر نفسه أو البقاء شخصيا في المحافظة لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، للتقدم في هذه المنطقة (أوتان) الوقت التي تؤثر على المدية بانشاء قوات من الأهالي لبن عمر بن، أو في الأخير محاولة أن يكون محظوظا بما فيه الكفاية للوصول إلى وليد- بو مزراق، وجعله يشعر يحصل على ما فيه الكفاية من الخسائر ويسلبه القدرة على حمل السلاح.

وكان الاختيار الأول كان مخالفا لتعليمات الجنرال بارتزان، الذي كان في مهمة تعزيز بدلا من التوسع في البلاد. الثاني، الذي كان ذات ميزة،

وحكمة، وكان يحمل صعوبات كبيرة لرجل لم يستطع التغلب عليها. وكان الثالث يحمل فرصا قليلة للنجاح، لكنه لا يتطلب جهودا كبيرة، وهو الذي توقف عنده الجنرال بارتزان. ونتيجة لذلك، غادر المدية في 1 جوان متجها الى جبل أوارة من المنطقة التي تحمل هذا الاسم، وكما توقعنا تماما، لم تنتظرنا الأطراف المعادية وغادرت طريقنا. بدأنا بعد ذلك إلى بحرق القمح وقطع الأشجار. هذا الدمار هيج المزيد من السكان الذين كانوا يعانون كثيرا. كانوا تحت توجيه الآغا موندري، الذي وجدهم مناسبين تماما في هذا.

ومع ذلك، كانت للقبائل الفارة (الهاربة) نية واضحة في الانتقام، فبعد السير لفترة طويلة ، كان علينا تقفي أثر خطواتنا للعودة. ظلت هذه القبائل متحدة وباقتراب فرقنا، بدأ اطلاق النار مع الطليعة. فتبعنا حتى هضبة أوراق، حيث أمر الجنرال بارتزان بالانسحاب الى المدية، ثم استأنف العدو هجومه واستمر في ملاحقة صفوفنا حتى المدية، حيث وصلت في المساء.

في هذا اليوم، الذي كان فيه الغضب العاجز للجنرال العام قد تحول الى ممارسته على الأشجار وحقول القمح، والذي كان لصالح العرب، الذين لديهم كل الارتياح لرؤية الفرنسيين يتراجعون أمامهم. جاءوا ووقفوا بالقرب من المدية وانتظروا ما ما سيقوم به الجنرال بارتزان،

كان هذا الأخير محرجا من موقفه. ساد الذعر في المدينة بين أنصار بن عمر، وكل شيء كان يشير في الخارج الى وجود تمرد عام. لم تكن ظروف العيش والتغذية مهيئة بشكل جيد في المدينة، وكانت تلك التي جلبها الجيش تكاد تنفذ منهم. أقنع هذا الظرف الجنرال الفرنسي من أنه لن يتمكن من البقاء لفترة أطول في البلاد. يبدو كما لو أنه لم يدخل عقله (لم يستوعب)، انه قد وجدت قمح يمكن حرقه وكان بالامكان أن يجده من أجل الحصاد، وأن هناك في المدية بعض المصانع لتحويله إلى دقيق ،عند الحاجة، يمكن أن العيش بأكل عصيدة دقيق الشوفان، في انتظار الموارد الأخرى المقدمة. كان على بعد أميال قليلة من البليدة، التي ولقد قد أرسلت له اللحم، إذا لم يتمكن من العثور على ما يكفي في البلد، لأننا كنا نتحصل على كل ما تريد من شعب محتل، لذلك بالهجوم، وبمجرد أقل من حركة إلى الوراء، يصبح جميع السكان بين أيدينا.

لو فكر السيد بارتزان بهذه الطريقة، لما وصل الى حد التخلي عن محافظة التيطري ، دون أن يعرف تنفيذ شيء أراد القيام به، لأنني لا أعتقد انه لم يكن لديه غرض آخر من مغادرته الجزائر العاصمة، غير أخذ بن عمر من المدية. ومع ذلك، أعلن في 2 جويلية للسكان الشجعان في هذه المدينة، أن فرنسا في ضرورة ماسة للتخلي عنهم مرة ثانية لأنفسهم. وحثهم على الدفاع عن أنفسهم قدر استطاعتهم، و أعطى لهم لهذا الغرض البنادق والذخيرة

التي أرسلها الجنرال كلوزيل. في هذا الخطاب، أمن باي التيطري وبعض الأشخاص الذين كانوا برفقته خاصة، أنهم يمكنهم البقاء في المدية في ظل الظروف الراهنة، وقرر القائد العام نقلهم الى الجزائر العاصمة.

في اليوم نفسه، في الساعة الرابعة مساءا، بدأ الجيش الانسحاب الى الجزائر العاصمة وعلى الفور انتقل العدو، الذي كان لا يزال في وضع يسمح له بالبقاء في المدية، خلف الجيش لمتابعة المناوشات كالمعتاد. والبوصول الى زبوج الزواح، أين كان علينا قضاء الليلة هناك، ولكن بعد ساعات قليلة أراد الجنرال بارتزان استغلال الظلام من أجل عبور الممر ولذلك استأنفنا المشي وصلنا الى الثنية في الفجر برفقة العدو، الذي ظهر من مكانه. بعد توقف دام بضع لحظات، بدأ الجيش ينزل على المنحدر الشمالي للأطلس. بقيت الكتيبة 20، في الممر، وشكلت ساقة.

وكان عدد من الأعداء في زيادة طفيفة، ولكن لم يزيدوا عن 1200 أو 1500 رجل عندما ترك الفرنسيون الممر. اضطرنا للانسحاب عبر المسار الصعب، ولتجنب الفوضى كان علينا عدم إهمال أي من هذه الاحتياطات المبتذلة في دراسة الأنظمة العسكرية والتي تعتبر الوحيدة الكافية لتعليم حتى أولئك الذين لم يتمكنوا من الحصول على الدروس عبر الخبرة. ولكن هذا هو ما لم نفكر فيه ، تم إرسال القوات على قمم التلال التي تهيمن على الطرق،

بحيث حجز العدو وبدأت بمتابعة هذا الاتجاه للجناح الأيمن لفرقنا، والذي هاجم بنيران عمودية قاتلة.

قريبا ما بدأت كتيبة من الخط 20، التي كانت في الخلفية بالتراخي بعدما هوجمت من قبل "القبائل". في تلك اللحظة، صادف سوء الحظ أن أسفر ذلك عن إصابة القائد. انسحب هذا الضابط من ساحة المعركة، دون أن يأمر بوضع من يخلفه. لأن معظم أفراد الفرق لم يلحظوا ذلك وتفرقوا فرقة لعدم وجود قائد، بالتالي كانت النتيجة عدم استبداله، وبكثرة عدد المفقودين في هذه الكتيبة، بدأت الفوضى في صفوفه، و انسحب على عجل الجزء الأكبر من الجنود بعد الهجوم الذي وقع عليها من طرف "القبائل".

لذلك عمت حالة من الذعر في الجيش كله؛ فاختلطت الرتب والأفواج والكتائب ، ولم يكن تفكير الجميع الا بالخلاص. بدأت أفراد الجيش بالفرار إلى المزرعة موزاية. تم التخلي عن الجرحى لغضب الأعداء. هاجم بعض "القبائل" جنودنا وجها لوجه وهرع العديد منا الى الوديان التي تحد الطريق.

في هذه اللحظة الحرجة، التي ربما سيمحى فيها وجود 4000 فرنسي من قبل حفنة من الأفارقة، أمر قائد الكتيبة دوفيفيير، قائد كتيبة 2 من "الزواوة" وبعض الباريسيين، بالخروج من الجناح الأيمن من صفوفنا، لمواجهة العدو. وقف بشكل عمودي على الطريق، بحيث كان يساره يضغط على المرتفعات، جناحه الأيمن على الطريق نفسه. هذه الحركة الماهرة والجريئة، التي أصلحت

جزئيا خطأ ارتكب من البداية، أنقذت الجيش. الباريسيون و"الزواوة"، حاربوا مع بعضهم البعض، لايقاف العدو، في حين أن بقية قواتنا واصلت الفرار. ولكن عندما كان عليهم التفكير في الانسحاب كانت صفوفنا العسكرية بعيدة كثيرا، ولم يجدوا أحدا لدعمهم. القائد دوفيفيير، الذي كان يعتقد أنه يعرف أن جنرالاتنا كانت تعرف معنى الانسحاب بالمستويات، تصور أنه يمكن ترتيب كتيبة بحيث يمكن لفرقنا أن تأتي للاحتشاد في وراء، ولكن لم يكن ذلك ممكنا. وهكذا تم التخلي بعض الشيء عن هذا القائد الشجاع. تم تفريق الكتيبة على مساحة واسعة جدا ومتفاوتة ولم تستطع اعادة تشكيل الفرق، ولكن انسحبت في مجموعات، وهي مازالت تقاتل العدو، عندما تم دفع العدو بشكل قريب جدا. وجدت على الطريق قطعة جبلية مقلوبة، ومع مدفعية القائد كامان، الذي لم يشأ التخلي عنها، فواصل تراجعه، ونجح بالوصول الى مزرعة موزاية أين كان الجيش محتشدا.

توقف "القبايل" والعرب عند سفح الجبل أمام القوات الفرنسية، التي أعادت تشكيل نفسها في صمت، في لحظة ضعف مخجل عاشتها. بدا الجنرال بارتزان مترددا حول القرار (الاختيار) الذي ينبغي اتخاذه. بعد ساعات قليلة من الراحة والتردد من كلا الجانبين، انتقل العدو، الذي أتى فرسان الحجوط ومتيجة للانظمام الى اليمين للاستيلاء على جسر شفة، ، الذي مر عبره الجيش عند قدومه. الجنرال الفرنسي الذي تفطن لنيته، قدم له الوقت الكافي لتحركه،

وسار في المساء لعبور النهر على بعد ميلين من فوق اتجاه حوش الحاج. لم يعد العدو موجودا في هذه المرحلة، وقد عاد أدراجه، ومع ذلك، ويمكن للأفضل الفرسان شن مناوشة في جهتنا الخلفية. لم يصل الفرنسيون الى شفة قبل العاشرة مساء، وبما أنهم كانوا يعانون من العطش منذ الصباح، فقد هرعوا الى الماء أين انتشروا وتفرقوا، واختلطت عليهم الأمور ولو هاجم العرب بشدة في الوقت الحالي، لتجددت أحداث الصباح. تم استعادة النظام في الأخير، وفي 4 جويلية، في الساعة الرابعة صباحا، وصل الجيش الى بوفاريك. طريق هذا المكان يحدها على الجانبين غابة سميكة من اليمين الى اليسار، وتعبرها عدة وديان من عشرة جسور ضيقة تقع على مسافة قصيرة من بعضها البعض. استولى عرب بني خليل وبني موسى بني على هذا الممر وسعوا للدفاع، ولكن تم مسحهم بسهولة. تحرك الجيش بعد العبور للتحدي، بعد لحظات قليلة من الراحة، وتوجه بعد ذلك الى واد الكرمة، حيث أقام بشكل مؤقت. في اليوم الموالي أي 5 جويلية، الذكرى السنوية لاحتلال الجزائر العاصمة، عاد الجنود الى ثكناتهم.

وكانت هذه الحملة المشؤومة الى المدية، قاتلة أكثر في الاثار المعنوية التي تركتها في نفوس الأشخاص، كما أننا تكبدنا خسائر فعلية، فكان 254 من رجالنا خارج ميدان القتال، ومن بينهم: 62 قتيلا و 192 جريحا. الجيش وقع اللوم الكبير على كل من الجيش والجنرال، ولكنه كان أساسا على هذا

الأخير، الذي جلب التوبيخ العام. نحن اتهمنا علنا عجزه وإهماله ثانيا في إطلاق العنان للتشهير، وكعادة العساكر الفرنسيون، فهم على استعداد تام لتعرية جعل قائدنا لجيش المسكين مذنبا، وحتى الآن ليس تبادل الاتهامات العاطفية هو ما نتوقع أن يصلح هذا الفشل. أخطاء الجنرال هي في ميدان التاريخ، ولكن حتى في جيشه الرجال الذين يحكمون عليه يجب عليهم إخفاء ذلك بدلا من محاكمته، ويصمتوا بدلا من إضعاف ثقة القوات بنشر هذه الأحكام. بالنسبة لنا، وضعنا بعيدا عن الأحداث، واستطعنا دون أن يكون لنا مشكل استخدام النقد، جعل الآخرين يرون الجنرال بارتزان من خلال تصرفاته.

الهجوم الذي ران على تصريحات الجنرال وصل الى مسمع القائد العام وللأسف كانت لديه فكرة التهديد عن طريق جدول الأعمال بإعادة إرسال المتهمين الى فرنسا، وحتى بجعلهم ينقلون من قبل مجلس الحرب. هذا الاندفاع المحرج ضاعف من نشاط ضار، وضع مثل هذا الشخص المميز عرضة للاضطهاد. أبد نائب ملازم بسيط، ما اتهم به الجنرال بارتزان، ووضع التحدي أما الجنرال للتحقيق معه أمام مجلس الحرب.

ومع ذلك، فإن العرب، الفخورين بالمزايا الواضحة للظروف المؤسفة التي كانت ضدنا، وتوقعوا لنا الخروج من الجزائر. حسن ولد بو مزراق من جهة، وبن زمون من جهة أخرى الأهالي لحمل السلاح. سيدي السعدي،

من أسرة مرابطين من الجزائر العاصمة، وبعد رحلتها الأخيرة إلى مكة أوصت باحترام الأخوة في الدين، و تهدف إلى انجاح حسين باشا، بالمساهمة بقوة عن طريق الوعظ لاثارة القبائل الشرقية، التي انسحبوا منها. وقريبا تم تشكيل معسكرين للمتمردين، واحد في بوفاريك، تحت إمرة وليد بو مزراق ، والآخر في الضفة اليمنى الأراتش لدى مرابط سيدي أرزين تحت تلك الخاصة بين زمون وسيدي السعدي. وكان هذا الآخر على بعد مسافة قصيرة من المزرعة النموذجية. هاجم العديد من الأطراف المنتشرة في جميع أنحاء "فحوس"، مزارعين الأوروبين وقتل البعض منهم، وغيرهم أجبروا على الفرار من المدينة. كان الذعر عاما حتى بين السكان المدنيين الأوروبيين. زاد الرعب من عدد أفراد العدو، وانتشر الرعب بكل ألوان السواد. تخلى مستوطنون عن الحملات وبدأوا في الزراعة. في المدينة، أغلقت العديد من التجار مؤسساتهم، وكانوا يفكرون بالفعل في الشروع في إعادة السلع الأكثر قيمة، لأنها يبدو من الصعب مقاومة التمرد العام، مع جيش من المحبطين والمرضى، وزعيم فقد مصداقيته، ويبدو في الأخير، أن المستعمرة الوليدة وصلت الى يومها الأخير. ولكن ما الذي يمكن أن تقوم به جهود غير منسقة من الهمجية ضد منظمة قوية عسكرية من الأمم المتحضرة في حرب دفاعية ؟

في يوم 17 جويلية، قام سكان بن زمون وأراتش، بمهاجمة المزرعة النموذجية، وأحرقوا أول حصاد جنته أيدي الأوروبيين والذي نمى على

التراب الجزائري. اضطرت جميع البؤر الاستيطانية للتراجع في المزرعة، ما عدا بعض التحصينات التي لا يلم يتمكن "القبائل" من ارغامها على الانسحاب. بعد أن أحاط العدو بالمرتفعات التي تهيمن على هذا المبنى على الجانب الشمالي، اتجه الى الداخل و بدأ بوضع الحامية في وضعية حرجة، عندما وصلت فرق الانقاذ، كانوا مضطرين لاعادة عبور النهر والانسحاب في معسكره.

في اليوم التالي، بدأ الهجوم، ولكن بأول طلقة لمدفع الجنرال بارتزان، انطلق من الجزائر مع 6 كتائب وكل سلاح الفرسان وميدانيين، باتجاه القبة وطريق قسطينة الطريق بين البيت المربع والمزرعة. بالوصول الى قمة المرتفعات أمام سيدي أرزين، وجه نيران مدفعيته الى معسكر "القبايل". في الوقت نفسه، قام العقيد أرلونج، من الخط 30، الذي يقود موقع المزرعة بخرجة ضد اللذين كانوا امامه، ليلقي بهم الى الجانب الآخر من النهر، ومرت عبر أراتش بعدهم متجها الى المعسكر. انتقل الجنرال بارتزان مع جميع قواته، ولكن العدو لم يتوقع مثل هذه الصدمة الكبيرة. هيأ المعسكر بسرعة، وسلك طريق الجبال. بدأ الفرسان بملاحقتهم، ولكن لم يستطعوا الوصول إليهم. وأضرمت النار في حوش بيني موسى، أين حمل سكانه السلاح ضدنا. عاد القائد العام في نفس اليوم الى الجزائر، معتقدا أن التمرد قد انتهى. على الرغم من النجاح فبهذا اليوم تشتت قوات بن زمون، كانت عربات المدفعية، التي عادت في المساء في الجزائر العاصمة، تحت حراسة فرقتين، وقد تعرضت للهجوم بالقرب من بير خادم، من قبل الأطراف

العربية التي وضعت كمينا على الطريق. كانت هناك لحظة اضطراب في الفرق المرافقة، والذي انتهى في الأخير بالتخلص من العدو.

هوجمت المزرعة من جديد في يوم 19، وهذه المرة كان من قبل العرب، من تجمع بوفاريك. وصل العدو الى جسر وادي الكرمة، وحاصر المعسكرات التي كانت على المرتفعات المقابلة، وجاء للاستثمار في المزرعة التي لم يستطع فرض نفسه عليها. استمرت المعركة حتى الليل.

في يوم 20، مازال معسكر (تحصين) وادي الكرمة، محاصرا بالأعداء، وواصل لدفاع عن نفسه بإصرار، لكنه حرم من جميع الاتصالات مع المزرعة. كان الضابط الذي يقوده، وكان اسمه يستحق أن يكون معروفا، وهو رويارد، وهو ملازم في الخط 30. كان يدخر خراطيشه ولم يكن يطلق النار الا في طلقات مصوبة في الاتجاه المناسب، وبالتالي تمكن من الحفاظ على هذا الموقف الخطير. حاول العرب تدمير التحصينات (المعسكرات) بنزع ألواح بالياتاغان (سيف تركي محدب)، لكنهم لم يفعلوا، ولحسن الحظ لم تكن لديهم فكرة اشعال النار فيها. في اليوم نفسه، تعرضت قافلة للهجوم بالقرب من بير خادم، وأصبح نصف كتيبة من الخط 67 ، الذي كان يرافقها في حالة فوضى كاملة و لم تتخلص من أثر هذا الهجوم الا بقدوم الكتيبة من الخط 30، والتي جاءت لانقاذها. المزرعة هوجمت أيضا ، ولكن بشكل ضعيف.

في يوم 21 تقدم المحاربون الأعداء حتى بير خادم، وقاتلوا حتى الليل في ضواحي المزرعة وواد الكرمة، لكن دون جدوى في كلا الجانبين. انتقل الجنرال فوشير الى هذه النقطة في المساء مع بعض الكتائب.

وأخيرا، في يوم 22، مشى القائد العام الى العدو في الفجر مع قوات تفرض نفسها. المعركة كانت تماما لصالحنا. كان العرب على طريق البليدة، ولاحقناهم حتى بئر توتة على بعد خمسة أميال من جسر واد الكرمة. تقدمت فرقة الفرسان حتى بوفاريك، وقد كانت مجموعات قليلة من أفراد العدو، لم نكن نشعر أننا أقوياء تماما من أجل الهجوم، تراجعت عن الجيش، وانتقل العراك الى حرق ونهب عدة منازل العرب. عاد الجنرال بارتزان في اليوم نفسه الى الجزائر كما كان فعل في 18، ولكن هذه المرة مع المزيد الاصرار، لأن نجاح اليوم كان حاسما. النطاقات التي كانت تشكل تجمع بوفاريك، متفرقة فرقت مثل تلك الموجودة في بن زمون وسيدي السعدي، ولم يعد هناك أي أعداء للقتال.

لم يكن العرب مجتمعين ولا منظمين في الهجمات، وكانوا يتوقون إلى انهاء القتال، لأنهم شعروا بأنهم لن يستطيعوا أن يصمدوا طويلا. لو كانوا قادرين على توسيع نطاق جهودهم، لكنا في وضع حرج. سادت الأمراض في قواتنا لأكثر من شهر، وكانت في تزايد مستمر يوما بعد يوم. كانت المستشفيات مزدحمة ، و الاطارات التنفيذية لعدة أفواج شبه خالية، وكأن شهرا أو ثلاثة أسابيع من القتال والتعب كان قد خفض عدد أفراد الجيش الى لا شيء تقريبا. وعلاوة على ذلك، رغم أن هذا التمرد لم يصل إلى الهدف المقترح، الا أنه أحدث الكثير من الضرر للمستعمرة. فقد أوقفت عمال ومسار ملاوميي الجزائر العاصمة، وأحبطت معنويات الرجال الخجولين، الذين كان عددهم كبيرا، وقد قدموا الحجج لأعداء

الاستعمار، وساهموا بقوة لإعطاء ما تبقى من النشاط الاستعماري، إدارة خاطئة وخبيثة والتي أشرنا اليها في الكتاب السابق.

وعلى الرغم من صد هجوم العرب بخطوطنا، الا أن هذا الفشل لم يدمر رأيهم وتصورهم عن أنفسهم منذ انسحاب المدية. رأوا أن ما حدث كان مجرد تحذير لأنهم يعتبرون أنفسهم أندادا لنا في القوة والسلطة، أنهم قبل بضعة أيام مضت كانوا يعتبرون أنفسهم رؤسائنا. ومنذ تلك اللحظة بدأوا يميزون بين ضواحي الجزائر العاصمة، والتي كانوا عليها في استعداد للموافقة على الاعتراف بحقوقنا، وبقية المحافظة، والتي حسب تفكيرهم، كان يمكن إزالتها من سلطتنا. "ابقوا في منازلكم، ونحن وسنبقى في منازلنا"، هكذا كانت لغة سياساتهم. سلوك الجنرال بارتزان خلال الأربعة أو خمسة أشهر التي أمضاها في أفريقيا، أثبتت أنه تقبل هذا الانذار. أبدى هذا الجنرال والجميع الموافقة على التعامل بقوة واحدة (قوة ضد قوة) مع العرب في محافظة الجزائر العاصمة، مع رغبة في امتلاك قائد يمكنه أن يجب ليس عن استسلامهم فقط وانما حول هدوئهم. كان الآغا موندري مجرد خيال، والذي لم يكن في ذلك الوقت مؤهلة. وعلى توصية مور الجزائر العاصمة، تم استبدال موندري بالحاج محي الدين السجر بن سيدي علي بن مبارك، رئيس العائلة العتيقة لمرابطي القليعة. بدأ هذا الأخير بمعاملة تقدر ب 70،000 فرنك سنويا، لإجبار العرب على مراقبة شروط المعاهدة الضمنية. كنت أعرف

من تكوين هذا الكتاب، أنه تمت كتابة هذا الالتزام، والتي يوجد في يد الحاج محي الدين، والذي وضعنا في حلقة Popilius. كان هذا نظام من الركود التام، ولكنه كان في الأخير نظام. قررنا التصرف مع العرب، وكان الأمر يقتصر على اجراء مع 14 الى 15 ألف رجل من أجل شغر بعض الأميال المربعة، والتي يبدو أنها كافية لسد احتياجات مستعمرتنا. سمحت لنا القوات المتاحة بالقيام بعمل أفضل، لكننا تعودنا طويلا على أن فرنسا لا تحصل على النتائج السيئة مع الموارد الكبيرة.

أجرى الآغا الجديد، حتى فترة رحيل الجنرال بارتزان، في يناير جانفي 1832، هذه الالتزامات كرجل ضميري. لا يسمح العرب بأي عمل عدائي في أرضنا، ولكن لم يكن من توغل فرنسي الى أراضيه. يرى الأهالي أن لديهم الحق في قتله كشرط من المعاهدة. أوصى الآغا بشكل جيدا في جميع رسائله بعدم السماح لأي شخص بالدخول بين العرب، وعدم وجود الاتصالات معهم الا من خلال وسيط. والواقع أن جميع تراجعت مع العرب بمراسلة الآغا، الذي لم يكن يأتي إلى الجزائر الا نادرا، في سياق إدارته.

مارس الحاج محي الدين تأثيرا كبيرا على المواطنين، بواسطة حرمة أصله، و الصفات الشخصية، التي كانت ملحوظة جدا. كان رجل النظام والسلطة، وقد أوقف الفوضى لفترة بين العرب. عين كقايد كرونشة خلال استبدال بن العمري، والذي روينا نهايته المأساوية،

الحاج محمد المخفي؛ ترك أحمد بن أورشفون في بني موسى، وموصود بن عبد الواد في السبت، على الرغم من الدور الذي قد اتخذه كلاهما في التمرد. في بني خليل محمد، تخل بن شرقي التخلي عن مهامه مع إزالة الأغا حمدان. الأغا موندري، الذين لم يكن يعرف الكثير عن معنى قايد، لم يفكر ليحل محله، لكن "أوتان" (المنطقة) التي ضجرت من هذه الفوضى، وضعت على رأسها الحاج بوعلوان. السيد ، كان يدرك أن عليه رفض التدخل في هذه القضية، رفض التعرف على بوعلوان ، وعين العربي بن الرحيم شيخ بن صالح بدلا منه. لم يكن الأغا محي الدين يثق في هذا الرجل المخلوع، واعترف بالعربي بن موسى قايد بني خليل. في المدية، استولى وليد بو مزراق على السلطة بدون تحديد منصبه، بعد رحيل بن عمر، ولكن تمالتخلي عن هذا الشاب، بعد ذلك بسبب الفجور والسكر مع الفضيحة التي أثارت غضب السكان، في أكبر سوء سمعة، ولم يكن يعيش الا من موارد فضلات باي قسنطينة، كما سنراه في المجلد الثاني. ونحن على سنتطرق الى الفترة التي بدأ فيها في الاتصال الفوري معنا، فمن المناسب أن يعرف القارئ في أي موقف كان يتواجد في ذلك الحين.

أحمد باي قسنطينة، وبعد الاستيلاء على مدينة الجزائر، انسحب من محافظته مع القوات القليلة التي ذهبت لإغاثة حسين باشا. بالاقتراب من عاصمته، علم أن الأتراك الذين تركهم هناك، تمردوا ضد سلطته،

وانتخبوا للباي الملازم حمود بن شكر، ولم يعودوا أقوياء بما يكفي للتقدم، وتوسلهم ليسمحوا لعائلته بالانضمام إليه، واعدا بالتنازل عن جميع الحقوق للانسحاب الى الصحراء، بلد زوجته. ولكن خلال هذه المفاوضة الصغيرة كانت هناك ثورة سريعة لصالحه. سكان قسنطينة، الذين تخوفوا من زيادة المتمردين، يمكن أن يسلموا، إذا انتصروا تماما، وارسلوا أحد المرابطين الى أحمد باي، ودعوه إلى دخول المدينة مع القوة الصغيرة التي يمكن أن تتوفر، والتزموا بدعمه ضد الأتراك. أحمد،الذي لم يتخل عن القوة الا رغما عنه، وضع قواته المتوفرة الى جانبه، وتغلغل الى قسنطينة. رأى الأتراك أن السكان كانوا كلهم ضدهمن فخرجوا من المدينة، ونزلوا للاستقرار (التخييم) على مسافة معتبرة مع الباي الذي انتخبوه. في اليوم التالي،سار أحمد ضدهم مع قوات متفوقة المأخوذة من السكان. لم يتوقع المتمرون (الثوار) مقاومته، وذبحوا حمود بن شكار واستسلموا. تظاهر الباي باستقبالهم، ولكن في وقت لاحق ذبح الكل تقريبا بالتفصيل، تحت ذرائع مختلفة.

بعد أن كان مصطفى بومزراي، باي التيطري، في حالة حرب ضد فرنسا، وبعد أن أخذ لقب الباشا، بعث في صيف عام 1830، وفدا إلى أحمد لدعوته للاعتراف به خلفا لحسين. هذا السفير لم يصل اليه، فبالكاد وافق على خطوة مصطفى، حتى أقسم انه لن يعترف أبدا بزميله كصاحب سياده، وأخذ لنفسه لقب الباشا.

لم يقرب تراجع (انحطاط) مصطفى أحمد من الفرنسيين. الجنرال كلوزيل،الذي اتخذ كما قلنا، القرار ليحل محله الأمير من أسرة تونسية، لم يفكر إلا في الحصول على حالة الدفاع. النمل الرجل الحذر فاشات بن سعيد، الذي شغل مهام شيخ عرب الصحراء[1] تم خلعه، وعين خاله بوزيس بن غانا في هذا المنصب. هذا الإجراء المفاجئ كان مصدرا لا يخلو من الحرج من كل الجوانب، لأن فاشات لم يكن رجلا يتخلى عن منصبه بسهولة، وقد كسبمودة العديد من القبائل القوية، ومن خلالهم صد بن غانا، الذي تقدم للعراك مع قوات غير كافية. هزم بعد بعض الوقت منطرف أحمد باي، الذي سار ضده شخصيا، إلا أنه لم يفقد الشجاعة لهذا، ومعظم القبائل واصلت الاعتراف به كزعيم. كان مشغولا باستمرار بإثارة الأعداء على باي قسنطينة، ومدد مؤامراته على جميع النقاط التي يمكن أن يجد فيها أدنى "جرثومة من الاستياء" لاستغلالها.

هذا الوضع كان يهدد أحمد باي، ومنعه من الاهتمام ببونة (عنابة)، بعد تم اخلاءها من طرف الجنرال داميرمونت في عام 1830. هذه المدينة، التي طرحت لسلطتها ، وتخلت عنها فرنسا، وهي تحكم نفسها بنفسها. هاجمته القبائل المجاورة، التي أراد الكثير لسكانها لاستقبال فرنسا بين جدرانها، عدة مرات، ولكن تم صدها في العديد من المرات. المئات من

(1) شيخ عرب الصحراء هو أغا قبائل هذا البلد، ولكل قبيلة منها شيخها الخاص.

الأتراك الذين كانوا قد استقروا هناك في القصبة تحت لأمر اكرغل مؤثر يدعى أحمد، وساهموا إلى حد كبير في دفاعه. ولكن، مع تكرر الهجمات باستمرار، اتجه سكان بونة الى الجنرال بارتزان في صيف1831، وطلبوا منه الإمدادات من رجال وذخيرة. وفقا لتلميحات سيدي أحمد ،الذي كان يتمتع بفضل كبير لديهم، بسبب الخدمات التي قدمته فرقته الصغيرة لهم منذسنة واحدة، وأصر كثيرا على ان نرسل قواتا من الأهالي. هذا الترتيب يناسب سيدي أحمد، الذي قام بتصميم مشاريع لخلق موقف مستقل، والجنرال بارتزان، الذي لم يكن ليعتقد أنهس يكون قادرا على الاتخاذ على عاتقه مهمة إرسال القوات الفرنسية بدون إذن من الحكومة الفرنسية الى بون. وفقا لذلك شكلنا مفرزة (انفصال) صغيرة من 125 من الزواوة، جميعهم من المسلمين، باستثناء بعض الضباط ونواب الضباط، تحت قيادة الملازم بيجوت.. كان القائد أودي، ضابطا مساعدا للجنرال غيومينوت، ثم السفير في قسنطينة، وكان مسؤولا عن الإدارة التنفيذية للبعثة (الحملة)، لكن بمزيج غريب من الأفكار، تبقى لقب قنصل فرنسا في بونة. وكان السيد أودي قد جاء الى أفريقيا تحت أوامر الجنرال كلوزيل، واعتقد أن معرفته لبعض مور الشرق يمكن استخدامها. وكان نشطا جدا و متحمس جدا، ولكن قراره (حكمه) غير مؤكد.

وصل السيد أودي وبيجوت و125 من الزواوة الى بونة على متن الحراقة

(كورفيت سفينة حربية قديمة) كريول في 14 سبتمبر. تم استقبالهم بشكل جيد من قبل السكان، لكن سيدي أحمد، بمجرد رؤيته للضباط الفرنسيين، أظهر كل استيائه. لم يكن هذا ما طلبه. لقد أراد جنودا مسلم ولا شيء أكثر من ذلك. القائد أوودي، الذين رأى في أحكامه، أن هذا الرجل سيكون عدوا، وبدأ فورا بابعاده عن القضايا. ولتبرير حجة الرغبة في التخفيف عن الأتراك، وضع بعض الزواوة في القصبة، وعمل على زيادة عددهم تدريجيا ، وذلك بطريقة تمكنه من إرسال ضابط، والتي أزال حكم سيدي أحمد لهذه القلعة. لكن هذا الأخير بقي مع ذلك قويا بما يكفي لالحاق الضرر لو أراد وأراد. من الواضح أكثر أن السيد أودي قد تخاصم (أنهى علاقته) معه. هناك ظروف صعبة يجب التظاهر مع العدو، عندما لا نشعر بالقوة لسحقه تماما.

كان هناك في بونة باي قسنطينة القديم، وكان اسمه إبراهيم، الذي قادته سلسلة من الأحداث الى هذه المدينة. هذه الشخصية، التي تخفي تحت روح الدعابة الواضحة الكثير من الغدر العميق، كان يسعى الى اكتساب ثقة السيد أودي. شاهد جميع خطوات سيدي أحمد، وادرك شكل القيادة الفرنسية. كان هدفه خسارتهم واحدا تلو الأخر، ومن ثم الاستيلاء على السلطة.

السيد أوودي، الذي لم يكن يعرف العادات العسكرية جيدا، استقر ببونة بشكل سيء وشديد. لقد بقيت فرقته بشكل سيء. كانت الأبواب دائما في القصبة مفتوحة، وكان القائد الذي كان يحكم يأتي كل يوم، ليتناول طعامه

في المدينة. إبراهيم، الذي لاحظ لاحظ كل شيء، ناتج عن الاستفادة من هذا الإهمال للاسراع للوصول الى النتائج التي كان يستعد لها. وكان قد حصل من الموثوق فيه أوودي على بعض المال مقابل الخدمات التي كان من المفترض ان تقدم له. وظف جزءا منه لرشوة بعض الرجال للدخول الى القصبة عندما كان الضابط غائبا. تفاجأت الحامية وتردد للحظة، ولكن سرعان ما اجتذبتها بعض الهبات، وأعلنت نفسها له، والأتراك أولا ثم العديد الزواوة. أولئك الذين لديهم تمنوا البقاء أوفياء، كانوا يرون أنه سيتم التخلي عنهم، أجبروا على القاء اسلحتهم.

قام ابراهيم سيد القلعة بإغلاق الأبواب وأعلن فوزه بواسطة تحية المدفعية. وكرد فعل على هذا الصوت، جمع القائد أوودي والملازم بيجوت بعض الجنود على عجل، وساروا الى القصبة، حيث تم صدهم بواسطة اطلاق نار قوي. دخلوا اذا الى المدينة أين كان مؤيدو سيدي أحمد، يسعون بالفعل لإغلاق الأبواب. كانت هناك في ميناء بونة سفينتين تابعتين للدولة، الكريول وأدونيس. توصل السيد أوودي الى المطالبة برجال الهبوط ومهاجة القصبة رفقة الزواوة. لكن سكان المدينة الذين وعدوا بجلب بالأتراك من واجبهم تقديم (تسليم) إبراهيم، وتخلى عن مشروعه.

مر يومين بانتظار تأثير هذه الوعود التي لم تتحقق. كان سكان الريف على أبواب المدينة، واستقبل إبراهيم عددا كبيرا في القلعة، وجمع أعلنت عن

هجوم مقبل. في 29، دعا بعض سكان بونة الى التحرك بالنيابة عن إخوانهم وجاء اليعلنوا للقائد أوودي انه لا يستطيع أن يبقى في بون. أجبروه على الاستسلام للضرورة، فأكد لهم هذا الضابط المسكين انه ذاهب، وقريبا طلب قوارب من سفينتين. وبمجرد انتشار هذا الخبر في المدينة وخارجها هرع المواطنون إلى الباب، وأجبر الحراس للانسحاب، وغمرت المياه الشوارع. الكثير من الزواوة تم القبض عليهم، أو تجمع المتمردون وقد قتل (ذبح) الملازم (الكابتين) بيجوت بعد ما دافع عن نفسه ببسالة. اندفع أربعون أو خمسون شخصا فرنسيا ومن الزواوة نحو باب للبحرية، متجهين بسرعة الى السفن أرسلت. هلك الكثير في هذه الكارثة، وكان هذا العدد مؤسفا بالنسبة أوودي ، الذي أصيب بطلقتين، ليتلقى طلقة نارية في الرأس قادمة من زورق.

بالكاد انتهى هذا المشهد الدامي حتى أرسل سكان هذه المدينة برلمانيين على متن الكريول، احتجاجا على أن لا علاقة لها في كل شيء قد حدث. بعد فترة وجيزة، وصل الى الجزائر سفينتين شراعيتين تقلان 250 رجلا من الكتيبة 2 من الزواوة، بقيادة القائد دوفيفير، الذي أرسله الجنرال بارتزان لنجدة الحامية الصغيرة من بونة. أعاد أهل المدينة السجناء، الذين كان من بينهم الضابط دوفيفير الذي حاول وضع يده على القصبة مع رجاله وبعض أطقم السفن؛ لكن قادة السفن لم يعتقدوا أن بامكانهم الوصول إلى المشروع. ولذلك كان من الضروري العودة إلى الجزائر، حيث عاد حطام الحملة في 11 أكتوبر.

انتهت هذه القضية المؤسفة بفقدان الجنرال بارتزان والقاء عليه المسؤولية في النهاية من طرف جميع بمرارة، ولكن أمر مؤسف صمت الذين كان بامكانهم أن يشاركوه في المسؤولية.

في محافظة وهران، كان موقفنا غير مؤكد لمدة طويلة تحت إدارة الجنرال. أنفقت الحكومة منذ عدة أشهر دون اتخاذ قرار بشأن اعتماد أو رفض الترتيبات الذي أدلى بها الجنرال كلوزيل حول موضوع هذا البيلك، وخلال كل هذا الوقت ظلت الأمور في الدولة الواحدة حيث تركنا في الكتاب ٥ من هذا العمل. كان من المفترض دائما على خليفة الأمير أحمد أن يبقى في حكم البلاد تحت حماية العقيد لوفول وفوجه؛ ولكن لم تمتد سلطته كثيرا الى خارج المدينة، واقتصرت على عدد السكان صغيرة جدا. كان تحت خدمته الأتراك الذين كانوا يخدمون الباي السابق، وهو ما رفع عدد الجنود الى 4 الى 500 رجل الجنود تحت قيادته، بما في ذلك جلبهم (أحظرهم) من تونس. في شهر جوان، ذهب للتعامل مع هذه الهيئة الصغيرة، وهو الذي كان قد تحدى قبيلة، قتل فيها الكثير من الناس، وتحصل على غنيمة كبيرة جدا. كان يحتاج هذا المورد لأنه كان بدون مال تقريبا وجنوده كانوا في حرمان مخيف. لم يكن خط 21 في وضع يسمح له أن يكون أكثر إشراقا. بما أنه عين منذ فترة طويلة للعودة إلى فرنسا، فانه لم يحصل على أي شيء من مخازنه، بحيث كان الجنود عراة تقريبا، حتى المسؤولون أنفسهم لم يكن لديهم الا الملابس الرثة فقط.

تفى الإحباط على هذه القوات، وكذلك التعب في العزلة، حيث لا يسمعون في الكثير من الأحيان، ولمدة شهر كامل، أخبارا عن الجزائر أو فرنسا. توفي العقيد لوفول الذي قاد، من الحالي في شهر أوت الحالي.

خبر النجاح الذي حققته حملة "القبايل" في المدية، حمس بعض الحركات في وهران. العرب الذين كانوا يعيشون بالقرب من هذا المكان، غادروا مع النية المعلنة للانتقال او الانضمام الى المواطنين في الداخل و عودة مهاجمة الحامية ثم. هذه الاستعدادات المعادية أعادت الحياة قليلا إلى الجنود الفرنسيين الذين سيطر عليهم التراخي، ولكنها لم تقدم الا بعض العروض التي تنفع من العرب. لم يكن هناك أي هجوم خطير، و اقتصر كل شيء على بضع طلقات التافهة للبنادق، التي أطلقت على الصفوف الأولى.

وفي الأخير، حددت الحكومة رايها، برفض تصديقها على ترتيبات الجنرال كلوزيل، وقررت اجراء حسابها الخاص في وهران. كان المنصب للمرة الاولى للجنرال فودواس للذهاب والقيادة حول هذه النقطة، ولكن قرار جديد موثوق فيه تعطى إلى الجنرال بوير، الذي كان قد قاد فرقة جيش أفريقية تحت قيادة الجنرال كلوزيل. ووصل الى وهران في منتصف سبتمبر، عاد خط 21 الى فرنسا، وحل محله الخط 20. ولكن إرسال ملازم الى وهران أثبت أن نية الحكومة كانت لزيادة قوة في هذا الجزء من وجلس الوصاية، والذي سيكون له تأثير المكان في وقت لاحق.

وجه الخليفة والتونسيون الى بلدهم برضاهم الكبير، لأنهم كانوا متعبين من هذه الوضعية التي دامت طويلا.

بعد أيام قليلة من وصول الجنرال بوير، جاء مولاي، أحد أقارب إمبراطور العرب وقائد القوات التي كان الأمير قد أرسلها الى محافظة وهران مع مئات من الفرسان، للالتفاف حول المكان، وبعد يومين أو ثلاثة أيام العروض الصبيانية دون جدوى اختفى، ولكن ظلت ضواحي المدينة غير آمنة. أطلق العرب الذين جاؤوا كالأطفال المفقودين على الحارس للاحتجاج على وجودنا في وهران بهذه الأعمال العدائية من دون نتائج، إلا أن ذلك لم يمنع عرب آخرين من الاقتراب من سوقنا، وقد حدث لأكثر من مرة، أن بعض الأهالي بعد ما باعوا بضائعهم في وهران، كانوا يتسلون قبل في العودة إبتفريغ أسلحتهم ضد الجدران. هذه الدولة الغامضة، التي كانت في حالة اللاحرب واللاسلم، استمرت، مع وجود اختلافات طفيفة على مدارعام 1831.

وصل الجنرال بوير في قيادته وقد سبقه سمعته كبيرة حول شدته ، والتي جعله في اسبانيا يحصل على لقب "القاسي" حيث كان الوحيد الذي شرف بهذه التسمية. وكان، علاوة على ذلك، رجل من متميزا بالطرافة والقدرات، ومتعلما وصديقا للفنون، لينا واجتماعيا في باطنه، ونال مجموعة من صفات التقدير، ما يتناقض بشدة مع سمعته الرهيبة التي تبرر من خلال أفعاله. وقد أظهر في وهران قسوته ضد المغاربة (المور)، فلا يرحم أحدا ممن يحاولون التذاكي مع إمبراطور المغرب. وأعدم العديد منهم دون محاكمة، والبعض بشكل غير قانوني. كان

هناك تاجر مغربي يدعى بالونسياتو، وقد اختطف مرة من منزله تحت أوامره، و بعد ذلك أخفي من الوجود كل ثرواته التي صودرت. عاد إلى الخزينة بمبلغ قدره 20 ألف فرنك.، والتي لم تعد إلى الورثة الى في 1834. لا شيء يبرر مثل هذه التدابير المريرة. لم يكن عدد سكان وهران كبيرا بما فيه الكفاية، ولا معادين بما فيه الكفاية ليكون من الضروري الحفاظ على هذه الطريقة المماثلة في التعامل معهم. إذا كان هناك مذنب، كان على العدالة العثورعليه لمعاقبته. يجب أن تكون خطيرة جدا لكي يفترض رجل واحد الحق في الحياة و الموت. وللأسف استعمال القسوة كأداة سياسية، كان منهجيا لدى الجنرال بويي، كانت قضية عقيدة ومنطق أكثر من كونها انبثاق من الشخصية.

عندما تقرر نهائيا أن وهران ستكون جزء من الاحتلال، اهتممنا بتنظيم الخدمات الإدارية. كما هو الحال دائما بالنسبة للجباية التي وضعت في الخط الأمامي. نص مرسوم 7 سبتمبر على تطبيق تسعيرة و طريقة تقدير الحقوق الجمركية والمنح التي تستخدم في الجزائر العاصمة على ميناء مدينة وهران، تسعيرة. وفي نفس اليوم تم تحديد تكوين موظفي مكتب الجمارك في وهران. عين السيد باراكلان نائبا للمدير المدني، والسيد بوجال مفوضا بالقرب من البلدية التي كان الهدف انشاءها لتكون مثيلة تلك الموجودة في الجزائر العاصمة. سنقوم الآن بوصف موجز لمحافظة وهران، والتعريف بالقبائل التي تقطن فيها.

محافظة وهران لديها جزء من أراضيها على الضفة اليمنى لشلف. هذا الجزء الجبلي جدا، يقطنه أساسا قبائل "القبايل" في تلك الفترة، عندما قام "شوس"

برحلته العلمية والمثيرة للاهتمام، وهي تمتد الى الشرق حتى مزفران، ولكنها ترضخ لمحافظة الجزائر العاصمة وتشمل جميع الأراضي ما بين هذا النهر وتيفيرت، الذي يصب في البحر بين شرشال وتنس. القبائل الرئيسية لل"القبايل" في هذه المنطقة هي بني مدون، بني زروال، بني ميهنة، بني عشاشة، بني رشيد، وأولاد سيدي الحاج هني، و بني عائشة ، وبني زوغ زوغ-. أقوى قبيلة عربية في هذا البلد هي قبيلة جندل. وفيما يلي المدن التي تنتمي الى المحافظة وهي تنس ومازونة ومليانة.

تنس كانت مدينة صغيرة وقذرة، والتي كانت قبل بربروس، عاصمة لمملكة صغيرة مستقلة. هناك رواية عربية ساخرة العربية تقول إنها بنيت على الروث، وأنها لا تحتوي حتى على مياه الشرب. هذه المدينة التي تقع على حافة البحر.، لديها ميناء صغير كان في الماضي مقرا لتجارة القمح إلى حد كبير. وهي مغطاة الى الشرق بخليج يحمل نفس الأسم وهو مرتفع ويتقدم الى البحر. يسكن بني مدون في الساحل الغربي لتنس. نجد بين تنس وخليج ايفي ، ميناءين صغيرين آخرينالأخرى وغير مهمين، وهما كاشنا وواد كسال، والنهر الصغيرة الحميز، عند المصب القريب من السوق التي كان فيه الأوروبيون يسمحون لأتراك "شاوو" بممارسة تجارة الحبوب، فضلا عن تلك الموجودة في "روميل البيا" و"مغروفا" التي تقع على نفس الجانب.

تقع مليانة في المناطق الداخلية، على بعد 24 ميلا من الجنوب الشرقي لتنس، على ارتفاع عالي جدا، حيث يمكن الشعور بقسوة الشتاء جيدا. وقد بنيت على سفح جبل زكار أحد أهم القمم الجبلية في البلاد. ويحيط به جدار مسيج

مي»، ولديه ثلاث بوابات ب ثلاث قلاع صغيرة مسلحة ببعض المدافع قليلة. يقدر سكان هذه المدينة بثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة. وعلى بعد أميال قليلة الى الشمال الشرقي من مليانة نجد المنابع المعدنية الحارة (الساخنة) لميريدجا (أكوا كاليدوي، مستعمرة من الرومان)؛ هذه الأخيرة (مايشبه الحمامات) لديها سمعة كبيرة في البلاد وهي تستقبل الكثيرين. نرى بعض الآثار الرومانية في متيجة. كما يمكن ايجادها في مليانة لكن بشكل قليل.

مازونة هي قرية أكثر من كونها مدينة، وقد بنيت غير بعيدة عن ضفاف الشلف وعلى بعد ميلين من مصب النهر، على إقليم قبيلة بني عباس. عدد سكانها يتراوح ما بين 1200 و1500 نسمة، وهو أكبر عدد منهم يتواجد في كوزوغريس.

الشلف أكبر نهر في مجلس وصاية (محافظة) الجزائر العاصمة. يعتقد شالر أنه يمكن الملاحة فيه على مسافة كبيرة من مصبه، ولكنه كان مخطأ في هذا الصدد. وأنا مقتنع بأن على ارتفاع مازونة، توجد مياه قليلة جدا للتمكن من حمل قوارب: في موسم الأمطار، وخلال لبضعة أسابيع فقط، بلغ حجم المياه مستوى معتبر جدا، ولكنها لم تكن الا سيلا، وليست ذات استخدام في الملاحة. في عام 1832، تجاوز قارب فرنسي، ومفاجأة السيد تاتارو قائد الأركان، مع بعض ضباط البحرية شريط (نهر) الشلف الذي لم يجدوا فيه الا 5 أقدام من الماء، والمجس أعطى 9 الى برقية واحدة (وحدة قياس طول الكابل في الملاحة) في الأعلى. لم تتمكن القوارب من التقدم

الأعلى مسافة ما تصل ألف متر من المصب، والأعمال العدائية لسكان بني عائشة الذين يعيشون في هذه الشواطئ، أجبرتهم على التراجع. اذا تمكنت من المغني قدماء، يفترض أنها عثرت على عمق كافي حتى رافد مينة، وهذا يعني، على طول 7 إلى 8 أميال على الأكثر. وبالتالي لا ينبغي لنا أن نعتمد على الشلف كوسيلة من وسائل الملاحة الداخلية. يصدر هذا النهر من جنوب سفح جبل أونونازريس في المكان المسمى سبون عيون ويتدفق نحو الشرق على طول 10 أميال تقريبا، يتلقى على يمينه نهر ميدروي، واعتقدنا أنه يعبر بعد ذلك البحيرة الافتراضية للتيطري[1]، وهو يجري الى الشمال، حتى على بعد مسافة قصيرة من المدية و يأخذ منعطفا حادا نحو الغرب، يتدفق إلى البحر عن طريق الخط المباشر ويلقي إلى الغرب كيب أو خليج أو رأس ايفي.

جزء من محافظة وهران الذي يقع على يسار الشلف هو خمس أو ست مرات أكبر مما ذكرناه أعلاه، ويحده من الجنوب الصحراء الكبرى، ومن الغرب امبراطورية المغرب ومن الشمال البحر؛ الصورة الموحدة إلى حد ما، هي سلاسل من الجبال تمتد من الشرق إلى الغرب، ويفصل بينهما الوديان أو السهول الممتدة بشكل جميل تقريبا تحت خطوط طول وهران ومعسكر. تتجمع هذه السلاسل بجبال وسيطة والتي تنتهي في كيب أو رأس فيرات مابين وهران وأرزيو: و الوديان التي تحدثنا تخرج الى تلك الموجودة غرب التافنة، وتلك الموجودة في الشرق على الشلف. وتتلقى

---

(1) لم أستطع الحصول بعد على أي معلومات إيجابية حول هذه البحيرة.

هذه الأودية مياهها في الشرق بواسطة روافد يسار الشلف، وأهمها مينة وأريون وفداح.

مينا لديها مصدر قرب فرندا، على بعد يوم من السير على الأقدام نحو جنوب معسكر. الجزء السفلي من حوضه يشكل سهل مترال الذيقطن فيه أولاد حامد، وأولاد سيدي، والعريبي والسويد، والحكومة وموكالية. الجزء العلوي يقطنه أساسا الفليتة التي تشكل قبيلة قوية.

أريون، الذي يتواجد في الشلف فوق مينا، يحاذي للنهر الأخير بالتوازي. وحوضه يقطنه سبيح إلى حد كبير، وهي قبيلة مضطربة ومدمنة جدا على اللصوصية.

الفضة أو نهر الفضة، يطلق عليه هذا الاسم لأنه يحمل رقاقات (قطعا) معدنية والتي على ما يبدو أنها من الفضة، ويأخذ مصدره في شمال جبل أونونازيريس بالقرب من خط طول الشلف. القبيلة الرئيسية الذي يعيش في حوض الفضة هي العطاف (لاتاف)، مفصولة عن الشلف بقبيلة جندل التي تحدثنا عنها سابقا. هناك جسر حجري دقيق جدا هنا، على الشلف، الذي بني في عام 1816 تحت إدارة عمر باشا. الجسر على بعد 40 ميلا من مصدر النهر، و7 أميال من مليانة. الأرض المدرجة في منعطف كبير من الشلف فوق الجسر، تقطنها قبائل عربية عدة، ومن أهمها مالماطة، وبني سامون، لايت وأولاد حليف. أعل

نقطة في البلاد والتي وصفت من قبل، هي قمة أو جبل أونونازيريس. تنخفض السلاسل بشكل عام بالاقتراب من الشلف.

والتي تقع على الضفة اليسرى لمينا ترتبط في الشرق، بالكتلة الجبلية التي بنيت عليها مستغانم وميسيغران، ، وغربا بالجبال التي تفصل الوديان الموجودة في الشرق عن تلك الموجودة في الغرب، تحت خطوط طول وهران ومعسكر، كما تحدثنا أعلاه. على هذه السلسلة نجد مدينة كالح، في منتصف الطريق الرابط بين الشلف ومعسكر. شمال هذا السلسلة يمتد السهل الرائع سيرات، المفصول عن سطح البحر بتلال ذات سمك متغير، ويقطنها البورجيا في الشرق، وفي الغرب الغرابا، وهي قبائل قوية ومحاربة. وتستمد مياهها من الاهبرة، وسيغ الذي يصب في الاهبرة، من اليسار، فوق مصبه تقريبا[1]. يصب الاهبرة في الخليج أرزيو، بالقرب من ميناء صغير يدعى ميناء الدجاج، حيث نرى بعض أنقاض المباني القديمة. مدينة أرزيو تقف على تلة على بعد ثلاثة أميال غرب مصب الاهبرة[2]، وعلى بعد ميل ونصف من ميناء أرزيو، أو المكتا. هذا البلد تسكنه قبيلة حاميان. ال تلال الواقعة شرق الهبرة يقطنها الحيد من الشراقة؛ وفي الأخير، التلال المائلة لمستغانم وميسيغران التي يسكنها المجار، مهي قبيلة كبيرة وقوية[3].

---

(1) تتواجد الهبرة في جبال واد الحمام.
(2) مصب الهبرة معروف في البلاد تحت اسم من ماكتا.
(3) تنقسم هذه القبيلة إلى عدة مناطق، مثل مادر، وبوكامل، وأولاد سيدي عبد الله، وبوكريشة، وما إلى ذلك.

الجزء الأول

جنوب الجزء الغربي من سهل سيرات، توجد جبال مرتفعة وسميكة بما فيه الكفاية؛ ويقطنها بني شقران، التي تمتد بالقرب من معسكر. يعيش الجنوب من معسكر أفراد قبيلة هاشم[1].

نجد على مقربة من وهران، عاصمة المحافظة، قبائل زيميلة ودوار، وفي الجنوب نجد بني عامر. في غرب وهران، على الأرض الواقع بين خليج أو رأس الصقر ورأس فيغالو. غرب هذه الاخيرة يوجد سهل جميل وهو زيدور، وتسقيه مياه واد الملاح و تافنة، التي تصب في خليج حارش غون، وهوموجود في مصب التافنة ذو رسو الجيد جدا الذي تغطيه الجزيرة الصغيرة حارش غون، الذي أعطى اسمه إلى الخليج ما بين خليج الصقر وخليج هون، ويسكن هذا البلد أولاد- حساس وبني هلال.

قمنا حتى الآن بتسمية قبائل محافظة وهران الرئيسية، وهناك عدد آخر منها : أنا أنظر الآن قائمة مكتوبة باللغة العربية تحت املاء الباي الأخير لوهران، والتي تحمل اكثر من 130 اسم قبيلة ؛ ولكن لن تكون للقارئ مصلحة في ذكرها، ولذلك فضلت الامتناع عن اعادة ذكرها هنا. وهي أيضا كتبت بشكل غير صحيح، وأفضل المترجين وجدوا صعوبة في فك رموزها. وتتخللها المزيد من الملاحظات التي لا نعرف من تخص، لذلك لا يمكن أن تعتبر وثيقة جيدة جدا. ومع ذلك، فإنها أعطتني دليل على أن الأتراك كانوا بعيدين كل البعد عن

(1) لا يزال هناك أفراد هاشم على أجزاء أخرى من محافظة وهران، بما في ذلك في جنوب مستغانم، في إقليم مجار.

معرفة الصحراء جيدا، كما تقوم بقراءة أسماء بعض القبائل التي تسكن هذه الأرض من جنوب محافظة وهران: أسماء القبائل الجنوبية معروفة لدى سكان وهران.

يتم ذكر 54 قبيلة في محافظة وهران، على هذه القائمة الخالية من أي مساهمة، والتي لا تخضع إلا للخدمة العسكرية. وتتمثل أساسا في دوار وحبيد، كما هو الحال بالنسبة الى التيطري[1]. لم أحصل على التقسيم بالأوتان (المناطق)؛ كان للعديد من هذه الأوتان (المناطق) قادة عرب. أقام القادة التركيون بشكل رئيسي في المدن؛ وكانت بقية أعمال الحكومة هي نفسها في المحافظات الأخرى. مدن محافظة وهران محافظة، التي تقع غرب الشلف هي: وهران، تريمسان (تلمسان)، معسكر، ندرومة، غوزونة، كالح، مستغانم، ميسيغران وأرزيو.

تقع وهران على حافة البحر، في موضع خلاب جدا. هذه المدينة موجودة على تلتين من التلال المفصولة بواد عميق إلى حد ما، والتي يصب فيها نهر صغير يروي (يسقي) الحدائق الجميلة المحيطة ببعض المطاحن. المنطقتين الرئيسيتين للمدينة تقعان على اليمين واليسار هذا الواد، الذي ينفتح على الشاطئ، حيث هناك منطقة أخرى تسمى البحرية أقل أهمية من الأولتين. تم تحصين المدينة بجدار مسيج من قبل الإسبان، مصمم مع الكثير من الفن والرعاية (الاهتمام)، لكنه حاليا في حالة سيئة جدا. يهيمن على وهران في الغرب جبل عال بما فيه

(1) في بلد حيث لا يمكن طباعة أي شيء، فمن الصعب جدا أن تكون الوثائق الجغرافية والإحصائية إيجابية للغاية وتلك التي نحصل عليها في الكثير من الأحيان تكون لفظية خاطئة ومتناقضة.

الكفاية ، حيث القمة يحميها حصن سانتا كروز. في منتصف الساحل نجد حصن سانت غريغوري، وفي القاع، بالقرب من البحر، نجد حصن مونى، إلى الجزء الجنوبي من المنطقة الموجودة على يمين الوادي، توجد حصون سانت أندرو وسانت فيليب، والتي تضيء الوادي نفسه، تعلوها بضع القلاع الحجرية، وفي الجزء الشمالي من هذه المنطقة نجد القصبة الجديدة أو "شاتو نوف"، المحصنة بواسطة بحصن سانت تيريز، الذي يحد المنطقة البحرية. ويهيمن على المنطقة على يسار الواد القصبة القديمة التي دمرت تماما تقريبا في الزلزال الذي هز المنطقة في عام 1790.

وهران لديها تصميم أوروبي أكثر من كونه مشرقي؛ فالشوارع واسعة، ولكن متفاوتة: الرئيسية مليئة بالأشجار. كان لوهران ضاحيتين كبيرتين تم التضحية بهما بسبب احتياجات الدفاع عنها وهما راسلاين وكرجنتا. على الرغم من أن هذه المدينة توفر تنمية واسعة النطاق، إلا أنها أكثر قليلا من 7 الى 8 آلاف نسمة. نجد على بعد أميال قليلة من جنوب وهران بحيرة مالحة واسعة جدا. وعلى ميل غرب هذه المدينة يوجد ميناء وحصن مرسى الكبير، حيث يتم رسو كل السفن المتجهة إلى وهران، لأن الميناء الصغير في وهران لا يمكن أن يستوعب المراكب.

تقع ترمسان أو تلمسان في المناطق الداخلية من المنطقة، على بعد اثني عشر أو خمسة عشر ميلا من خليج حارش غوم؛ كان سابقا عاصمة لمملكة قوية بما فيه الكفاية، ولكن في هذه اللحظة ليس لديها سوى ثلاثة أو أربعة آلاف

نسمة من السكان. نرى على مسافة قصيرة من ترمسان أنقاض المدينة القديمة

متزورة،

وكانت معسكر عاصمة البيلك عندما كانت وهران تحت الهيمنة الاسبانية، وهي مدينة تتوسطها وتحيط بها حدائق الجميلة: لديها خمسة ضواحي وجميعها كبيرة. التحصينات فيها منعدمة تقريبا، ويمكن ازالتها بسهولة باليد. سكان معسكر يمثلون 8 الى 10 آلاف شخص في هذه اللحظة.

ندرومة هي مدينة صغيرة جدا، بنيت على منحدر جبل على أربعة أميال الى الجنوب من كيب أو خليج هون. تقع غازونة وهي بلدة صغيرة، على شاطئ البحر غرب كيب هون، ولها ميناء صغير: سيكون بقعة جيدة للهبوط البعثة في

ترمسان.

كالح، والتي أشرنا إلى موقعها من قبل، هي بالفعل أكبر من السابقتين، ويصنع فيها الكثير من الزرابي.

تقع مستغانم على بعد ستة أميال من الضفة اليسرى للشلف، وعلى بعد ربع ميل من البحر، على تل عالية جدا، وهي تحتل الضفة اليسرى لواد مماثلة لواد وهران، الذي يفصلها عن أحد أحيائها، الذي يدعى مطمور، الذي يهيمن عليها. كان هناك ضاحيتين جميلتين في مستغانم، تيسديدس وديار الجديد، لكنهما اختفيتا مثل تلك الموجودة في وهران. لمدينة مستغانم جدار تحصين، ولكنه في حالة سيئة، وهي محمية بشكل متزايد بواسطة بعض الحصون الخارجية، أهمها الذي يدعى حصن الأتراك أو حصن الشرق، التي يهيمن على مطمور. نرى في المناطق الداخلية من المدينة، قلعة قديمة بناها يوسف بن تشفين في القرن من

الثاني عشر من عصرنا، وكان يدعى حصن سيغون. كان هناك في مستغانم ما يقارب 12 ألف نسمة كتعداد للسكان، وعدد كبير من الورش الخاصة بالتطريز بالذهب، والآن لا يتجاوز عدد السكان 1500 نسمة.

يقع ميسيغران على بعد ميل فقط غرب مستغانم. لقد عانت هذه المدينة إلى حد كبير في السنوات الأخيرة، وهجرها سكانها بالكامل. الريف ما بين مستغانم وميسيغران تغطيه منازل ريفية، وهي الآن مهجورة ودمرة.

أما أرزيو، فتقع على تلة على بعد مسافة قصيرة من البحر، بين وهران ومستغانم، وهي مدينة دمرت عن آخرها، ونحن نرى بعض بقايا المباني الرومانية، والميناء، الذي يوجد على بعد ميل ونصف إلى الغرب، وهو أفضل ميناء لرسو (مرسى) السفن في المنطقة (مجلس الوصاية). ومن على مسافة قريبة من أرزيو نجد ملاحة (مملحة) ضخمة فيها الملح بكميات معتبرة في التربة عموما، التربة في محافظة وهران مشبعة جدا بالملح.

وكان هذا الإقليم، في الوقت الذي عين فيه الجنرال بويي لقيادة وهران، قد وصل إلى أفظع حالة من الفوضى. كانت هناك رغبة غامضة من أجل الاستقلال الوطني تختمر في جميع الرؤوس، ولكن لا يزال هناك عدم وجود وحدة في الإرادة والقيادة. تمردت مدينة معسكر ضد الأتراك، الذين ظنوا أنهم يمكنهم أن البقاء هناك بعد سقوط الداي، ولكن تم طردهم أو ذبحهم. تشارك المستقلون في اقتسام المتواجدين (أي الأتراك) في ترمسان، الذين احتلوا المدينة، والأتراك والكرغليين الذين كانوا سادة القلعة.

اعترفت مستغانم بسلطتنا من خلال ضابط تركي قوي وذكي جدا، وهو القايد إبراهيم، الذي أصبح في خدمتنا، والذي أرسله العقيد لوفول على رأس جمع الكثات من الجنود أمته. كانت أرزيو أيضا بشكل جيد معنا، والقاضي الذي كان قد استولى على كل السلطة، كان في علاقات جيدة مع وهران. بقية المقاطعة كانت أكثر أو أقل عدائية، ولكنها تفتقر إلى مركز للنشاط. كان القادة الأكثر تأثيرا هم: علي الغالالي من مليانة، البغدادي قايد العطاف، مصطفى والمزاري قادة وكل من دوار وزميليس، مولود بن الأطرش والخليفة من قبيلة غاراباس، في الأخير المرابط محي الدين وابنه الشاب عبد القادر، الذي استدعي في وقت لاحق للعب دور كبير جدا.

السيد الجنرال بارتزان لم يهتم على الإطلاق بمحافظة وهران إلا بشكل غير مباشر جدا، ومع ذلك، أراد إرسال مصطفى بن عمر، الذي كان يعرف ما يجب القيام به بعد سحبه من المدينة، ولكن الجنرال بويي رفض استخدامه. بعد فترة وجيزة، تم استبدال السيد بارتزان بالدوق روفيغو، الذي اعتقدت الحكومة أنها يمكنها أن تستخدمه، على الرغم من كل التحيزات المتنوعة التي وقفت ضده.

الجزء الثاني

.1

من شمال أفريقيا قبل الفتوحات الاسلامية.

كان الأوروبيون، الذين انتشرت مستعمراتهم في جميع أنحاء الأرض في شبكة واسعة، يعتقدون بأنهم يملكون البلدان بشكل غير كامل، حيث نقلوا صناعتهم وأملهم، اذا كانوا يجهلون التاريخ و أصل أجناس الرجال الذين عاشوا قبلهم، فقد كان ذلك مختلفا جداء الشرقيون (مشارقة) لا يهتمون بالشعوب التي سبقتهم، كما يهتمون بالشعوب التي يجب أن تتبعهم.

ولإرضاء هذا الفضول، كنت مضطرا لجمع هذه المادة والتي تحمل في ما يلي، ملخصا للوثائق التاريخية الموجودة لدينا حول شمال أفريقيا وبعض الملاحظات على الأجناس المختلفة التي تعيش فيها.

أعطى الإغريق للقارة الأفريقية التسمية العامة لليبيا. وقد تم تطبيق ذلك في أفريقيا فقط على هذا الجزء من البلاد منذ وقت طويل، حيث

بنى الفينيقيون قرطاج. وفقا لبوشارت، الذي تحدث عنه شاو، فان كلمة أفريقيا تأتي من كلمة "فريك"، التي تعني باللغة ء الفينيقية "السنبلة"، التي استخدمت للإشارة إلى الخصوبة الكبيرة لضواحي قرطاج. وان كانت هذه التسمية في الاتيمولوجية ، الا أننا أطلقنا عليها اسم أفريقيا ليبيا الإغريق.

لا نعرف شيئا عن الشعوب الأصلية في شمال أفريقيا. وقد جمعت أقدم سكانها من منطقة شرق آسيا، وقد حافظ التاريخ على البعض من تلك الآثار. لقد جاءوا إليها من فلسطين والسعودية. وفقا لليون الإفريقي[1]، والكنعانيين، الذين طردوا من فلسطين من قبل اليسوع (عيسى عليه السلام) وبني إسرائيل، فمروا بأفريقيا، واستقروا هناك. بعد بضعة قرون لاحقة،قاد مالك افريقي، وفقا لنفس المؤلف، عملية هجرة كبيرة لعرب الصابئين (من سبأ).

أيدت تأكيدات ليون بما يكفي من أدلة قوية، ليس فيما يتعلق بالتفاصيل والعصور، ولكن فيما يتعلق بوجود هجرتين، واحدة كنعانية، وأخرى عربية.

في الواقع، يشهد الكل بوجود أجناس مختلفة عن جنسنا في افريقيا لفترة طويلة ، حيث نختلف معهم في اللغة والتقاليد. الأخرى اللغة. تم تحديد هذا الجنس الذي كان نواة "القبايل" الحاليين، من قبل اليهود

(1) كان ليون الإفريقي عالم بربر من غرناطة، والذي اعتنق المسيحية، والذي كتب كثيرا عن أفريقيا. عاش في القرن 16.

الأفارقة تحت اسم الفلسطينيين[1]. هذا هي التسمية التي أعطيت بعد ذلك لل"القبائل" في ذاكرة أصلهم الكنعاني. ثانيا، هناك في مجلس الوصاية قبيلة معروفة، وحسب كل الاحتمالات فقد أتت من فلسطين، وهي قبيلة بني مزاب وبني موآب. جميع الحاخامات المتعلمون مقتنعون بأنها تنحدر من موآب، ابن لوط عليه السلام ، وانتقد بعد ذلك في البلاد من أصله الذي يقال عنه من "زنى المحارم". وأضاف جميع الحاخامات أن الأجيال لوط القادمة هاجرت إلى أفريقيا بأكملها، وأن أمون، شقيق موآب، الذي ولد نتيجة زنى المحارم ، وهم ينحدرون من "العمونيين" والذين يطلق عليهم حاليا اسم "عموني". يخبرنا كتاب الانجيل بأن لوط كان أبيه في الواقع ولدين وهما من زنى المحارم، مع بناته، وهم ينحدرون من قبائل الموآبيين وبني عمون. كان هذه الشعوب يمقتون اليهود كما يتضح من عدة مقاطع من "سفر التثنية"، و"أرقام وأنبياء". رغم تواجد بعض الملوك فلسطين في ذلك الوقت ، كما رأينا في الكتاب المقدس (الانجيل)، لكن لا شيء يمنعنا من الاعتقاد بأن الكثير منهم هاجروا إلى أفريقيا بعد غزو اليسوع (عيسى عليه السلام). وتعرض الأشخاص الذين بقوا في فلسطين لمضايقات بعدما عزز ديفيد (داوود عليه السلام) قوة إسرائيل، وطردوا في الأخير خارج البلاد ودفعوا للانضمام إلى أشقائهم في أفريقيا.

ونحن لن نناقش هنا مصدر التوراة (سفر التكوين) أو غيرها من الكتب

(1) أنا مدين بهذه الملاحظة للسيد مرعاي السيد، [illegible] حول الأصول الأفريقية والتي ينتظر نشرها

العبرية التي تشكل معا ما ندعوه الكتاب المقدس (الانجيل)، ولكن من المؤكد أنها آثار من العصور القديمة، وأنها مفيدة لتسليط بعض الضوء على نقاط القوة من تاريخ الشعوب القديمة الغامض. شهاداتهم تؤدي الى نوع من اليقين، عندما أكد بواسطتها غالبا كل ما يتعلق بالايتيمولوجيا (علم أصول الكلام). ولكن ماذا نرى هنا ؟ قبيلتين من أفريقيا لديهما تسمية متشابهة تماما مع قبيلتين من فلسطين القديمة ، وقد اضطهدتا في هذا البلد. هذا البلد الأخير كان مهدا لها، على الأقل في جميع الاحتمالات، ثم رحلوا منها هربا من الاضطهاد.

الاسم المعطى من قبل الحاخامات لل"القبايل"، ليست الأثر الوحيد فقط للأصل الكنعاني الأساسي لهذا الشعب؛ قبيلة فليسا،التي نكتبها عادة "فليسة"، التي كانت أقوى هذه القبائل من الجبليين الذين لايقهرون، ستأتي مرة أخرى لإثبات العلاقة بين اسمها والفلسطينيين. وفي الاخير، فان الاسم الصحيح لبن كنعان، الشائع جدا بينهم هو اسم والد الكنعانيين، الذين، وفقا ل"سفر التكوين" (في الانجيل)، كان شنعان (كنعان)، تشان (كان) حفيد نوح عليه السلام. هذا لا يثبت أن سفر التكوين على حق في كل شيء قاله أجدادنا قدماء الكنعانيين ، لكنه يظهر بين هذه الشعوب و "القبايل" مجتمع من الأسماء التي تتشابه عندما نشير الى مصدرها.

بني مزاب أو المزابيون كما نسميهم الجزائر، يتكلمون لغة أخرى مغايرة ل "القبايل". ولكن يجب أن يكون مثلهم كذلك، مثلما يثبته أحفاد موآب. في الواقع، خرج لوط (عليه السلام)، والد موآب، من بلاد ما بين النهرين (بلاد الرافدين) وينتمي الى نسل سام كما هو الحال بالنسبة الى إبراهيم عليه السلام.

كلا القبيلتين اللتان تدينان له بالأصل (المنشأ)، على الرغم من أنها نشأت في بلاد كنعان، فهم يتحدثون لغة أخرى غير تلك التي يتكلم بها الفلسطينيون، و الكنعانيون آخرون ينتمون إلى نسل تشان (كان). نرى في الكتاب المقدس أن هذه القبيلتين عاشتا في شرق نهر الأردن، وبالتالي بعيدا عن القبائل الأخرى. وأكرر، أنا لا أومن ولا أثق بالكتاب المقدس ثقة عمياء، ولكن ما يقوله هنا يظهر على الأقل أن الموآبيين لا يحملون نفس أصل الكثير من الأمة الكنعانية الذين يختلفون عنهم في اللغة، وذلك ما يختلفون فيه حتى الآن، بين أحفاد بعضهم البعض.

لا ينبغي أن يكون عدد القرون التي تفصلنا عن الوقت الذي وضعنا فيها هجرة المزابيين (بني مزاب)، سببا لصد الأدلة التي اكتسبناها حول الأصول الأسياوية لهذه القبيلة . لأنه في الأخير، لم يعد من غير العادي (الغريب) العثور على هذه الأمة الصغيرة في أفريقيا، كما نرى اليهود، مضطهديهم السابقون.

وللذلك نعتبر أن مرور الكنعانيين في أفريقيا هي الحقيقة. وحول الهجرة العربية فان ليون ترى أن هذه النقطة لا تحتوي على سبيل للجدل (لا جدال فيها)، وقال ان مالك الذي قادها، كان رفقة خمس قبائل وهي زنغرة، موسامودة، زينيتا، حوارة وغوميرا، ومنها ينحدر أن المغاربة (المور). كل هذه القبائل معروفة جدا، خصوصا قبيلة زينات الزاهية التي تظهر لوحة خاصة في تاريخ الحروب الإسبانية. لا تزال هناك من غوميرا في مليلية المحتلة من قبل الإسبان، على سواحل المغرب. هناك، كما قلنا في الجزء الأول حوارة في محافظة

من التيطري. هناك زنغرة في متيجة في منطقة الحجوط. وكان ليون الإفريقي بالتالي على دراية كاملة حول القبائل التي تحدث عنها.

وعلاوة على ذلك، لدينا العديد من الأدلة الأخرى حول أصل العربي للمور ؛ أولا، كما قلنا في الجزء الأول، يحفظ التاريخ مجموعة من المعالم و الأثار القديمة التي تدل على غزو أفريقيا من قبل العرب، الذين سيطروا على مصر لفترة طويلة، والذين شكلوا ما يسميه الكرونولوجيستيون (علماء التاريخ) سلالة الملوك أو القساوسة. بعد ذلك كان هناك، توجد شهادة كل الكتاب العرب كافة، قياس كبير على الأدب واللغة عند العرب الذين احتلوا شمال أفريقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم (الفتوحات الاسلامية) و شعب هذا البلد، واقع الختان مثلهم: ما يجلب كل هؤلاء الكتاب الى الاستنتاج أن المور هم اخوتهم الذي وصلوا الى أفريقيا قبلهم. المؤرخون الذين عرفون بدايات المرابطين، مؤسسو الإمبراطورية المغربية، يسلطون الضوء أكثر على ما يتعلق بهذا الصدد. تشابه عادات وتقاليد العرب و سكان أفريقيا القديمة لم يفلت من الكتاب (المؤلفين) الإغريق والرومان، ومن بين الآخرين سترابو الذي يقول بشكل إيجابي "الجيتاليين" (الغجر)عاشوا تماما مثل بدو العرب.و يمكننا جمع أدلة أكثر، مشكوك فيها قليلا، كوجود اللغة العربية في أفريقيا في العصور القديمة. وبالتالي فان اسم "نزاموس" الذي أعطاه هيرودوت والكتاب الذين اتباعه للشعب الذي يعيش على مقربة من برقة، ليس شيء آخر غير ناس العمون ، والتي تعني باللغة العربية ناس العمون،

كما يمكن أن نقول ناس المدينة ، أهل المدينة، آل ناس الناس الأوتان من الأوتان، الخ. كما أعطى هيرودوت لقبائل الجبال في البرقة تسمية "قبال" وهي التسمية التي لا يزال العرب يستخدمها لتعيين القبائل التي كان لها منشأ غير بلدهم.

دون الابتعاد عن هذه الأطروحة، سنضع في المقام الأول بأن السكان الأوائل الذين عرفوا بأنهم سكنوا في شمال أفريقيا، كانوا الكنعانيين والعرب. ثم يأتي الغزو الفينيقي، الذي كان أولنشاط له تأسيس أوتيكا، التي يعيدها علماء التاريخ القديم الى عام 1520 قبل الميلاد. أما قرطاج فتأتي بعد عدة قرون لاحقة. وكان هذا الغزو لا يحمل نفس صفات الغزوين السابقين: هو يقتصر على الساحل، لأن الفينيقيين، كانوا تجارا أساسا، وحاولة استغلال البلاد أكثر من التغلغل فيها. كما لم يتوغل القرطاجيون في الجذورالعميقة لأفريقيا و كانت قوتهم غير مستقرة كما كانت وهمية مثل وجود بيت التجارة. ومع ذلك، وحسب سيلاكس، فقد احتلوا كل المناصب البحرية من أعمدة هرقل إلى مدينة سرت، ما يعني، من مضيق جبل طارق إلى خليج سيدرا. ويقتصر على هذه النقطة القيروانيون، من مستعمرة اسبارطية ممن استقروا في البلاد، والذي يدعى لدي العرب اليوم الجبل الاخضر ، ولكنه معروف أكثر أوروبا كما باسم بيتابوليس برقة (سيرينابيك). وهكذا كانت جميع سواحل شمال أفريقيا قد احتلت من قبل الأجانب. إغريق القيروان، اللطفاء وأصدقاء الفنون، قاموا بتقديم حصتهم في مجموعة معارف (معلومات) هؤلاء الناس.

هناك من بينهم الفلاسفة، والشعراء والفنانون. لم يترك تجار قرطاج للأجيال القادمة الاذكرى جشعهم وسوء النية التي أصبح المثل يضرب بها.

وجود الإغريق والفينيقيين في ساحل أفريقيا، نتج عليه خرافات أطلس وحديقة "ايسبيريد"، والتي ربما كانت تحتوي دون شك معنى خفي، مثل جميع القصص الخيالية من هذا القبيل، وخاصة القصص القديمة من فتوحات هرقل في شمال أفريقيا. الرمزية البارعة، التي ترسمها لنا قوانين الصراع والمحجبة.

نحن لا نعرف الاسم الذي كان يستخدم من قبل القرطاجيين للدلالة على سكان أفريقيا. ولكنها تختلف قليلا عن المور، إذا يتعلق الأمر، كما يعتقد شنبي، بالكلمة العبرية "مهورين" أو الغربية. وقال سيلاكس بأن هؤلاء الناس كانوا يسمون "ماروزيان "من طرف الإغريق، والمور من قبل الرومان. هذا الاسم الأخير كان سائدا. كانوا يسمون أيضا النوميديين، وهو اسم مشتق بالطبع من عاداتهم البدوية. وهذا ما قاله سولين، على حد قوله. وبالتالي لن يكون هناك تمييز حقيقي بين المور والنوميديين. عندما استقر الرومان في أفريقيا، أطلقوا اسم نوميديا على واحدة من المحافظات الموجودة فيها، ولكن لا نستنتج من هذا أن الناس الذين يعيشون هناك كانوا مختلفين عن المور الآخرين، ليس ما نحتاجه لايجاد الفرق بين بواتيين (سكان بواتو) والفانديين . هذا التسمية الأخيرة، الشهيرة الآن، لم تكن الا نتيجة تقسيم إداري جديد لفرنسا.

تم تقسيم المور أو النوميديين الى أراضي صغيرة مستقلة والمعادية في كثير

من الأحيان. قادتهم، الذين دعاهم الرومان الملوك، كانت لديهم سلطة وحيدة ومحدودة للغاية، وهم يكيدون باستمرار للقرطاجيين ثم الرومان، للحصول على وسيلة لتدمير بعضهما البعض. هذا ما تقوم به القبائل العربية مع الفرنسيين، لكنهم لا يعرفون استغلال ذلك. الرومان، الأكثر مهارة، استخدموا النوميديين ضد القرطاجيين أولا، ثم جعلهم يتحاربون ضد بعضها البعض. في وقت الحرب البونيقية الثانية، كان أكثر القادة النوميديين قوة هما سيفاكس (صيفاقس) وماسينيسا. بعد تغيير عدة أطراف، تم تحديد، أن الأول من قرطاج، والثاني من روما. كان عاصمة سيفاكس هي سيغا (سيغ)، التي يمكن فيها رؤية أطلال في خليج حارش غون في محافظة وهران. كان ماسينيسا يحكم سيرتا، وهي قسنطينة الآن. استسلمت قرطاج وسيفاكس. ترك السل المهين في قرطاج ظلا للوجود السياسي، ولكن سيفاكس توفي، وأضيفت دوله لتلك الخاصة بماسينيسا، والتي زادت على حساب القرطاجيين. روما، التي تركتهم أحياء، ومع ذلك، تريد الاحتفاظ بها في الاختيار، وخلقت في أبوابهم قوة هائلة كانت السبب في وجوده.

بعد الحرب البونية الثالثة، التي أدت إلى التدمير الكامل لقرطاج، استقر الرومان أنفسهم في أفريقيا، وتم تأسيس المحافظة الأفريقية المعمول بها. ولذلك كان من السهل التنبؤ بالقتال الذي سيجمع ما بينهم وبين مملكة نوميديا، التي لم يعودوا بحاجة اليها. هذا ما حدث في عهد يوغرطة، الخليفة الثاني لماسينيسا. هذا الأمير بعدما دافع بشجاعة، وبالمهارة والمثابرة جدير

بالحصول على مصير أفضل، سحق من طرف العملاق الروماني، ومملكته في المقاطعة الرومانية حيث أعطي الجزء الغربي، لبوكوس وهو ملك آخر للمور، الذي كان قد خدم الرومان في حربهم ضد يوغرطة.

لم يكن تاريخ خلفاء بوكوس واضحا. نحن لم نسلط الضوء كثيرا على حدود وامتداد مملكته، ولكننا نعرف أن جوبا (يوبا)، الذي كان يملكها، كان إلى جانب بومبي في الحرب الأهلية التي مزقت روما، ومات في هذه الحرب، وأخذ ابنه إلى روما من قبل قيصر، منتصره المحظوظ. هذا الأمير الشاب، الذي كان يسمى أيضا جوبا، ميز نفسه في وقت لاحق بعلمه ونضج عقله. راق لأوغسطس وأعاد له مملكة والده. أسس اقامته في الجول والتي كانت تسمى الاقامة القيصرية، وذلك تقديرا لولي نعمته. شغل نفسه طوال فترة حكمه بالاهتمام ورعاية التجميل، وأنشأ مدينة رائعة. وهي تعرف الآن بشرشال، على الرغم من تراجع بهائه السابق.

وكان أوغسطس حرص على راحته، وترك القليل من الاهتمامات لجوبا غير البناء والمشاركة التسليات غير المؤذية في الأدب، لأنه كان قد تكدر مملكته من المستعمرات الرومانية المستقلة. والرئيسية كانت روستونيوم، التي نرى أطلالها (آثارها) في الجزائر الآن. سالوي والعروفة حاليا ببوجي (بجاية)، والجيجري المعروفة الآن باسم جيجري (جيجل)؛ بورتوس ماغنوس المعروفة الآن اسم المرسى الكبير (الذي يحمل نفس الاسم في اللغة العربية) كارتينا التي تسمى الآن تنس، وأرسناريا التي تعرف الآن بأرزيو وبانيزا أو فالنسيا، جوليا

كونستانتيا زيلي؛ بابا أو جوليا كومباستريس. هذه الثلاثة الأخيرة، كانت الى حد بعيد في نهاية الجانب الموريتاني من المحيط، بالقرب من البلطيق.

بعد وفاة جوبا، اعتلى بطليموس العرش، حيث ظهر للحظة واحدة. فقد حضر الى روما لتكريم الامبراطور الذي كان كاليجولا، هذا المجنون الهائج، الغيور من الترف المتشرف هناك، تعرض للقتل. كان هذه نهاية المملكة الموريتانية التي جعلها كلود خليفة، كاليجولا، بعد فترة وجيزة، على شكل محافظتين رومانيتين، وطانجيتان، التي كانت طنجة عاصمتها، والقيصرية التي كانت عاصمتها قيسارية.

مدد كلود وخلفائه نظام المستعمرات، و أثبت لقرون عدة حيازة حرة للبلاد. ونحن نعلم أن هذه المستعمرات كانت تتكون من الدول الصغيرة مثل روما، التي كانت بعد ذلك، بدلا للقناصل، واثنين من القضاة اللذين حلوا تسمية أكثر تواضعا "ديسومفير" ولمجلس الشيوخ مجلس البلدية. منذ اللحظة التي تأسست فيها المدينة في المستعمرة الرومانية أو البلدية، تمتع سكانها بحقوق المواطنين الرومان، بغض النظر عن المنشأ. وغالبا ما كانت هذه المستعمرات العسكرية جميعها تتكون من قدامى المحاربين، الذين وضعوا في هذه المناطق أين كان استخدام القوة من المرجح أن يكون ضروريا. لقد كررنا كثيرا، في الأونة الأخيرة، بأن الرومان لم يكونوا قادرين أبدا على قهر سكان الجبال، و"القبايل" الرهيبة، التي تبدو في الوقت الحاضر أنها لا تقهر في الواقع، وإنما هي واحد من تلك التأكيدات التي اصطدمت بالخفة أو الجهل، و لا يمكن دعم هذا الاختيار. هناك أنقاض للمعالم الأثرية الرومانية في الوديان النائية في الأطلس، يرى المرء في

قبيلة بني عباس من "القبايل" مثالا عن القبائل المستقلة اليوم؛ وأخيرا، الوجود بلا منازع ولا جدال لمدن سافا وسيتيفي (سطيف) جنوب بوجي (بجاية)، لا يظهر انه لا يوجد مكان لا يمكن الوصول إليه، عند اتباع السياسة الحكيمة والمثابرة. الأمر الذي يمكن أن يضلل بعض الناس غير المدركين جيدا لدراسة التاريخ هو ممر بروكوب، حيث يقال أن الرومان يمكنهم أن يذهبوا عن طريق البحر إلى قيصرية، وذلك لأن الطرق الأرضية تم اعتراضها باستمرار من قبل قبائل الجبال القريبة من المدينة. لكن بروكوبيوس (بروكوب) الذي يعني لدى الرومان يونان الإمبراطورية السفلى، قد استعادت أفريقيا من الوندال. في ذلك الوقت، كان ما يقرب جميع المستعمرات السابقة قد توقفت عن الوجود، والجبليون زادوا من حطام المخربين.

الى جانب ذلك، كان الرومان الحقيقيون من وقت الى أخر جاهزون لقمع بعض الثورات، وكانت واحدة من أفظع أثار ذلك في السنة الأولى من انظمام موريتانيا إلى الإمبراطورية، ادمون، المحررة من طرف المسكين بطليموس الذي مات على يد كاليغولا.

رأي آخر، لا يقل سخرية وتناقضا من ذلك الذي نتناقشه حوله، هو أن الرومان لو يأخذوا من نوميديا الا البهائم. كانت مدعومة من على هذا المقطع بليني: بعد وصف قصير لنوميديا، يقول الكاتب:

" Tusca fl uvius Numidioe fi nis; nec proeter marmoris numidici et ferarum proventum nihil aliud insigne"

وهذا هو القول يعني أن نهر "توسكا" هي من حدود نوميديا، وليس هناك

شيء آخر ملحوظ (يمكن قوله) إذا لم يكن هو وفرة الرخام والحيوانات البرية. هذا لا يثبت أبدا أن اقليم ليس من المرجح أن ينتج أي شيء. الى جانب ذلك، سيكون قصد المؤلف، بأنه لا يسمح لنا بإبرام شيء مسيء ضد وصاية الجزائر (منطقة الجزائر)، أولا، لأن البعض من أراضيها مدرجة في النوميديا، وثانيا، لأن السلطة من بليني، وهي محترمة كما هي، لا يمكن أن تقوي الحقائق التي تثبت أننا نسعى للفوز بخصوبة بلد الجزائر.

تحت القسطنطينية، الفترة الأخيرة من عظمة الرومان، تم تقسيم أفريقيا الى تسع محافظات، وهي : موريتانيا، طانجيتان، التي تمتد من المحيط الى نهر مالفا، "مالاوة" حاليا، ، والذي يصب في منطقة البحر الأبيض المتوسط، على بعد أميال قليلة غرب توت؛ القيصرية موريتانيا على الشرق مالفا، و موريتانيا سيتيفية شرق المنطقة السابقة، وتنفصل عننوميديا بنهر أمبساغا ، الذي يعرف حاليا بالواد الكبير، الذي يصب في البحر بين كولو وجيجري (جيجل)؛ نوميديا التي تمتد من نهر أمبساغا حتى توسكا ، والمعروف الآن بالزين ، الذي يفصل بين (ريجنس) مجلس وصاية أو منطقة الجزائر وتونس. زوجيتانيا أو افريقيا باسمها الصحيح تمتد من نهر توسكا وتمتد الى ضواحي أدرومات. مقاطعة بيزاسيوم، المتواجدة على شرق زوجيتانيا بين هذه الأخيرة سويفاتانا ومحافظة طرابلس، التي تحدها من الشرق سيرتا الكبيرة، لتأتي برقة ، ثم في الأخير مصر.

وكانت عواصم تلك المحافظات الثلاث هي موريتانيا، طنجة، وقيسارية وسيتيفي،بالنسبة لنوميديا، سيرتا بالنسبة الى ذوجيتانيا. قرطاج التي استعادها

القيصر، بأبراجها ضمن المستعمرة، بالنسبة الى بيزاسيوم أدرومتر، بالنسبة الى سابقاتنا لبدة (النبس) ؛ بالنسبة إلى برقة، القيروان ، وفي الأخير بالنسبة لمصر الإسكندرية.

ونحن نعلم أنه بعد قسطنطينية، كانت الإمبراطورية تقريبا مقسمة دائما إلى الإمبراطورية الشرقية، التي كانت في مقرها القسطنطينية، و الإمبراطورية الغربية، بما في ذلك روما التي واصلت كونها العاصمة. جاء هذا التمزق (الانقسام) ليستمر بعد وفاة ثيودوسيوس. كان ابناه (ولديه) هونوريوس وأركديوس يحكمان، أحدهما في الغرب والآخر في الشرق، وهذين الانفصالين العظيمين للإمبراطورية لم يعد يجمع بينهما ابدا. مصر وبرقة أصبحتا جزء من الإمبراطورية الشرقية. جميع المحافظات الأخرى في أفريقيا استمرت بالانتماء الى روما. ولكن قبل هذه الثورة، التي كانت سياسية أكثر من كونها إدارية قد أدت إلى ثورة أخلاقية، مثير للإعجاب من حيث المبدأ، وكانت نتائجها رائعة. أعني انتشار المسيحية، على ضوء نقي ومتوهج، والتي وضع الرجال على طريق التحرر الكامل. وقد شاركت أفريقيا مثل بقية الأجزاء أخرى من الإمبراطورية، لتغيير الاعتقاد التي ساد في ذلك الوقت، وأصبحت كنيستها شهيرة بسبب الرجال العظماء اللذين تمخضت عنهم. سأذكر من بينهم ترتليان قرطاج، لاكتونس الذي يدعى شيشرون المسيحي، وسانت قبرصي أسقف قرطاج، وفي الأخير القديس اللامع اوغسطينوس، الرجل الأكثر علما من وقته. كان هناك أكثر من 160 من الأساقفة (أسقف) في الموريتانيات الثلاثة فقط.

ومع ذلك، انحنت الإمبراطورية الرومانية لتسقط بعد ذلك. تحلت الشعوب

الشمالية عن جمودها، وهرعوا مثل السيل على جنوب أوروبا. تم غزو كل من بلاد الغال (فرنسا) اسبانيا وإيطاليا، ولم تمر فترة طويلة بعد ذلك على غزو أفريقيا كذلك. وصل الوندال من الدول الاسكندنافية إلى البلطيق في وثنيين أو ثلاث وثبات، أين خلدوا الى الراحة من تعبهم، طامعين في هذا البلد الغني، فرصة الدخول تبدو قريبة. بوفاة هونوريوس، جرد الإكليل الإمبراطوري من لمعانه القديم ، ليكسو جبين فالونتينيان الثالث (III)، الطفل الضعيف، الذي وضع تحت وصاية والدته بلاسيديا. هذه المرأة اقترفت بعض المظالم ضد بونيفاس، محافظ أفريقيا، والتي لم تجد وسيلة أخرى للانتقام منها الا أن يدعو الوندال الى محافظته. وكان هذا الأخير، بقيادة ملكهم جونسيريك، وفي غضون عشر سنوات كانت من المقهورين تماما. هلكت معظم المستعمرات الرومانية في هذا الصراع. جونسيريك الذي استقر في قرطاج كمقر لقوته ، بحيث كانت المدينة لا تزال عاصمة لدولة مستقلة.

استمرت هيمنة الوندال في أفريقيا 96 عاما، منذ 438 سنة في العصر المسيحي (ميلادي) حتى عام 534. هذه الفترة القصيرة كانت كافية لإزالة ما يقارب كل الحضارة الرومانية من هذا البلد الجميل. ولكن كان في ضغط برابرة (البربر) الشمال على العالم الروماني خطأ في المتابعة والحساب، والذي بعيد من الى آخر التميز لهذا الأخير. هذا وكان رد فعل ملحوظ بشكل خاص في عهد جوستنيان. انتزع هذا الإمبراطور إيطاليا من القوط الشرقيين، وأفريقيا من الوندال. وقد قام بهذه الفتوحات بيدي الشهير وبيليساريوس ، والذي قام في عام 434 بخلع جيميليي، آخر ملوك الوندال، ووضع أفريقيا وفقا لقوانين

أباطرة القسطنطينية. ثم بدأت أفريقيا تعيش العصر اليوناني الروماني، والذي يمتد حتى غزو العرب.

لم ترسخ قوة الأباطرة في الشرق جيدا في أفريقيا. لم يكن هناك وجود للمستعمرات الرومانية تقريبا لتقديم الدعم لها. استأنفت القبائل المغاربية (قبائل المور) عاداتها في الاستقلال، وانسحب الوندال إلى الجبال، حيث، اتحدوا مع الأهالي، وتحدوا جهود الحكام اليونانيين في قرطاج، وأنتج ذلك "القبايل" الحديثة بسبب التحالف مع القدماء. كان سليمان خليفة بيليساريوس، وقد فاز بعدد من المزايا أكثر عليهم، ولكن لم يستطع إخضاعهم. هؤلاء الجبليون الشجعان احتفظوا حتى اليوم بحريتهم و استقلالهم. ربما هذا هو ما قيل لبعض الناس، وقد سبق لنا أن قدمنا ملاحظة حول الموضوع، أن الرومان لم يكن لهم أينشاط عل "القبايل"، لم يكن هذا صحيحا الا في الفترة اليونانية الرومانية أي بالكاد منذ أكثر من قرن.

كانت مثل هذه الحالة أفريقيا عندما تعرضت للغزو في القرن السابع الميلادي من قبل العرب المسلمين (الفتوحات الاسلامية) كما سنرى في المقالة التالية.

.2

إستقرار العرب في أفريقيا.

بين البحر الأحمر والخليج الفارسي تمتد قارة واسعة، والصحارى الرملية هي الوحيدة التي تفصل أجزاء أخرى عن آسيا. انها السعودية (العربية)، المهد المشترك لكل هذه القبائل الحربية التي مددت فتوحاتها من الهند إلى المحيط الأطلسي: كانت مترفقة عن حضارة الشعوب القديمة، لم تتخذ هذه المنطقة أي جزء في مسيرة العقل البشري. الترف والثراء لدى الأشوريين والفرس لم يبهر سكانها، الذين يرفض العقل لديهم القوة، ولكن كانت كالدستور الاجتماعي المخضع للمصريين، أقرب جيرانهم. عندما قربت فتوحات الاسكندر الحضارة اليونانية الى السعودية، بدا وكأن السعودية كانت تتجنب الاتصال معها. وفي الأخير، كانت أضواء وأسلحة روما عاجزة أيضا عل مواجها.

كان العرب راضون بهذا الوجود البطريركي الحر والمبتهج، وهذا ما كان المرحلة الأولى للمجتمع البشري، ولكن يبدو ان العرب كانوا خائفين من الثمن الذي يجب دفعه لشراء حضارة أكثر تقدما. كان علينا القول أنهم وزنوا في ميزان ذكائهم الرائع مزايا وعيوب تغيير الدولة وقد قرروا البقاء

في حياة البساطة البدائية، واكتن ذلك بالحساب والاحتساب لما ينتظرهم أكثر من الفطرة. على الرغم من التردد في أول وهلة، في قبول العديد من ملايين الرجال، الذين تخلو عقولهم من المعارف المكتسبة، الا أنهم تمكنوا، عن طريق المنطق، من الاتفاق على نقطة حساسة، وهي فرضية مقبولة جدا تفسر كيف أن هذه المجموعة من الأفكار هيمنت بين العرب، وهو ما جعلنا نعتبرهم واحد من نسل جميع الأسر التي أرادت أن تهرب من نير الحكم الملكي، عندما بدأت أجزاء مختلفة من آسيا تخرج من الفترة البطريركية للدخول في عصر الحضارة. نفهم الآن كيف أن العرب تعلموا من تقاليد البيت، واضطروا الى التخلص من الحضارة التي تقدمها الطريق الحسابية المستخلصة من دروس آبائهم على شكل حالة يسيطر عليها الطغيان. هذا الافتراض لم يكن بدون سبب، فتاريخ العرب يجعل والدهم المشترك إبراهيم ، والذي غادر بلاد ما بين النهرين في الوقت تشكيل الإمبراطورية الأشورية الأولى، و بعد أن عاش لبعض الوقت في مصر، جاء في الأخير ليستقر في بلد حيث يمكن أن تبقى عادات الاستقلال الخاصة بالمجتمع البشري الأول. ولذلك يمكن ان نعتبر العرب القدماء كحافظين للحضارة الأسيوية ، التي استوعبت حصة مفرطة من الحرية بدائية لكي لا تواجه المتمردين.

مهما كانت الكراهية التي يحملها العرب لأي تنظيم اجتماعي، غير التي ورثوها عن أسلافهم، لم يكونوا يبالون تماما بفوائد العلم ولا سحر الفنون

الجميلة. الإمبراطورية سريعة الزوال من تدمر، والتي اقتربت من أبوابهم (أي العرب) للتوصل إلى تنمية فكرية عالية نسبيا في القرن الثالث من عصرنا، دون ان تكون مهددة كثيرا لاستقلالها، جعلهم يبادرون في بعض فروع العلوم، بتقديم دفع أكثر انتظاما في أذواقهم الفطرية للبلاغة والشعر. خيالهم المتحمس للحياة كان يشغلهم بعض الشيء عن التأمل، في هذه الأحلام الباطنية، حيث ينفصل الرجل عن الوجود المادي، ويتجول بفرحة وصخب في مسارات عالم الأفكار. ولكن في هذه الرحلات التجوالية فيها التي لم تكن بقيادة أضواء من الفلسفة العالية، ولا من قبل الوحي المقيد، وفقدوا آثار وحدة الله، و انخفض تدريجيا في الأخطاء الوثنية و في عبادة النجوم.

كما كان وضعهم عندما ظهر محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) بينهم. اعتقدوا أنهم وهبوا بعبقرية واسعة وعميقة هائلة القوة ان صح التعبير، و يتظاهروان بالايمان بالعناية الإلهية لجلب مواطنيهم إلى وحدة الإيمان و قانون البطريرك الأوائل. بعد ترك هذه المشاريع لتتضح طويلة في صمت التراجع، التقى في يوم من الأيام مع أصدقائه، وقال لهم عن مهمته الإلهية، وقدم الآيات الأولى[1] من القرآن الكريم. بالتأكيد، إذا كان أحد يتذكر كيف أن عدد قليل فقط من الرجال الذين كانوا يستطيعون تغيير وجه العالم من خلال نشر مبدأ الأخلاقية، عن طريق نشر بعض الحقيقة العظيمة

(1) الأولى في ترتيب نزولها، لأن التوفير المادي للقرآن الكريم يظهر في الفصل 96.

والسامية. وإذا كنت تنظر كم نحتاج من عبقري لفتح مسار جديد للإنسانية، لأنه المثابرة هي التي تحرك، والتفاني من أجل فتح السبل، فمن الصعب الا ننظر إلى هذه النخبة من الرجال، من النبلاء ذوي الإبداعات التي تعمل تحت تأثير الإلهام الإلهي الذي يرفعهم فوق الجميع، مثلما هو الحال أمام إنكار أن محمد (طل الله عليه وسلم) النبي الذي تكفل بالإعلان عن مهمته (رسالته).

هذا الرجل العظيم، على الرغم من اتهامه بالطموح الشخصي، لو يكن أبدا يرغب في السلطة المؤقتة. لم يكن يحاول التأثير على أصحابه ورفقائه الا لتنويرهم عن طريق الإقناع والمثال بفضائله. ولكن سرعان ما واجه الاضطهاد من أولئك الذين لهم مصلحة في الحفاظ على المعتقدات القديمة، فوجد نفسه في حاجة لأن يهلك العقيدة الوليدة أو يدافع عن عقيدته باستعمال الأسلحة. في بلد أكثر تقدما من السعودية، يمكن لمذهب فلسفي أو ديني التغلب على القوة المادية بتأثيره الأخلاقي فقط ، ولكن لم يكن الشيء نفسه في أرض محمد (صلى الله عليه وسلم). وسرعان ما توقف الايمان بنبي أنه لا يمكن ان يدافع بالأسلحة عن أتباعه اللذين هوجموا بالأسلحة. صد محمد (صلى الله عليه وسلم) القوة بالقوة، وأسس إمبراطورية ودينا (عقيدة) في نفس الوقت، وأصبح أميرا ورجل دولة، ورأينا أنه قام باستخدام الدين لأكثر من مرة لإنقاذ سياسته. القرآن الكريم، اللذي كان في الأول يعلن فقط عن الحقائق الأخلاقية، انحنى لمطالب الوقت (اللحظة)، والاحتياجات اليومية للإمبراطورية الصاعد، وأثار المشاعر في كثير من الأحيان بأن الأمير يريد أن يستعمله (يدرجه في لعبته أوحكمه) ، ولكن

الجزء الثاني، 2.

التي قد سعى إلى التخفيف من ذلك. ومن هنا جاءت العديد من التناقضات التي وجدت في هذا الكتاب، ومع ذلك، يمكننا استخلاص درس كامل من لنفي الأخلاق، التشريع المدني الذي سيكون من المرغوب فيه لجعل جميع الناس الحكماء يصل الى التسوية والرضى بما يكفي، وحتى بعض الأفكار الاقتصادية السياسية على أعلى مستوى.

كان محمد صلى الله عليه وسلم يحكم العرب بصفته الوحيدة كنبي والتي تضعه فوق رتبة الملك. لم يحمل خلفائه لقب الا لقب الخليفة أو المساعدين، للإشارة إلى أنهم كانوا أتباعا فقط في هذه السلطة العليا، وأن محمدا صلى اله عليه وسلم، من السماوات العليا، استمر في كونه الحاكم الحقيقي المؤمنين. وخلال سنوات قليلة كان العرب متحدين أخيرا كأمة، وقد فتحوا مصر وجزءا كبير من آسيا الغربية. كانوا يظهرون انسانيتهم وكرمهم في كل مكان اتجاه المهزومين، وخصوصا الديانات المراقبة لكلامهم. لقد بشروا بإيمانهم بحماس، ومنحوا ميزات تعود على أولئك الذين اعتنقوا هذا الدين، ولكنهم لم يضطهدوا أحدا. جميع الذين يعتنق هذا الدين تحت أعلام من الإسلاموية أصبح منذ تلك اللحظة، عضوا من أعضاء هذه الأمة العظيمة، ولم يكن هناك أي تمييز بينهم وبين والعرب القدماء. أولئك الذين فضلوا البقاء في اعتقادهم الأول، كان عليهم الدفع لاحتياجات الدولة. الجزية تساوي خمس الدخل، للحفاظ على قوانينها وممارسة دينهم بحرية. لا يدفع المسلمون الا العشر المنصوص عليه في القرآن الكريم.

تحت حكم عمر (كرم الله وجهه) خليفة محمد (صلى الله عليه وسلم) الثاني بن العامري، والذي ندعوه "عمرو"، كان واحدا من جنرالاته، وقام بفتح مصر، ليمتلك في الأخير شمال أفريقيا من قبل الأباطرة في الشرق. كان هذا الفتح قد انتهى، وأرسل العامري الى برقة فيلقا من الجيش، بقيادة عقبة التي قدم إلى الخليفة ذلك البلد الغني. حدث هذا سنة 640 من العصر المسيحي (ميلادي).

وخلفه في قيادته عقبة، وكانت القيادة لعبد الله، الذي وسع غزواته إلى محيط قرطاج، وانقض على آثار وبقايا المدينة الرومانية لغرض تأسيس القيروان، ولاحتواء "القبايل". الاضطرابات التي أعقبت وفاة الخليفة عثمان (بن عفان)، أخرت قليلا من تقدم الغزو (الفتح) أفريقيا من طرف العرب. تمت استعادة السلام عن طريق نقل الخلافة الى معاوية Moavia من طرف حسن ابن علي، وتم ارسال بعض التعزيزات إلى عبد الله، واكتملت بذلك مدينة القيروان. الحروب الأهلية قد بدأت من جديد، وقد أهملت أفريقيا. في الأخير، تحت حكم الخليفة عبد المالك شهدت الفتوحات انتعاشا، وأخذت قرطاج من باتريس جان، الذي وضعه الامبراطور ليونيس حاكما لها. ومع وفاة عبد الملك، اتخذ المور بعض الميزات على العرب. ولكن الخليفة الجديد، وليد ابن عبد الملك، أرسل موسى بن نزير الى أفريقيا، الذي قام بالفتح النهائي. هذا الرجل، كما سياسيا ذكيا أكثر من كونه محاربا لا يعرف الخوف، خصص كل اهتمامه ليجعل المهزوم بعد النصر، ينسى ذل الهزيمة. ويذكرون المور بأصل المشترك مع العرب، ونجحت في سنوات قليلة في وضعهم تحت راية الإسلام.

كان معظم هؤلاء المور من المسيحيين، كما هو الحال بالنسبة الى أحفاد المستعمرات الرومانية والايطالية، التي أنشأها الأباطرة في موريتانيا، ولكن منذ غزو الوندال، وكانت "الأرية" (أو الأريون) قد أحرزت تقدما كبيرا فيها بهذه الطائفة التي نعرفها. لاهوتية يسوع المسيح (عيسى عليه السلام)، والذي لم يكن يرى فيه الا نبيا، اقتربت كثيرا من الدين الاسلامي (دين محمد الذي تحدث بشكل صحيح، كنتيجة طبيعية للمسيحية، وذلك لأن محمد لم يقل انه سيأتي للتدمير، ولكن لتكملة عمل المسيح. جعل هذا الاندماج سهل من مهمة موسى؛ بحيث أن هذا الرجل العظيم، بعد انتصاره ماديا على المور، احرز انتصارا عليهم بالأخلاق المجيدة وهي الأهم بالنسبة له، والأكثر نفعا للعرب، وذلك بالعمل على الوضع في اعتقاد المهزوم تغييرا يضعف كراهيتهم للمنتصرين.

كان "القبايل" الأكثر صعوبة للإقناع. كثير منهم لا يزال في الظلام من الوثنية، ولكن موسى، مع مهارته المعتادة،عرف كيف يسير خرافاتهم وأحكامهم المسبقة. وشريطة أن يوافقوا على الاعتراف بمحمد كنبي لهم، ينبغي الحفاظ على بعض آثار معتقداتهم القديمة، الأمر الذي أتاح فرصة لتنقية إيمانهم مع مرور الوقت، أيضا بوجود هدف سياسي أكثر من كونه دينيا. قام "القبايل" من جانبهم بأحسن الصفقات من دينهم أكثر من استقلالهم، مع الاعتراف بسيادة الخلفاء الذي استقر لدى العرب في هذا الموقف الحر الذي يعتز بحفاظ على الكثيرين بثبات مثير للاعجاب. لم يرد موسى فرض أشياء أخرى لعدم

الانخراط في أي من هذه الحروب الخاصة بالأنصار والذي يكون اثما لصالح والى جانب المواطنين (الأهالي). وهنا أيضا ترك الأمر للوقت ، الذي قد يكون سببا في جلب الاندماج الكامل، لو كان كل خلفاء هذا الرجل الذكي يحتذون باعتداله وحكمته. لم يكن يخشى شيئا من "القبايل"، الذين كانوا على استعداد لترك جيرانهم في سلام، شريطة أن لا يأتوا لازعاجهم، ورأى فيهم مسيّرين (محكومين) أكثر من كونهم حلفاء يمكن الاستفادة منهم، وهذا في الواقع ما كان في غزو اسبانيا.

ونحن لن ندخل في تفاصيل هذا الغزو، التي خلال حكم موسى، لتشكل الحلقة الأكثر تألقا في تاريخ العرب. هؤلاء الناس كانوا يتميزون حقا بالسماحة، الى جانب الكرم والشجاعة، ودرايتهم بالعلوم العسكرية والمهارة السياسية. في أقل من ثلاث سنوات فقط تم الاستيلاء على شبه الجزيرة، ما عدا الجبال أستوري، حيث يجمع بيلاج حطام إمبراطورية القوط (القوتية)، وأين يجب الذهاب بعيدا الى حيث رد فعل إسبانيا المسيحية ضد اسبانيا المسلمة. في كل مكان الحصول حصل المسيحيون على تنازلات (امتيازات) أكثر فائدة، وخلال 800 سنة من احتلال العرب لاسبانيا، ليس هناك مثال واحد على أنهم قام بانتهاك (اغتصاب) هذا البلد.

بدأ تاريف مساعد موسى، الفتح الذي استمر فيه هذا الأخير. وكان هذا أول أول من فاز معركة خيريز الشهيرة ، حيث قتل رودريغ، القوطي الذي كان آخر ملك لاسبانيا. سليمان الخليفة، الذي حكم بعد ذلك، دفع لهذين القائدين الماهرين بجحود قاتم (نكران للجميل).

بعاهم الى دمشق، بحجة محاكمة أحد الفقراء الذي نشأت خلافات بينهما، وارسلهم الى المنفى بعد منعهم من العلاج المستحق، وقام حتى بقتل عبد العزيز، ابن موسى من قبل مبعوثين له، الذي تركه والده في إسبانيا وذهب للقيادة في حالة غيابه.

سيكون من غير الضروري وضع قائمة غير دقيقة تحت أعين القارئ تحمل خلفاء موسى بن نزير الأمر في أفريقيا، والتي كانت فيها اسبانيا لفترة طويلة مجرد فرع. هؤلاء الحكام استقروا بالقيروان. الأرض واسعة وجيلة مقسمة الى محافظات، وكل منها يرأسها والي، الذي كان القائد المدني والعسكري. تم تقسيم كل محافظة إلى "قيادات" ، يحمل قادتها اسم قايد كما هو الحال اليوم. كانت العدالة المدنية والجنائية من صلاحيات القضاة، والتي يضمن فيها الموقف المستقل الحقوق الفردية. كان لقبائل العرب، المور، أو "القبايل" شيوخا من اختيارهم، ومنابر حقيقية مستعدة دائما لمعارضة تعديات السلطة المركزية. كل هذا كان يشكل المجموعة الإدارية والتي كان شكلها أكثر استبدادا من خلفياتها (عمقها)، وعلى عكس ما مكان في الحكومة الإقطاعية التي تأسست في أوروبا خلال هذه الفترة، فقد كانت معاناة هذا الشعب قليلة بالمقارنة.

استمرت الإمبراطورية العظمى للخلفاء في استقامتها، حتى سقوط العائلة الأموية. أظهر العباسيون،الذين خلفوهم،عدم الرحمة اتجاه الأسرة المالكة التي سقطت. وقد ذبح تقريبا جميع أفراد هذه العائلة اللامعة والمسكينة.

وكان واحد منهم، يدعى عبد الرحمان، وهو طفل صغير مثير للاهتمام بجماله وبنعمة شبابه، وقد كان ضحية لغضب أعدائه، وقد أخذ الى أفريقيا، عن طريق خادم وفي، وسلم لقبيلة قوية تدعى قبيلة زينات. تبناه هؤلاء الرجال الشجعان وأحاطوه بأكبر قدر من الحيطة والرعاية، مع اخفاء أصله اللامع. كان هذا الشاب الأموي يتميز بأكثر الصفات روعة، بنجاحه في مجال العلم والأدب، وقوته الجسدية. وما يلاحظ فيه خاصة هو نضجه في الحكم وقوة العقل المتفوقة على عمره.

وفي نفس الفترة تقريبا كان العرب في إسبانيا فريسة للفوضى التي لا يرثى لها. بعد الوفاة المأساوية لعبد العزيز بن موسى، الذي تحدثنا عنه سابقا، تعاقب (تتالى) حكام المقاطعة الواحد تلوى الآخر بسرعة لا تصدق.فقد كان الخلفاء، الذين كانوا يخشون طموحهم، يغيرونهم في كل لحظة، ولا يعطيهم الوقت الكافي للتعرف على حكومتهم. فمن السهل أن نتصور مساوئ هذا الحذر المبالغ فيه. وقد كانت حملة (رحلة) العرب الشهيرة الى فرنسا خلال فترة حكم أحد هؤلاءالحكام الزائلين. الجميع يعرف هذه الواقعة (الحدث)، وانتصار شارل مارتل. بعد سقوط الأمويين، و عدم ثبات الادارة التي تغير معظم الخلفاء، فأصبحت سلطتهم غير معروفة عموما في اسبانيا، ولكن طموح القادة العسكريين الذين قاتلوا باليد المسلحة وظائف الحاكم، لم يكونوا أقوياء بما فيه الكفاية للحفاظ على هذا المنصب الخطير.

جاءت كل المساوئ لتطغى على اسبانيا المسلمة: جعلت الحرب الأهلية الريف و المدن قفارا، والزراعة كانت تعاني والتجارة دمرت، والناس الذين ماتوا من الجوع، أنتقلوا الى ممارسة عادات اللصوصية. أصبح بيلاجيو أستورياس أقوى كل يوم، ومن بالداخل تلك بدأوا بالانفعال. وفي الأخير، يبدو أن القوة العربية أصبحت على وشك الانهيار. لكن على الرغم من هذا العدد الكبير من الأسباب للانحلال، كان هناك في الأمة قوة حيوية كان عليها حقيق انتصار لهؤلاء المسافرين المحرجين. جميع القبائل الرئيسية، وجميع العلماء ورجال القانون التقوا في قرطبة، ويجب التقرير في هذه الجمعية الأغسطسية، التخلص في المشهد السياسي من كل من كان يظهرون فيها، واستثمار السلطة العليا لرجل غريب تماما عن النزاعات المؤسفة التي كانت على وشك خسارة الدولة. تمت الموافقة على ذلك، وبدأ الشيخ بالحديث، وعرض الشاب الذي ربته قبيلة زينات الذي يعرف أصله وصفاته الجليلة. ناشد قضيته ببلاغة مما أدى الى الحصول على جميع الأصوات. ووفقا لذلك تم ارسال وفد سرا الى أفريقيا لتقديم التاج الاسباني الرائع لهذا الشاب الأموي. هذا الأخير، وبعد استشارته لبعض الوقت، اتخذت المشورة من أولئك الذين ربوه في طفولته، وقال للنواب، انه كان فخورا بهذا الاختيارالذي وقع عليه، وأنه لديه القوة لتحمل عبء الملكية، وأنه سيحكم بموجب القانون. ولكنه وافق على التاج، بهدف أن يطاع حتى من قبل أولئك الذين وضعوه على جبينهه، والذي قد يبدو صعبا

قليلا بالنسبة الى جيل تربى في ترخيص الحروب الأهلية. رد النواب أنه هذا جيد كما فهمته الأمة أيضا، بما أن ذلك يهدف لوضع حد لهذا الترخيص الذي وضع العيون عليه. الأمير الذي لم يوجد لديه أي اعتراض على ذلك، وأشاد وحيا اسم الخليفة وذهب مع النواب. قام الزينات بتوديعه توديعا حارا، ولم يكن هذا الفراق دون خال من الدموع لفراقه أعز الأصدقاء. ليس هناك ما هو أكثر تأثيرا من الخطاب الذي وضعه المؤرخون العرب، في هذه المناسبة، في فم الموقر رئيس هذه القبيلة. وكان الخليفة الجديد، قد وصل الى اسبانيا وأحيط به حشد من الناس، الحريصين على البقاء تحت قوانينه السارية. الطموحات التي وصل بها أخلطت بعض الحسابات، فيما يخص محاولات معارضة ترقيته دون جدوى. لكنه انتصر عليهم، ونجح في وقت قصير في استعادة النظام في مملكته. وبهذا حصل على اللقب المجيد المنزور (المنصور). كان عبد الرحمن المنصور واحدا من الرجال العظماء الذين شرفوا الإنسانية. وقد حكم لتوفير الرخاء والعدالة في دوله، وعامل جميع رعاياه مع باللطف نفسه، بغض النظر عن الدين أو العرق. شهدت الزراعة و التجارة في حكمه توسعا مذهلا. كما تم نشر الفنون والعلوم بنجاح. وكان هو نفسه عالما من الدرجة الأولى، في تلك الفترة، وكاتبا مميزا جدا ، وأسس مقر امبراطوريته بقرطبة، حيث بنى هناك المسجد الجميل الذي لا يزال موجودا، وهذا ما ينال إعجاب المسافرين. بينما حكم عبد الرحمان بكل مجد في إسبانيا، اهتزت أفريقيا من عبودية الخلفاء في الشرق.

بعد سقوط الأمويين، حمل "القبايل" السلاح، هزموا، بما لا يخلو من صعوبة، وذلك على يد حنظلة، محافظ البلاد. اضطر هذا الأخير قريبا لكي لا يقوم بتقسيم القوات العربية، لترك حكومته لعبد الرحمان ابن أبيب، واحدة من جنرالاته، الذين ثاروا ضده. كان هذا الكرم في غير محله ، لأن عبد الرحمان أعلن نفسه مستقلا عن الخلفاء الراشدين في سنة 750. تم اغتياله، وبوفاته أراد كل الرؤساء أن تكون لهم دولة مستقلة. استغل الخليفة، المنصور جعفر من هذه الفوضى. بعث الى أفريقيا أحد جنرالاته، واسمه يبريد. حكم يبريد أفريقيا حتى وفاته. وقد خلفه ابنه داوود، الذي عين حاكما لمصر. ولكن في 800، أعلم محافظ أفريقيا، إبراهيم بن أجلب عن استقلاله مرة أخرى.

كان إبراهيم رئيس السلالة التي سادت في القيروان حتى 912، واستولت على مالطة، صقلية وجنوب إيطاليا، حيث دمرت سلطته من طرف النورمان. وتراجعت سلطته في أفريقيا تحت ضربات رئيس التمردين، الملقب أبو محمد عيدلة ، الذي قال إنه ينحدر من سلالة فاطمة، ابنة النبي صل الله عليه وسلم، على الرغم من أن العديد من المؤرخين يجادلون ذلك ويقولون عنه أنه لم يكن سوى مغامر يهودي. أيا كان أصله، فقد كانت ثروته معجزة: أخذ كل الحكومة السابقة في أفريقيا، وجعل مملكة فاس خاضعة لها.

وقد تم التخلي عن أسس هذه المملكة في 787، من طرف ادريس بن عبد الله، أحد أحفاد علي نسيب النبي صل الله عليه وسلم. وقد هرب الى آسيا للتهرب من اضطهاد العباسيين، واستقبل من طرف قبيلة مغاربية

(مور) العروبة. الذي بنى ابنها ادريس بن ادريس، مدينة فاس. بدأ خليفته السابع، يحيى، بدفع جزية لعبيدة، ولكن سرعان ما خلع من طرف أحد أتباعه الذي قال أنه لا يريد أن يعترف بأمير متدهور. ودعا أنصاره لمساعدته عرب اسبانيا، الذين كان يحكمهم عبد الرحمان III ، وهو أحد أحفاد وخلفاء منصور الكبير. أعاد خليفة قرطبة الادريسيين، ولكن كخدم فقط. ثار آخر الادريسيين ضد اسبانيا، في 985، واخذ ونفذ فيه حكم الاعدام من قبل قوات المنصور، رئيس وزراء الخليفة هشام، الأمير الضعيف والعاجز، الذي حكم المنصور باسمه. اجتمعت مملكة في إمبراطورية قرطبة.

ومع ذلك، أصبحت أسرة عيدلة أكثر قوة. في 972، انتقل المعز، حفيد هذا السعيد الغاصب الى مصر، حيث أسس مقر إمبراطوريته. كان هو رئيس سلالة الخلفاء الفاطميين، والذي توفي في 1200 تحت ضربات صلاح الدين الشهير. عندماغادر المعز الى مصر التي كانت تعيش البربرية (الفوضى)، ليحكم باسمه، لم يتوان يوسف بن زيري مناد، رئيس أسرة زيريت، ليعلن نفسه مستقلة، و حكم في أفريقيا حتى 1148.

في اسبانيا، في عهد هشام، أو بالأحرى في عهد وزيره المنصور ، كان آخر موسم لقوة وسلطة الخلافة في قرطبة. وبعد وفاته، التي كانت في السنوات الأخيرة من القرن العاشر، تمزقت الدولة بفعل الحروب الأهلية، وأعلن جميع الأولياء (جمع والي) أنفسهم مستقلين. وبالتالي، ومن هنا أصل كل هذه الممالك الصغيرة المسلمة التي استقرت على أنقاض الخلافة. استغل ملك قشتالة

ألفونسو السادس القسامات ر التي سادت بين العرب لتمديد قوته. هؤلاء الذين يئسوا من مقاومته، توسلوا الإغاثة من جوزول (يوسف) بن تشفين، الذي كان قد أسس الإمبراطورية المغربية، و هذا هو أصلها.

غودالة ولانتونة وهما قبيلتين من الصحراء، واللتان تنحدران من قبيلة زاناكرا. كانت هذه القبائل تعيش في الفقر والجهل، عندما قام رجل من غودالة واسمه يحيى بن إبراهيم بالحج إلى مكة، وعاد مع الرغبة في رؤية أقرانه يشاركون في حركة الحضارة العربية. وفي طريق العودة، عرج بضعة أيام الى القيروان، حيث تعرف على عالم يدعى أبو عمرام، وأراده ان يأتي معه إلى الصحراء، لتمدين أبناء البرية. لم يوافق عمرام، ولا أي من تلاميذه على القيام بهذه الرحلة، لكن عمرام أعطى ليحيى رسالة توصية لعالم آخر من مدينة سوز (سوسة) وهو أبو إسحاق، الذي كان أقرب إلى الصحراء، وربما قرر الذهاب. لم يرد إسحاق التعهد على نفسه هذه المهمة الصعبة، ولكنه ذهب مع يحيى أحد أكثر تلاميذه شهرة، واسمه عبد الله بن ياسيم. كان هذا الأخير ذكيا وطموحا والذي استغل الحماس الذي تولد في قبيلة غودالة، لوضع أسس إمبراطورية جديدة.

بدأ بإخضاع شعب لانتونة، و بعد هزيمتهم، و بذلك ظهر مرتدون متحمسون أكثر من هؤلاء الموجودين في غودالة. وبعد ذلك تقدم الى "القبايل" الموجودين في البلاد بصعوبة كبيرة. وهنا أعطى صفة المرابط المحترمة لهؤلاء الناس، وبهذا نشأ مجتمع المرابطين. لم يكن عبد الله يرغب

في أن يضع نفسه لقب الأمير، وأعطاه لزكرياء شيخ قبيلة لانتونة. أما بالنسبة له، فقد اكتفى بالهيمنة التي تضمن الدين والمعرفة. قتل زكريا في المعركة، وخلفه شقيقه بكير بن عمر. بعد بعض الوقت، توفي عبد الله بسبب سكتة دماغية وأخذ بكير لقب زعيم المرابطين، الذي انتقلت سلطته الى الأطلس، وضع أسس المغرب. ثم نشبت الحرب بين تلك لانتونة وغودالة العالية اللتان بقيتا في الصحراء، وذهب لاسترضائهما، وترك الحكم لابن عمه يوسف بن تشفين، على البلد المحتل. كان طموحا للغاية، وكان يعمل لنفسه، وعندما عاد بكير رأى بأن حكمه قد انتهى. استقال لمصيره، وأعلن عن ابن عمه سعيد كأمير، وانسحب الى الصحراء، بالهدايا الرائعة التي قدمها له يوسف للتخفيف من ندمه.

أخضع يوسف بن تشفين، جميع أنحاء أفريقيا من المحيط إلى تونس، جعل سلطةزيريت تتراجع الى الحضيض. ودعي إسبانيا، كما قلنا ليهزم المسيحيين، وأخضع جميع أمراء العرب الصغار، وبالتالي استعاد وحدة القيادة للمسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية. توفي عن عمر يناهز مائة سنة، بعد عهد طويل ومجيد والذي لم ينطق فيها بأي حكم بالاعدام. لم تحظ عائلته بمثل هذه السلسلة من الازدهار لفترة طويلة. يعهد تحت حكم ابنه علي، ظهر الشهير محمد بن عبد الله، مؤسس قوة الموحدين.

كان مصلحا يحب الاعتداءات السياسية والدينية. تعرض للاحتقار في البداية، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يخاف منه الجميع. أجبر على الابتعاد عن المغرب، واللجوء الى تنهال، في جبال الأطلس وأثار "القبائل". ثم أخذ لقب محي الدين أو مدبر الدين، الذي أسس به الموحدون، وفقا لعادتنا التي تفسد كل الأسماء العربية.

مدد محي الدين غزواته في جميع أنحاء البلاد، وخلفه عبد المؤمن، الذي كان التلميذ الحبيب. وهذا ما جلب الضربات الأخيرة لسلطة المرابطين. هزم تماما بالقرب من ترمسان (تلمسان)، وتشفين ابن وخليفة علي، كان يبحث عن ملجأ في وهران. أراد الأمير أن يذهب إلى إسبانيا، حيث مازالت سلطته، ولكن عند عودته من السفر في الليل، الى وهران في المرسى الكبير، عبر مسار خطير، كان حصانه خائفا من صوت الأمواج، وهرع من أعلى صخرة، فوقع وهلك[1].

بعد هزيمة وموت تشفين، انتشر عبد مومن مثل السيل على البربر ووضع النهاية سنة 1148 لإمبراطورية زيريت التي فقدت جزء كبيرا من ممتلكاتها، والتي كانت سائدة في القيروان. كما ضبط كل من اسبانيا المسلمة، بحيث امتدت إمبراطوريته من برقة حتى التاجة (طنجة). إن إنتصار الموحدين هو في الحقيقة إنتصار "القبائل" على العرب. أظهر هذان الفائزان الجدد وزنا أقل سخاء من الذين سبقوهم، وعبوديتهم طغت بوقاحة على اسبانيا. ومن ذلك الوقت انتشر

(1) هذا المسار هو سيئ دائما، لكن بني في هذه الفترة طريق جميل جدا في وهران في المرسى الكبير.

هذا الظل من الشراسة التي نلاحظها في سياسة الحكومة البربرية. بينما قدم عبد المؤمن بعضا من الأشكال التي نسميها الأشكال الدستورية،و لا يمكن العثور على عبارة غيرها. كان مجلس الشيوخ مستقلا تقريبا، وتعامل مع جميع المسائل التي لها فائدة مباشرة للأمة. كان لعبد المؤمن خلف، في امبراطوريته الشاسعة، وهو ابنه يوسف، ثم حفيده يعقوب. هذا الأخير فاز على المسيحيين في إسبانيا في المعركة الشهيرة المسماة معركة الأرك، ولكن ابنه محمود، الذي خلفه، خسر معركة لاس نافاس في تولوسا. ذهب يخبأ هذا العار في حرمه في المغرب، حيث لم يكن يخرج أبدا. كان ابنه يوسف طفلا صغيرا لكنه ظهر على العرش، و خلال فترة حكمه، تحطمت الإمبراطورية مرة أخرى. هز العرب نير (عبودية) الموحدين في كل مكان تقريبا، والذين لم يبقوا بعد ذلك الا في المغرب، التي أخذت منهم عام 1370 من قبل عائلة من بني ميرين.

في إسبانيا، استولى المسيحيون على قرطبة وإشبيلية، وأضعفوا من قوة العرب في هذه المنطقة حيث مملكة غرناطة الوحيدة، والتي، مع ذلك، انتشر بريقها لقرنين من الزمان مع تألق لطيف وجميل، حتى مات، كما يعلم الجميع، تحت الجهود المشتركة بين فرديناند وإيزابيلا.

في أفريقيا، أدى سقوط الموحدين إلى تشكيل العديد من الدول، التي تمثلت أساسا في تلمسان أو ترمسان، تونس، وطرابلس.

كانت مملكة تلمسان تتألف تقريبا من كل ما يشكل مجلس وصاية (منطقة) الجزائر. أسرة بن زيان، التي لا يزال بعض أفرادها في البلاد،

حكمت من 1248 حتى 1560. ويقال عن هذه الأسرة الفاطميون. كان أوائل الأمراء على مملكة تونس بنو حفص. وتحت حكم هذه السلالة وقعت الرحلة المؤسفة لسانت لويس.

نحن نرى أن هذه الفترة هي فترة سقوط الموحدين ما يشير الى تاريخ الدول البربرية الحديثة. بالإضافة إلى البلدان الثلاثة التي ذكرناها للتو، يتحدث التاريخ عن العديد من الأمراء الصغار الذين حكموا بشكل مستقل في الجزائر العاصمة وتنس وبجاية وتوقرت. هذه الأخيرة احتفظت باستقلالها حتى اليوم.

حكم بنو ميرين في المغرب حتى 1471. قام أمراء هذا العرق (السلالة) بالعديد من الحملات الى اسبانيا،ولكن في الكثير من الأحيان كانوا غير راضين عن ذلك، فالنجاحات القليلة التي وصلوا اليها عملت فقط على تأخير سقوط السلطة في هذا البلد المسلم لبضع سنوات. قتل عبد الله، آخر ملوك أسرة بني ميرين. اندلعت الحروب الأهلية في جميع أنحاء المملكة، والتي تم تقسيمها وفقا لتقدير الطموحات الفردية. الشيخ مولاي، الذين ينتمي إلى أصغر فرع بني ميرين حكم في فاس، لكن المغرب وسوسة وشغولماس، شكلت الدول المستقلة. ومع ذلك، تم طرد المسلمين من اسبانيا، وبدأت المسيحية تضع ثقلها على أفريقيا. استولى الإسبان على سبتة ومليلية، وهران، جزيرة الجزائر العاصمة وبجاية. استولى البرتغاليون من جهتهم على ساحل إمبراطورية المغرب بأكملها،

قامت بتحالفات مع أقوى قبائل المناطق الداخلية، وكاد ينتهي بهم الأمر بالهيمنة على كل البلد، لو أن رجالا ماكرين أدرجوا تعصب الشعب في لعبتهم لاستغلاله لصالحهم الخاص. هؤلاء الرجال الثلاثة كانوا أبناء محمد بن أحمد، عبد الكبير، أحمد ومحمد من أسرة شريف، والدهم، هو رجل ذو نظرة واسعة وروح مثابرة، وقد قرر، منذ الطفولة وضع مؤسسين لسلالة جديدة، وجميع أعماله كانت تميل نحو تحقيق هذا الهدف. وثروة هذه الأسرة يضرب بها المثل في امكانية إعطاء ما نستطيع من أجل إرادة حازمة وقوية.

بدأ محمد بتربية أبنائه، وبعثهم بعد ذلك إلى الحج في مكة، ثم عادوا مع سمعة كبيرة من القداسة، والذي استقطب التبجيل من المؤمنين، ولكن ليس لكي تثار الشكوك حول السلطة، أرادوا البقاء بعيدين عن السياسة الخارجية وعدم الاهتمام الا بالعلم والأعمال المتعلقة بذلك. تم تعيين الابن الأكبر، بفضل تصرفاته الحذرة ، مديرا لمدارس فاس، ليهتم بعد فترة وجيزة، بتعليم أطفال الملك. عائلة شريف، التي يمكنها الوصول إلى الحكم، اقترحت على هذا الأمير الذهاب للصيد. حرب الجهاد ضد البرتغاليين في أجزاء من الإمبراطورية التي لا تخضع لسلطانه، جعله يراجع تنفيذ هذا المشروع، كوسيلة لإزالة المسيحيين في دولته، و جمع تحت صولجانه جميع المحافظات التي تم فصلها، في الوقت ذاته أعطى العاهل الذي تبتسم له هذه الخطة، الإذن الذي طلبوه. بدأوا من الريف، وسرعان ما أثارت

بلاقتهم ضد البرتغاليين كامل الشعوب، الذين ساروا بصوتهم المحترم ضد أعداء الإسلام. فتم صد البرتغاليين في مواقعهم البحرية وانتزعت منهم بعض هذه المواقع. كانت أسرة شريف غير راضية على النجاح ضد المسيحيين، وجذبوا اليهم كل سلطة مقسمة بين العديد من الأمراء الصغار، منهم أمير والدهم محمد، دون النظر في مصالح ملك فاس، الذي كانوا ملزمين على العمل معه. توفي الأمير الجديد، الذي كان طاعنا في السن الى جانب ابنه الأكبر الذي قتل في معركة. أما الاثنين الآخرين، وبعد التخلص من ملك المغرب، اقتسما السلطة، وكان أحمد قد عين كملك للمغرب، أما محمد فكان ملك سوسة ، ولكن هذا الأخير، وبعد عدة سنوات من الحرب الأهلية، جرد شقيقه وصادر كل سلطته، على الرغم من روابط العرفان التي من شأنها أن توحد العائلة المالكة بفاس. لم يمض وقت طويل على إعلانه الحرب عليه. بعد القليل من تقلبات الحظ والثروة، مرت مملكة فاس، مع بقية البلاد تحت حكم محمد الذي ترك بعد موته الحكم لابنه عبدالله على الإمبراطورية مع الكثير من المهارة والمكر والجرائم.

كان خليفة هذا الأخير محمد آخر، وقد تعرض لمطاردة وحشية منرعاياه. هرب الى البرتغال، تاركا شقيقه مولاي عبد المالك خلفا له. أظهر ملك البرتغال سيباستيان الرغبة في استغلال هذه الفرصة لاستعادة ما فقده البرتغاليون في المغرب، حيث نزل إلى إفريقيا مع محمد، لكنه هلك مع من كان بجنبه في معركة ألكسار. عبد الملك الذي كان مريضا أيضا توفي خلال

العمل. أما شقيقه أحمد فقد نجح سلميا عليه وحكم حتى 1603، وبعد وفاته استأنفت الحرب الأهلية. ضبط قبائلي يدعى كروم الحاج السلطة السيادية في المغرب، ولكن جميع الأجزاء الأخرى من الامبراطورية أعلنت استقلالها. حتى كان هناك يهوديا يحكم في بعض قبائل التلال. جاء شريف من السعودية للبقاء في تافيلت. كان ابنه مولاي الرشيد رجلا شرسا، ولكنه ذكي، وسيطر على البلاد بعد سنوات من الحرب، وأصبح رب الأسرة الحاكمة الحالية، وتوفي في 1672.

خسر البرتغاليون كل ما لديهم على التوالي من مستوطنات على ساحل المغرب. أما الانجليز الذين احتلوا طنجة لبعض الوقت، تركوا هذا المكان في عام 1634، بعد الاشمئزاز من تكاليف الاحتلال. كان البرلمان من تسبب في هذا الاجراء. احتفظت إسبانيا بسبتة، مليلة وغيرها من النقاط الأقل أهمية.

لقد تحدثنا في الجزء الأول من هذا المجلد، عن كيفية استقرار الأتراك في الجزائر العاصمة، تحت حكم بربروسا الأول. واستولى هؤلاء القراصنة بجرأتهم على تونس بعد ذلك، تحت حكم حميدة بن عبوس، الذي حكم شرعيا، ثم سار ضد تلمسان تحت ستار إنقاذ الملك الشاب أبو حمو، الذي تم خلعه من طرف أحد أعمامه. ولكن بعد ان اجتياح البلاد، كان مستعدا لإبقائها له، بدلا من جعل أبو حمو حاكما عليها، كما وعد. انسحب هذا الأخير الى وهران، مع الماركيز دي غوماريز، الذي كان حاكم هذه المدينة، الذي اهتم بقضيته، واعتبارها وسيلة لتوسيع تأثير الاسبان في البلاد.

الإسبان الذين كانوا متحدين مع العرب من جنب أبو حمو، حوصروا ومكثوا في قلاع (كالاء)، حيث وضع الأتراك حامية، ومن ثم جاؤوا للاستشهار في تلمسان حيث كان باربا روسا. دافع هذا الأخير خلال فترة طويلة في مشوار[1] ولكن الطعام كان ناقصا، وفي الليل خرج من باب خلفي مع هؤلاء الأتراك في محاولة لاستعادة العاصمة. أدرك الاسبان هروبه، وبدأوا في متابعته، وألقوا القبض عليه في معبر نهر، وقتلوه. وضع الماركيز دي غوماريز على عرش تلمسان الشاب أبو حمو، الذي أصبح تابعا لأسبانيا.

بعد وفاة عروج بربروسا، أصبح أخاه خير الدين زعيما على الأتراك. وقد منحه الباب العالي العثماني لقب باشا، وقد أرسلت إليه تعزيزات. أخذ شارل كينت تونس منه، وحل محله الأمير المشروع. عين خير الدين باشا بعد ذلك قائدا لبحرية الامبراطورية التركية وغادر الجزائر العاصمة، حيث عوض بحسن آغا. وتحت حكم هذا الأخير كانت، في عام 1541، الحملة القاتلة لشارل كينت، الذي دفع غاليا، في هذا الظرف ثمن نجاحاته في تونس. وبعد وقوع هذه الكارثة مباشرة، انتقل حسن آغا الى تلمسان لتدمير التأثير الإسباني في هذه المملكة وأجبر الملك الحاكم على أن يدفع له جزية.

كان حسن آغا خلفا لحسن بربروسا، ابن خير الدين. مملكة تلمسان، التي اقتربت من سقوطها، تمزقت بفعل صراعات أمراء العائلة المالكة، الذين كانوا يتنافسون من أجل التاج، بالضغط على الجزائر العاصمة، أو

(1) معروفة أيضا بقلعة ترمسان.

على الإسبان أوهران، أوعل ملك فاس، الذي دخلت قواته إلى البلد، واجههم حسن في معركة، وتغلب عليهم بالقرب من مستغانم. ضمن هذا الفوز تاج تلمسان للأمير الذي تحميه الجزائر.

كان لحسن أعداء في القسطنطينية، وتم استبداله في 1552 بصلاح ريس، رجل ماهر ومغامر، وقد أخذ بجاية من الإسبان، وكان يستعد لهجوم وهران، عندما توفي من الطاعون.

بعد وفاته، أصبح زعيم الميليشيا التركية مرتدا كورسيكيا اسمه حسن. ولكن البوابة العثمانية أطلقت عليه لقب باشا، وكان تيكلي مرتدا آخر من سردينيا، والذي دخل الجزائر، وجعل منافسه يواجه الموت. مات هو الآخر بعد أن قتل بعد وقت قصير، وقامت البوابة العثمانية باستبداله بحسن بربروسا في الجزائر العاصمة. في الفترة الثانية من إدارته، ضم حسن الى مجلس وصاية الجزائر العاصمة مدينة تلمسان و ما بقي من المملكة بهذا الاسم. كما هزم أيضا الكونت ألكوديت محافظ وهران، الذي سعى إلى السيطرة على مستغانم. تحت حكم الباشاوات خلفاء حسن ، واصل الجزائريون كونهم قوة هائلة ضد القوى المسيحية ، وما يلفت الأنظار هو أن معظم هؤلاء الباشوات كانوا أنفسهم مسيحيين مرتدين. حسن البندقية، واحد منهم، وقد توغل إلى ساحل إسبانيا وإيطاليا، وعاد مع أكثر من 4000 أسير وكم هائل من الغنائم. وزادت قوة الجزائر في عام 1600، مع وصول البربر[1]، الذين طردوا من اسبانيا بواسطة فيليب الثالث، حيث

---

(1) كان يطلق عليهم أيضا اسم نسل الموريسكيين من إسبانيا (مور... أجبرهم الاضطهاد القسري على إعتناق المسيحية، على الأقل في المظ...

جلبوا ببربرية صناعتهم وكراهيتهم للمسيحيين. للأسف لم تستفد الحكومة التركية، التي كانت عسكرية أكثر من كونها إدارية، من هذه العناصر للعمل على ازدهار القطاعات الصناعية والزراعية. فلم ترغب أن تكون مدينة إلا للحرب.

في 1601، حاول أسطول إسباني الهجوم على الجزائر، ولكن سوء الأحوال الجوية اضطره للإبتعاد. لم يكن الإنجليز أكثر سعادة في 1620. في 1627، أرسلت القوات التركية مجموعة انتداب للسيد الكبير للشكوى عن التجاوزات التي قام بها الباشوات الذين فرضتهم البوابة العثمانية على الجزائر، وطلبوا الإذن للتعيين بأنفسهم رئيس مجلس الوصاية،والالتزام بدفع الجزية للإمبراطورية، و مواصلة الاعتراف بالسيادة. بما أن الجزائر تكلف البوابة العثمانية كثيرا، وافق الرئيس الكبير على هذا الترتيب، شريطة بقاء وجود باشا في الجزائر العاصمة، يقوم هو بتعيينه شخصيا، والذي تقتصر وظائفه على معارضة الأفعال التي يبدو أنها تتعارض مع مصالح الباب العالي .

اتخذ الرئيس الجديد لمجلس الوصاية (ريجونس) لقب داي، ربما كان كانت هناك خلفية لهذا اللقب.

تواجد هذا النوع من الحكومة حتى 1710 تحت حكم الداي بابا علي، الذي طارد بطريقة مخزية ممثل البوابة العثمانية، ووضع لنفسه لقب الباشا. كان بابا علي قويا بما فيه الكفاية لا يخاف مما يترتب على

هذا النهج. كان يعرف كيف يجد أصدقاء في القسطنطينية (اسطنبول) لتحييد الإمبراطور عن معاقبة هذا التغيير في حكومة الجزائر، والتي وجدت منظمة كما ورد في الجزء الأول من هذا الكتاب.

3.

أخلاق العرب.

الأفكار السائدة في شعب ما والتي تتجسد في أعماله الخارجية أو السياسية أو الاجتماعية، هي ما يشكل عاداته. من أجل دراسة جيدة لعادات الشعب، يجب تحليل أعماله التي تقدم الملاحظات الأولى، والذهاب مرة أخرى إلى الأفكار التي تصاغ وتنحدر عن طريق هذه الأفكار، واستعراض أعمال التحليل الأكثر صعوبة. بعد ذلك يجب أن تصنف ملاحظاتها بترتيب الأفكار، بطريقة تجعلنا قادرين على الاستنباط مما يقوم به الناس في مثل هذه الظروف، في بلد آخر.

وينبغي تجنب المزالق في العديد من دراسات الأخلاق والعادات. وأولها هو ما يأتي لأفشال المراقبين الأجانب للدراسات الفلسفية. ويتمثل في التصرف الخاطئ للعقل، وهو ما يقودنا إلى المبالغة في الاختلافات الأخلاقية بين أجناس مختلفة من البشر. القلق أو الانشغال بفكرة ينبغي أن تبدو ملاحظها وكأنه يرى شيئا ما رآه في مكان آخر، والملاحظ الذي يشارك في هذه المشهد الخطأ، يتوجه في الكثير من الأحيان إلى الجزء السفلي من العواقب الغامرة على بعض الاختلاف في الشكل وعلى استعداد لكل الأفكار الغريبة لشعب وحول المواضيع التي يكون فيها على اتفاق دائم مع بقية البشر.

ملاحظون آخرون، الذي يمكن أن يطلق عليهم اسم المجهريين، ينظرون فقط إلى الاختلافات الخارجية ومعظمهم غير ميال بالحياة. بعد قضاء عدة سنوات وسط الناس، يتجاهلون كامل المسار العام لأفكاره، وعلى أي أساس حقيقي تقوم التحيزات، وبأي الوسائل العقلانية يمكننا محاربتها. ولكن من ناحية أخرى، هم يعرفون بالضبط ما الوضع الذي يبدأون به هذه الواجبات ، وما الترتيب الذي يغلقه في المرحاض، ما هي الركبة التي يضعها على الأرض في صلاته، و الوقائع الأخرى التافهة. هؤلاء المراقبون المجهريون عموما لديهم رأي عالي عن أنفسهم، وعلاقاتهم، والتي هي في متناول الذكاءات تكون في معظمها مبتذلة، لتعرض من وقت لآخر بعضا من الفضول، وليس من النادر بالنسبة لهم القيام بمشاركة العقول الكسولة والسطحية.

وفي الأخير هناك المراقبون الذين، بخفة الروح، يستنبطون دائما من الخاص إلى العام، ما يشبه هذا الانجليزي الذي يمر الى فونتينبلو، ليكتب على الألواح أن جميع النساء في هذه البلدة حمر الشعر ومشاكسات، لأنه شهد إحداهن تتشاجر مع زوجها.

وفي ما سنقوله عن العرب من مجلس وصاية (منطقة) الجزائر، سنحاول قدر الإمكان، تجنب هذه المزالق.

نرى عادة أن سمة المنظمة الأخلاقية للعرب ذات ارتباط لاعقلاني، ولكنه مطلق، للعادات القديمة. وكما قلنا، فهم على ما كانوا عليه في زمن

إبراهيم، وليس هناك ما يشير إلى أن المستقبل يمكن أن يجلب أي تغيير في طريقة عيشهم هذا التأكيد هو افتراض خاطئ، لأن العرب إذا لم يتمكنوا من تحسين وضعهم، فلن يترددوا للقيام بذلك. في اسبانيا، حيث وجدوا طرقا لغرس الأراضي الخصبة، تحت حماية قوانين عادلة وحكومة منظمة، تركوا عاداتهم كبدو، يثبتون على الأرض ويستقرون بواسطة السكنات ومصالح دائمة. كان نفس الشيء في أفريقيا عندما تسمح لهم الظروف. رغم أنهم كانوا يفضلون دائما البقاء في رحلات إلى المدن، والعديد من المدن الكبيرة نشأت تحت سيطرتهم، أو أعيد ترميمها بواسطتهم. اختلطت العديد من العائلات العربية هناك، كما قلنا، بالمغاربة (المور) الذين كانوا من أبرز السكان، ولكن عندما أصبحت الحكومة مستبدة، خصوصا عندما توقفت عن كونها وطنية، فعادوا إلى خيامهم، لأنهم يتميزون بالكثير من الكرامة ويفضلون الاستقلال عن الرفاه المادي.

حب العرب حياة الحقول وهو الشيء المشترك مع جميع الشعوب الغيورة على حريتها. في جميع البلدان التي يهيمن عليها هذا الشعور تطغى السكنات فيها في الأرياف. أعطي سويسرا على سبيل المثال، وبالتأكيد لا أحد يلصق للأطفال النبلاء في هذا البلد الشبهات بالوقوف وراء الحضارة. كل إنسان في الريف يتمتع بكل ما يملأ حياته، وخاصة امتلاك المنزل المستقل والذي هو الأثمن. الواجبات الدينية، التي تعتبر واحدة من الأسباب التي تجلب الرجال المراكز

السكانية، ليست مزعجة في هذا الصدد بالنسبة للمسلمين فالقرآن يلزمهم بالحضور الى المساجد بقدر ما ما يتواجدون في أحياء منازلهم.

وعادة ما تكون هذه المنازل عبارة عن خيام العرب، ولكن مع ذلك تحوي عدة نقاط، وذلك أساسا في ولاية الجزائر العاصمة، من المنازل الحجرية أو الأكواخ الطينية، العديد من البيوت تريد أكواخ مزارعينا. وبالتجول في البلاد، غالبا ما نجد مجموعة واسعة الأنقاض للمباني جيلة، والتي كانت مراكز الاستغلال الفلاحي الثري الذي دمرته الحروب، أو أخطاء الإدارة التي يرثى لها. كما ترى الجثث الحزينة لتلك المدن التي انطفأت على التوالي عندما كان صولجان الحكم لإسماعيل.

وقد ساهم وصولنا، إلى إفريقيا، إلى حد كبير في إخلاء المدن التي لا زالت موجودة في ذلك الوقت. في محافظة وهران، التي كانت تملك عدد كبيرا منها، وقد تمرد العرب ضد الأتراك الذين كانوا هناك، ودخلت الحرب والفوضى مع القسوة والدمار. في معسكر، حيث تم طرد الأتراك وذبحهم ودمرت الكثير من المباني، بما في ذلك قصر البايات السابق، الذي كان جميلا جدا.

منذ إدارة عبد القادر، الذي يحكم في هذه الفترة، بدأ بإصلاح الخسائر. ولكن في تلمسان حيث الأتراك والكرغل

مازالوا يحتلون(المشور)، لا تزال الحرب مستمرة وجعلت الكثير من الناس يهربون. أرزيو، التي أبلغنا عن سكانها وتخليها منهم لغضب أعدائنا المشتركين، دمرت بالكامل. أما مستغانم وضواحيها الجميلة، التي احتلها القا يد إبراهيم والأتراك باستثناء، فقد ضحي بها بسبب احتياجات الدفاع، كما تم هدم العديد من المنازل الريفية التي تغطي البلاد على بعد أكثر من 2 كيلومتر بشكل كلي تقريبا.

في مقاطعة الجزائر العاصمة، الدمار المرتكب من طرف قواتنا، وأتباعنا المستوطنين، حتى على أبواب العاصمة ، وهو معروف لدى الجميع، ونحن لن نعود إلى هذا الموضوع المؤلم. بالكاد تعافت البليدة من الزلزال الرهيب الذي أسقط جزء منها في عام 1826، وما تبقى منها، كما قلنا، تكفل به الجيش الفرنسي في عام 1830.

في بيلك قسنطينة، أجبرت وحشية أحمد باي الكثير من الناس على مغادرة مقر المنطقة.

ولكن ذهبوا إلى تضخيم عدد سكان زامورا أو توقرت. وفي الأخير، وجودنا في بجاية بعيدا قد أبعد الكثير من السكان الأصليين.

الرجال الذين يتمسكون بالأرض بأقل الروابط المسكنة هم

(1) عدد الأسر المهاجرة من المدن في المناطق الداخلية يقدر تقريبا، 10000 أسرة

بالتأكيد أولئك الذين يقدمون أقل ما يمكن للطغيان. أيضا، هل حبهم المهيمن من أجل الاستقلال الذي يدفع العرب لهذا الوجود الذي كان لدى آبائهم، ولكن يتخلون عنه متى أمكنهم أن يتوقعوا العثور على نوع آخر من الحياة بنفس الجرعة من الحرية. لم يوضع هذا النوع من الانعكاس على الحرية السياسية، كما نفهمه في أوروبا، ولكن هذه الحرية الاجتماعية في جميع الأوقات، والتي تجعل الإنسان بعيدا عن الاتصال في كثير من الأحيان بالقوانين والقواعد المزعجة في السياسة المفتعلة. هذه هي الحرية التي ذهب العربي للبحث عنها تحت خيمته، ولكن يبدو أنها أخف بكثير، اذا تمكن من إيجادها في منازل جيدة حيث لا يعيش مع الخوف من انتهاكات الحكومة الجشعة أو هجمات العدو القوي.

لا يمكن أن ننكر، لا بواسطة التاريخ ولا بفعل الأحداث التي ميزت ذلك الوقت، بحجة أن الذوق الحصري لحياة البدو الرحل أقل من السلبيات التي يواجهها، أن العرب يتمسكون بقوة بهذا النوع من الحياة. أحيانا أيضا هو نتيجة لطبيعة وظائفهم. وبالتالي القبائل المكرسة خصيصا لرعاية القطعان هم بدو حسب التخصص الذي تفرضه صناعتهم. ولكن هذا ليس غريبا على العرب، لأننا نجد هؤلاء البدو في العديد من البلدان في أوروبا، وخاصة في اسبانيا، وحتى فرنسا.

وعلاوة على ذلك، في منطقة الجزائر العاصمة، فيجب أن نصل إلى مناطق أبعد من سلاسل الأطلس للبحث عن البدو الحقيقيين الذين يتجولون من اختيارهم في المساحات الواسعة للبلد. في وديان جبال

الأطلس، وخاصة في السهول على حافة البحر، للقبائل أراضي متميزة وتغيير مساكنهم لا يمكن تحديده إلا ضمن حدود مشددة، بوجود بعض خطر الوشيك، وفي هذه الحالة تهاجر بعيدا إلى مأمن في جميع أنحاء الأرض التي توجد فيها المياه.

في سهل متيجة، الذي يهمنا أكثر على وجه التحديد، هناك قرى جميلة ثابتة تدعى "جمعة"، وهي تحوي بعض المنازل المبنية من الحجر، أخرى تسمى "قربي"، وهي أكواخ الطين التي تحدثنا في وقت سابق. تسمى "الحوش" التجمعات السكانية الموجودة أسفل "جمعة"، وعادة ما تكون موقعا جيدا، تحيط به الحدائق والأشجار الجميلة مما يجعل الإقامة فيها طيبة للغاية. بين القرى والحوش أو المزارع، والتي تذكرنا طريقة وضعها أو بنائها في كثير من الأحيان بالتجوع التي لدينا في أوروبا ، ونجد هنا وهناك مجموعة من الخيام القليلة تنبه الأفكار إلى تحيزنا الأوروبي الذي شكلنا ه عن أفريقيا بشكل عام. مجموعة الخيام تشكل "دوار" ، ولكن لا يمكن للمسافر في مقاطعة الجزائر العاصمة أن يأخذ فكرة عنها، وينبغي أن ينظر بالضبط هذا النوع من المخيمات في السهول العظمى من محافظة وهران في قسنطينة الجنوبية، وخاصة في الصحراء التي لم يخترقها أي من الفرنسيين حتى الآن. يتشكل "الدوار" من الخيام المصنوعة من جلد الجمل البني أو الأسود، ومرتبة بشكل دائري وذلك لترك فراغ

كبير في الوسط، حيث تحبس القطعان في الليل، وذلك خوفا من اللصوص أو الحيوانات المفترسة. الخيول مقيدة إلى سلاسل وحبال ممتدة من كل خيمة. أما الأسلحة وصهوات الحصان دائما جاهزة بحيث يمكن في وقت يقل عن خمس دقائق أن يكون كل الدوار على ظهور الخيل. في حالة الإنذار، وفي حين يحمل المحاربون السلاح، يتم طي الخيام والحقائب وتحميلها على ظهور الجمال والبغال بواسطة النساء والأطفال و الشيوخ، لا شيء يتفوق على سرعة ا لقبيلة التي تعمل بأكملها بنظام هربا من الخطر.

في زمن السلم، كانت الحياة الداخلية للعرب أكثر ثباتا في قراهم بالمقارنة بالدواوير، التي تختلف قليلا عن تلك الموجودة في أريافنا، ما لم يكن ذلك أقل انشغالا، لأنهم لا يطلبون الكثير من الأرض. هناك دراسة خاصة بموضوع الإختلاف بيننا وبين العرب، ندرك من خلالها أن هذه الاختلافات تتعلق بالأشياء ذات الأهمية الضئيلة وعلى التفاصيل المنزلية وعلى بعض العادات من الجسم، وخاصة الزي الذي يعرفه الجميع الآن، ولهذا السبب فمن غير الضروري الوصف.

العرب عموما لطفاء مع زوجاتهم، وأطفالهم، وكرماء مع موظفيهم وخدمهم، ومهذبون جدا مع بعضهم البعض. يجتمعون بدقة في جميع واجبات الحياة الاجتماعية، والتي تجعل تجارتهم ممتعة.

وصفاتهم المشتركة لافتة للنظر من حيث اختيار وحساسية التعبير في علاقات المداراة، بغض النظر عن الغرابة التي من شأنها أن تظهر لديهم الكثير الفضول[1].

وضع المرأة هو أبعد من أن يكون تعيسا جدا بين العرب، وحتى بين المغاربة، كما يسود الإعتقاد في أوروبا. قوانين وأعراف البلد منحتهن حقوقا مستقلة عن نزوات أزوجهن، والتي يستخدمنها على نطاق واسع. وعندما يأخذ النزاع بين الزوجين الطابع الخطير إلى حد ما تقوم المرأة بالتهديد بالتدخل القضائي، الذي يكون دائما لصالحها. أيضا. لدى البربر، كما هو الحال في فرنسا، الجنس اللطيف هو الذي يحكم عموما في الأسرة. نادرا ما يتم تقاسم هذا الصولجان أو الحكم بين الزوجات، لأن بعض الأزواج فقط مثل قادة حجوط من يستغلون حق تعدد الزوجات. فمعظمهم يكتفون بامرأة واحدة، و في كثير من الأحيان يخدمونها كثيرا كما هو الحال في بلدان أوروبا.

القوانين تجعل العلاقات الزوجية سهلة للكشف. ولكن بما أنه

(1) مع انتشار السلم في منطقة حجوط في ماي 1834، جاء قايد من هذه القبيلة إلى الجزائر، حيث لم يظهر منذ مدة طويلة، وكان في استقباله بامتياز الجنرال فوارول الذي استدعاه الى العشاء. لا يبدو أنه مستغرب لهذا العالم الجديد الذي نقل اليه لأول مرة، وشهد على الدور الذي ينبغي أن يتقمصه عندما تتم خدمته، يمد ذراعه لسيدة المنزل. خلال العشاء، يسأله الجنرال عن عدد نسائه، ويقول بأن لديه ثلاثة نساء، ولكنه سيكون محظوظا كثيرا بالعثور على واحدة مثل زوجة الجنرال فوارول. تدل هذه المجاملة بالتأكيد على حساسية عالية من المشاعر.

لا يمكنك إرسال امرأة دون أن تفعل لها بعض المزايا المالية فالرفض يكون نادرا. الطلاق عن طريق التراضي المتبادل، موجود بكثرة: ليس نادرا أن تلتقي امرأة مرت على حضن زوجين اثنين أو ثلاثة أزواج. يمكن أيضا أن تتسبب المرأة في الطلاق، وذلك من أجل حقائق يبدو أنها غير عادية[1]. ليست المدن فقط التي نجد فيها أن المرأة تخضع وتلتزم رغما عنها بالظهور بالحجاب. في الريف هذه الصرامة غير موجودة، أو على الأقل نادرا ما توجد، وخاصة إذا تحرك أحدهم بعيدا عن العاصمة مهما كان ما ينص عليه القرآن، الا أن العرب في إسبانيا كانوا متحررين ، لأننا رأينا في إشبيلية نساء يدرسن محاضرات عامة في الآداب الجميلة والعلوم. يبدو أن هذا التسامح من الأندلسيين تجاه عرب أفريقيا، الذين يخبئون نساءهم في الريف قليلا، على الرغم من أنهم غيورون جدا. كما يبالغون عموما في آثار هذه الغيرة، أدى الى نتائج مأساوية في بعض الأحيان، ولكن ليس كما يحدث عندنا. وعلاوة على ذلك، فان الأزواج الأفارقة معرضون كغيرهم الى كوارث الزواج. تحتوي الدواوير العديد من المؤامرات الغرامية كما في البلدان والقرى في أوروبا. دون الذهاب الى المزيد من التفاصيل حول هذا

(1) في عام 1834، تلقى القاضي طلب الانفصال من امرأة اشتكت من أن تنظيم زوجها يجعل تقديم الواجبات الزوجية مؤلمة جدا، و بعد تأكد القاضي الرحيم من الشكل العملاق و الضخم الذي كان يميز الزوج لا يتلاءم مع الطبيعة الضعيفة والحساسة لمرأة في الرابعة عشرة فقط من العمر، فاعلن الطلاق.

الموضوع الذي ربما توقفت عنده بالفعل لوقت طويل. يمكن القول باختصار، في هذا الحال أو في كل شيء آخر، أن جميع الرجال لديهم نفس الرغبات، ويجدون دائما نفس الوسائل تقريبا لإشباعها.

لا يفتقر العرب من الحساسية أو الحشمة في حبهم. غالبا ما يستحون مثل الشابات اللواتي يجتمعن في محادثات شائعة جدا بيننا، على الرغم من هذا الحجاب من التواضع والإحسان، فهم غير غريبين عن الخلافات الذميمة التي تستحق الشجب، ولكن الأمثلة نادرة.

امرأة، ظل، ماء جاري، و شيء من التبغ و القهوة كلوازم، يلخصون جميع أفكار الملذات الحسية للعرب. هم غير مبالين جدا للشيء آخر، لذلك هم عموما يتميزون بالرزانة وقلة قلقهم أو اهتمامهم بوسائل الراحة والليونة.

على الرغم من أن العرب لديهم احتياجات قليلة، إلا أنهم جشعون فيما يتعلق بالمال ويحبون الكثير من الكنوز. هذا مرتبط بحياتهم التائهة وتنظيمهم السياسي، والثروة النقدية هي أسهل ما ينقل ويخفى حسب الحاجة. ليس هناك دائما حسن النية في المعاملات التجارية، خصوصا مع الأوروبيين: هم يخافون دائما من عدم وضع شروط جيدة في صفقاتهم معهم، بحيث عندما يرون أننا وافقنا دون اعتراض على الثمن الذي يطلبونه، فإنهم يتراجعون، ويقولون أنهم كانوا على خطأ، ويطلبون أكثر من ذلك. ومع ذلك، فإن أرباحهم أقل بكثير من تلك التي يجنيها التجار الأوروبيون الذين استقروا

بالجزائر العاصمة. الحقيقة تجبرني على القول أن في هذه المدينة، الجشع التجاري يرتبط ارتباطا مباشرا بالحضارة.

على الرغم من توجيه اللوم عن طمعهم، يقوم العرب مجانا ويكرم بواجبات الضيافة،وقد ورثوا هذه الفضيلة عن الأجداد. أي أجنبي يأتي المنزل كصديق يلقى الاستقبال الحسن دون النظر إلى العرق أو الدين. وقد شهد العديد من الضباط في الكثير من الأحيان آثار كرم الضيافة التي وجدوا فيها والكثير من الحرص والاهتمام والحنان، سواء كانوا بين العرب بصفة رسمية وذكريات بعض الخدمات المقدمة، أو عندما يأتون كمسافرين من بلاد بعيدة حيث كانوا غير معروفين تماما. كرم الضيافة وحده، ونحن نعترف بأن هذا يكفي، أن يقدمها العرب مجانا. إذا احتاج المرء إلى دليل، أو تحميل أو أي شيء آخر، عليه الدفع كما في كل مكان، وبمبالغ كبيرة أيضا. ويمكن أن تقع في الكثير من الأحيان في أيدي ناس جشعين الذين يتلاعبون بالسعر المتفق عليه، ويجدون ألف طريقة ليأخذوا منك الهدايا الصغيرة. عند التعامل مع الأوروبيون، لا يضبطون النفس كثيرا، ويفترضون أنهم مخيطين بالذهب.

الاختلافات في الرتب شائعة جدا لدى العرب. أصل المولود يعطي الحق لاحترام أكثر، فالرجل من منشأ أو مولد نبيل هو من يضم بين

أسلافه سلسلة طويلة من المحاربين أو المرابطين. انه النبل المزدوج السيف والملاذ، الذي تتصوره العديد من الشعوب التي تحمل الأسلحة دائما في متناول اليد، والتي تبقى مبادؤها الدينية دائمة الإخضرار. هناك عدد قليل جدا من تجار المهنة، والشيء المثير للاهتمام، هو استخدامهم مثلا لمصطلح البقال أو تاجر الفلفل، لوصف الرجل الذي لا تتجاوز عاداته، وأذواقه وأفكاره الأعداد غير المبالغ فيها . يشكل المحاربون والمرابطون في كل قبيلة القوى العظمى هذا هو التعبير المكرس لهم. هؤلاء العظماء مثل عظماء كل البلدان مستعدون تماما للاستفادة من موقعهم، والشعب، مثل جميع الشعوب، يقدم تذمرا أكثر أو أقل لاحتياجاتهم ومتطلباتهم. علاوة على ذلك، فالنبل متاح لجميع أولئك الذين قد يكون لهم خيل وسلاح مع الشجاعة لاستخدامها بامتياز[1].

المرابطين هم من الرجال الذين يكرسون حياتهم تماما لله، ويتميزون بالفضائل والأعمال الصالحة. هم خارج التسلسل الهرمي الكهنوتي : هم قديسون يعيشون بعد أن وضعوا بالرأي بين الرجال والملائكة، وعلاوة على ذلك، على الرغم من أنه من الصعب القول من يكونون بالضبط، فإنه سيكون من الأصعب القول ما ليسوا عليه؛ لأنه عندما يتم تأسيس

(1) هناك من بين سكان حجوط فردين أو ثلاثة أفراد ممن كانوا مجرد فلاحين قبل وصولنا الى افريقيا، و قد أصبحوا الآن من أكثر الشخصيات تأثيرا على القبيلة.

سمعتهم جيدا، يمارسون على المؤمنين إمبراطورية مطلقة. أي سلطة تضاءل أمامهم و، الشيء الملحوظ، استخدامهم الجيد لهذه القوة أو السلطة العظمى. صحيح أنه إذا أرادوا أن استخدامها في الأغراض الدنيوية، فإن هيبة القداسة الموجودة فيهم تختفي على الفور، أو على الأقل تضعف، و لا نرى فيهم إلا رجالا سياسيين يمكن مهاجمتهم بالوسائل العادية.

ميزة ولقب المرابط لا تمحى، وتنقل أبا عن جد، ولكن التأثير الديني المرفق به، يجب أن يكون شراؤه لكل جيل من نفس الفضائل ونفس التقوى، والتي بدونها يختفي، ولا يبقى من ذلك أكثر من لقب. المرابطون الحقيقيون هم رجال يتميزون بدرجة عالية من التعليم في اللاهوت والقانون، وحتى التاريخ. أصدقاء للسلام، ومتعصبون قليلا ومستعدون دائما لعقد الوئام بين القبائل، فهم بالتأكيد يستحقون البحث في هذا العالم الآخر، وهو الهدف من كل رغباتهم، ومكافأة على ما يقومون به[1].

يموت المرابطون برائحة من القدسية، ويدفنون في موكب عظيم. تقف على قبورهم المصليات الصغيرة، وأحيانا مساجد، حيث يذهب المؤمنون إلى الحج.

اختفت الفنون والعلوم من العرب. لا يمكننا العثور على أثر للتعليم

(1) أكثر المرابطين شهرة في ولاية الجزائر العاصمة، هو سيدي محمد مبارك، رجل مسن و جليل، معروف خاصة لدى بعض ضباط من الجيش، تعاملاته معنا بالاحترام والثقة المستوحى من فضليته.

العالي - إلا لدى المرابطين من الصف الأول ورجال القوانين. قاضي البليدة القديم، الذي هو الآن قاضي الجزائر، لديه بعض المعارف في العلوم الأساسية. أنا سمعته وهو يشرح العديد من الظواهر السماوية، ورأيت انه يفهم جيدا طرق الرصد الفلكية، على الرغم من انه كان غير قادر على تطبيقها. كما أن لديه بعض المعارف الفسيولوجية، وعناصر من فلسفة أرسطو. يتكون القاضي في مدرسة فاس أين كان طالبا، وأخذ هذه الصيغة من االعلوم. يتأسف كثيرا على مكتبته التي فقدها، في حقبة البليدة عام 1830: كان هذه في الواقع خسارة لا يمكن تداركها، لأن الكتب كانت في مجلس الوصاية.
نادرة جدا لدى العرب في مجلس الوصاية.

كان التعليم الأساسي على الأقل مشتركا بينهم من بيننا، كما كانت هناك مدارس القراءة والكتابة في معظم القرى والدواوير. العرب بشكل عام مرجحون جدا للعمل بالعقل يعملون بنجاح اذا أتيحت لهم حياة مهنية. هم يقدرون العلم ويتصفون الأوروبيين في هذا الصدد. يقولون أن المسيحيين يعرفون عادة كل شيء، ما عدا طريق الخلاص. هم يشكلون فئة كبيرة من الأطباء: جميع الأفراد في هذه المهنة على يقين من الترحيب بها في أفريقيا.

ولن أكرر هنا أن ما نجده في جميع أنحاء العالم من نجاحات العرب في مجال العلوم و الأدب كان في فترة التألق. لأن الجميع يعرف أنهم جلبوا أكثر من حجرة لهذا المبنى المهيب من المعارف الإنسانية، التي تنمو

كل يوم. لكن سلسلة من الثورات القاتلة والمتواصلة، هذا ما جرهم إلى الظلام، ولكن حتى لو شهد ذكاؤهم السبات إلا أنني لا أعتقد أن الشعلة قد انطفأت، وسيتبين ذلك في علاقاتهم السياسية، حيث يعرفون بقوة كبيرة من التفكير، المراسلات العربية المحفوظة في أرشيف الحكومة، تقدم أدلة وافرة.

أينما لا تتم السيطرة على القبائل مباشرة بواسطة حكومة مركزية قوية، فغالبا ما تكون في حرب مع بعضها البعض من أجل مواضيع خفيفة جدا، لكن داخل القبائل، وأعمال العنف الفردية نادرة. نادرا ما يتدفق الدم تحت حديد القاتل في هذا البلد الذي يعتقد الكثير من الناس أنه مسكون بالكائنات الشرسة. خلال 1834 لم يتم احتساب الا جريمتي قتل ارتكبها العرب في حق عرب آخرين، في "أوطان" (مقاطعات) كراشنة وبني موسى وبني خليل والسبت. كانت هناك جريمة قتل أيضا في حق أوروبيين خارج خطوطنا، ولكن تم القبض على الجناة من قبل العرب أنفسهم وتسليمهم إلى المحكمة الفرنسية. وكانت السرقات أكثر عددا، ولكن في الحقيقة من المستغرب ألا ترتكب جرائم أكثر في بلد ساحة القانون فيه تعادل الصفر تقريبا منذ أن حكمناه، أو بالأحرى الذي كان من المفترض أن نحكمه.

الطريقة التي يحاربنا بها العرب، اكتسبتهم سمعة كبيرة عن القسوة. ونحن نعلم أنهم لم يكونوا سجناء، فقط بعض الاستثناءات، هم يذبحون من يقع

بين أيديهم، حتى الجرحى. كانوا يبدون بنفس المظهر مثل ما كانوا في الأيام الأولى من وصولنا الى أفريقيا. لكنهم كانوا يطيعون أوامر الداي بدقة، الذي خصص مكافآت نقدية تتعلق بتنفيذ هذه الأحكام الدموية، ومع ذلك أشك أن هناك جيشا أوروبيا أو نظاما من هذا القبيل لا يطيع مثل هذه الأوامر، إذا دخلوا في سياسة الجنرال لمنحهم مثل مكافآت مثل تلك التي كان الداي يقدمها للأفارقة. عندما اتخذت الحرب طابع القسوة، احتفظت بها حتى بعد سقوط حسين لأن الدم ينادي الدم .يجب أن أقول أيضا، أننا بعيدون كل البعد عن إعطاء العرب دروسا في الإنسانية. مجازر البليدة معروفة لدى القارئ؛ وسيرى في المجلد الثاني من هذا العمل أن مجزرة القبيلة البائسة "أوفيا"، والأعمال الذميمة الأخرى. وفي الأخير، هناك شيء قطيع يجب أن نقوله، هناك مثالان على أكل لحوم البشر كانا خلال حروبنا مع العرب، ولكن العرب هم الذين أصبحوا مذنبين، وهي إدانة محزنة ومؤسفة. لنكن مقتنعين تماما بأن الفظائع الناجمة عن الحرب ذات أعقاب ليست غريبة عن أي جنس، و في كثير من الأحيان في هذه الساحة الدموية، ومعظم الناس المتحضرة تصبح أعنف.

عندما تثار المشاعر بالكراهية من مهيمن خارجي أو أجنبي بسبب الأفكار الدينية أو الآراء السياسية يصبح قتل العدو حاجة ويبدو واجبا، حتى بالنسبة للرجال المعتدلين واللطفاء حتى في الأوقات العادية. في فرنسا، حتى بعض العمال المستقيمين، الذين يكون سلوكهم دائما خال من العيوب، لم يوعزهم

ضميرهم، في عام 1814 و1815، لانتظار الاطلاع على بروسي أو روسي ، على ذبح أرنب وما زال الافتخار بهذا العمل وكأنه يستحق الجدارة للغاية. في جميع البلدان في أوروبا، حيث حملنا أسلحتنا في فترة الجمهورية والامبراطورية، حدثت اغتيالات في حق جنودنا الذين كانوا أكثر عددا من هؤلاء في أفريقيا، أين كانت هذه الأحداث المأساوية نادرة جدا. القسوة تولد الكراهية، ولم يثبت ضد ذلك في الأخلاق الخاصة للشعوب، لأنها للأسف بقع مشتركة بين البشرية جمعاء. الوقت قد حان، ربما، لتختفي هذه الكراهية والقسوة من الوجود.

لا يستطيع المرء أن ينكر أن المسلمين يحبون الابتعاد عن المسيحيين. بل هي الوقاية التي لا يشاركها هؤلاء الذين يجبرون في الكثير من الأحيان على التظاهر. لكن لدى العرب، الشعب الذكي و المثير للاهتمام ، يتلاشون بشكل فردي أمام المودة الشخصية أو التقدير، وبشكل جماعي أمام الاعتبارات والعواطف السياسات. لقد رأينا أن في المغرب هناك عدد كبير من القبائل ذات قضية مشتركة مع البرتغال لمدة طويلة، ولو لم تكن للبرتغال الثروة لما كانت قادرة على تسوية وضعيتها السليمة في البلاد. في محافظة وهران، وفي الكثير من الأحيان كان للإسبان مساعدون من العرب، وفي الوقت نفسه ما هي الأمة التي تستحق كره المسلمين أكثر منهم؟ لم تكن قبيلة غماراس مرتبطة بهم الا بعد أن اخلاء مدينة وهران.

في عام 1790، تبعهم جزء من هذه القبيلة واستقرت في سوتة، لمواصلة العيش تحت حمايتهم. وفي الأخير، وفي أيامنا هذه ، هل هناك الكثير من الأدلة عن تحالفات الشارع الحميمة التي قد توجد بيننا وبين العرب؟ لنذكر التصرفات العادلة والمخلصة لسكان المدية، الذكاء الذي يسود حكم بجاية بين الجنرال أوزني والعديد من القبائل التي على استعداد دائما لحمل الأسلحة للدفاع عن قضيتنا، التي أصبحت خاصة بهم. في الجزائر العاصمة، وتحت إدارة الجنرال فوارول، سار 600 فارس من مختلف القبائل معنا ضد سكان حجوط، وقبيلة عريب التي استقرت في أراضينا لدعم الخدمة العسكرية. كل هذه الوقائع تثبت أن الممانعات ليس ما يقهر جانب العرب. فهذا موجود كثيرا لدى بعض الأفراد أكثرهم ذوي الأصل الأوروبي، الذين لا يملكون جميعا الحق أن يكونوا أقوياء في واقع الحضارة والأخلاق.

الأحكام الدينية المسبقة أقل تجذرا لدى العرب الذين لا نصدقهم عموما. على الرغم من تعلقهم بمعتقداتهم، الا أنهم مستعدون تماما للتغلب على بعض الممارسات المزعجة، ولكن ما يحمل أساسيات إيمانهم قوي وفتي، هل ينبغي تقديم شكوى؟ بالتأكيد لا. لأن الشيء السيء الذي نجده لدى هؤلاء الناس هو أن كل عمل ديني يستحق احترامهم، مهما كانت ملة (دين) الشخص الذي المتعبد[1].

(1) لقد وجدت نفسي في خيامهم مع المسافرين اليهود مثلي، الذين كانوا يؤدون صلواتهم، المليئة ببعض الطقوس الصغيرة الصبيانية والسخيفة،

ما يزعجنا أحيانا ضد العرب، هو أنهم يتركوننا نرى بسهولة بأنهم يؤمنون بقيمة جوهرية أكبر بكثير مما هي عليه في بلدنا. لا يمكنهم إخفاء فوائدنا عليهم، بالعلوم التي لدينا، والفنون وعجائب صناعتنا، ولكن في عيونهم، كل هذا هو لا يشكل الرجل، وكرجال كانوا يعتقدون أنفسهم أحسن منا. هذا الرأي الجيد عن أنفسهم يحتفظ به وفقا لطبيعة العلاقات التي تربطنا معهم منذ خمس سنوات، والتي نعمل دائما على إظهارها غير مجدية بالنسبة الينا. كانوا دائما يبدون مفككين، دون القدرة على اتخاذ مزيد من الإجراءات، التي تظهر في زاوية الجهل وعد الاكتراث. لم يهتم جنرالاتنا بالعرب الا بطريقة غير منتظمة دون نظام محدد، وقد حكموا عل إن كل شيء ممكن مع أناس لا نرى فيهم إلا مجرد آلات عصبية قليلا، وليس كرجال بقلب وإحساس. لقد قلنا وكتبنا لهم الأشياء الأكثر حماقة، والتي تخرج عن المنطق، وأكثر الأشياء تناقضا أيضا، وغالبا ما كنا نتجلب إلى سخريتهم الدموية[1].

دون إثارة أي علامة صغيرة من عدم الإقرار أو ازدراء. اذا كانوا يبدون متفاجئين من شيء، فان ذلك كان من عدم
اداني لصلوات كثيرة مثلهم ومثل اليهود، و أقر بإهانة على الفكرة السيئة التي قد تكون بذهنهم عني، و تنجم على سبيل المثال هذا الرجال ذوي القناعات القوية، و قد حدث لي، أكثر من مرة إعطائهم، عن طريق بعض الإشارات الخارجية، الدليل أن لي أيضا معتقدات و عبادة.

(1) هنا يظهر أسلوب القاضي وكبار الأوطان (المقاطعات) وهو يجيب على برقية متميزة بإسرافها.

العرب لديهم الكثير من الاستقامة في الحكم كي نعاملهم مثل الأطفال. لا ينبغي أن نلهو كثيرا معهم، ولكن يجب الذهاب مباشرة الى الهدف، وأعتقد أن ذلك كان مناسبا. يعتقد بعض الناس أنهم تمكنوا من التأثير عليهم، بالتظاهر بالأخذ بتقاليدهم وأساليبهم، لكنهم لم ينخدعوا بهذه المخادعات الطفولية أو الصبيانية، التي لا تؤدي إلا لمنح فكرة بسيطة عن حسنا السليم.

أدرك العرب بسرعة كبيرة المؤامرات الصغيرة التي خطط لها جنرالاتنا ضدهم على مدار خمس سنوات. كانوا يرون أن الجميع يتعارك حول السلطة التي لم يتمكن أحد من الاحتفاظ بها؛ لا شيء يمكن أن يفلت منهم. انهم يعرفون كل شيء، فضلا عن الشجارات الصغيرة التي تنشب باستمرار حول السلطة بين موظفينا ، ونظرا لكل هذا ، يتساءلون ما إذا كان هؤلاء هم الفرنسيون الذين كانوا يبدون كبارا جدا عند سقوط الجزائر العاصمة المحارية.

لحسن الحظ، في العلاقات الخاصة، الطبع الفرنسي يتلاءم تماما مع طبع العرب، الذي أسس بيننا وبينهم بعض الروابط المحددة، التي قد تكون لها نتائج لصالح قضيتنا في وقت لاحق، على الرغم من الأخطاء التي كانت موجودة في سياستنا.

العرب لديهم ميزة ثمينة لم أتحدث عنها بعد، وأنه من العدل أن نسلط

"لقد تلقينا رسالتكم وقرأناها في جمعية عامة. بعدما تم الانتهاء من القراءة، بدأت كل المقاطعة تضحك. تقولون بانه يجب الاعتراف ب د *** كقائد لنا، ونحن قد نريد ذلك، لكن ربما كنت قد نسيت انك قد عزلته شخصيا قبل بضعة أيام، و عينت ف *** في مكانه. تفضل بقول ما تريده نهائيا حتى يمكننا الامتثال لأوامرك."

عليه الضوء، الذي نرفضه عموما، هو التمسك بخطابهم السياسي، بعد ما كانوا في حالة سلم، أو بالأحرى حالة غير عدائية مع بعض القبائل في ظروف معينة، وجدوا في حالات معادية في ظروف أخرى، واستخلصنا بأنه لا يمكن الاعتماد على أي شيء معهم. ولكن ما هي المعاهدات انتهكوها؟ أعترف بأنني لا أعرف أيا منها. هذا ربما يكون قد حدث أكثر من مرة، أن بعض القبائل لم تكن مرتبطة بالالتزامات التي قطعت من قبل الآخرين، وحتى الوعود التي قطعت من قبل أفراد قبيلة، والتي لا تشترك فيها غالبية نفس القبيلة. ولكن ما المستغرب في بلد سمحنا فيه بالفوضى التامة، أين لم تمثل السلطة ولا الارادة العامة بأي شخص؟ ولكن على الرغم من غياب الضمان الا أن أن جميع الفرنسيين وضع رؤوسهم بين أيدي العرب، ولم يكن هناك من تاب أو تراجع، في حين أنه تحت إدارة الدوق روفيغو قطع رأسي شيخين في الجزائر العاصمة بالرغم من سلوكهم الآمن.

عندما وصلنا الى أفريقيا، أعلن للعرب عن ذلك من خلال التصريحات التي جئنا بها من نير الأتراك. وكان الأمر يتعلق بالتعهد باعادة حرياتهم البدائية لهم، وتأسيس علاقتنا معهم على أساس طوعي. كان ذلك جيدا حسب ما تفهمه العقول المنيرة. وقد شهدنا في الكتاب الرابع من هذا المجلد بأن بن زمون قدمت للسيد بورمونت فتحات في هذا الاتجاه. كما كتب مدى السرعة التي استولى بها الفرنسيون على الجزائر وكان قد فهم

هو ومواطنيه أن الله كان قدرنا للحكم بدلا من الأتراك. سيكون من الجنون ان أرادوا معارضة قرارات العناية الالهية؛ وبالتالي اقترح استخدام نفوذه، لجمع المزيد من الرجال الأكثر تأثيرا في محافظة الجزائر العاصمة، ليقترح عليهم أسسا لمعاهدة تكون لصالح علاقاتنا مع العرب، أكثر في المصلحة الحالية، من مصلحة الأجيال المقبلة ، وأن يتوسل القائد العام ألا ينسى بأن المعاهدة القوية أو الصلبة لا ينبغي أن تفرض بالقوة إلى الضعف، ولكن ينبغي أن تنشأ على المصالح المتبادلة بين الأطراف المتعاقدة، وذلك لأن الجميع يعمل بحسن نية للمحافظة عليه.

كانت على هذه اللغة أن تعطينا معيار الرجال الذين نتعامل معهم. لو دخلنا بصراحة في المهمة التي سطرناها، أعتقد أننا كنا الآن أكثر تقدما مما نحن عليه. المارشال بورمونت، كما رأينا، لم يعتقد أن هذا كان ضروريا للنظر فيه، وتعلمون ما أدى اليه ذلك.

مع وصول السيد كلوزيل كانت هجومات العرب في الجزائر وعنابة (بون) أظهرت بأنه تم استبعادنا عن الوعود التي وردت في تصريحاتنا. ما زلنا أسياد الأرض ، ولكن بدون منطق بن زمون لم يفقدوا شيئا من قوتهم. كان الجنرال كان يجمع بالكثير من الدقة المصالح الأوروبية لفرنسا الجديد جنبا إلى جنب مع هؤلاء الذين تم غزوهم، وقد وجدت وسيلة لضمان تفوقنا على مختلف البيالك (جمع بيلك) بالتدخل مباشرة الا على محافظة الجزائر، ما يمكن أن يخفض بشكل ملحوظ من نفقاتنا فيما يخص

الرحال والمال. لقد عرفنا بالمشاريع والعقبات التي تعارض تنفيذها. يفترض أن السيد كلوزيل دون الصعوبات التي أثارناها، لتنجح في الخطة بمهارة التصميم، ولكان بالتأكيد قادرا جدا لإكمال هذا المشروع. لم يعد لديه الوقت الا بالاهتمام بمحافظة الجزائر العاصمة، ورغم ذلك، في إدارته قصيرة، لم يلجأ لاستخدام وسائل حقيقية لتجعل لنا تماما، لا نستطيع أن نقول أنه مع مرور الوقت لم يتم العثور عليها.

أساء الجنرال بارتزان لشرف قواتنا ضد العرب، و فقد التأثير الكلي عليها. كانت إدارته تشكل فترة وخيمة على مستعمرة ، وذكرت تقارير تشير الى ان دوق روفيغو قد قام بأعمال قاسية ومخلة بالشرف الاسم الفرنسي، باحتلال عنابة، وذلك بسبب جرأة مغامر شجاع، ومجموعة من المؤامرات الصغيرة دون نتيجة. تحت حكم الجنرال فوارول العام، كنا نعيش في عهد الولاء و تم تأسيس علاقاتنا مع العرب المبنية على الأخلاص. نشأت الثقة وحكم السلم دون انقطاع تقريبا في المحافظة واتخذت الجزائر تدابير لضمان عقلانية أكثر أساسها سيادة القانون، ولكن كلما كانت هذه التدابير على وشك القيام أن تأتي بثمارها، جاءت أعمال نابعة من الضعف لاجهاضها، لتضع كل شيء موضع التساؤل. اتخذ هذا الجنرال موقفا مؤقتا لإرادته بالكثافة المطلوبة للأعمال. في نفس الوقت، تم التفاوض على معاهدة وحشية من قبل القائد العام في وهران، مرفوعة على عرش المحظوظ والمستقل والماهر عبد القادر، و أعطى للعرب مركز العمل الذي كانوا يفتقرون اليه.

تحت التأثيرات النظيرة، المتضاربة والقاتلة أين تشكل المجموعة ما يمكن أن يسمى، ادارة الكونت ايرلون، القليل من الأشياء الجيدة التي كانت بفضل الجنرال فوارول في محافظة الجزائر العاصمة، اختفى، و عندما كنت أكتب، علمت بالكوارث الخاصة بقواتنا التي سحقت من قبل القوة التي نملكها ب وهران.

لقد قلت بالفعل في سياق هذا العمل، أن بعد التخلي عنهم كحمقى بعد التخلص من كل القيود بغياب حكومة منظمة، وقد سئم العرب من الفوضى سريعا. لم تكن ترغب في الازعاج الذي تصدره الإدارة المتأنية، ولكنها تحتاج، مثل جميع الشعوب، الى العدالة والأمن. أيضا، بعد المعاناة من جميع أنواع العقاب، بعد أخذ مكاني السارق والمسروق في آن واحد (المذنب والبريء)، أحسوا بالحاجة إلى أن يحكموا بحيوية انطباعاتهم. هذا المقطع من الفوضى متعطش للنظام والقوانين المنطقية في حركة العقل البشري، ما يمكن العثور عليه بين جميع الشعوب، وهذا لا يخص العرب. يمكن الاعتماد على ذلك بالأدلة الواسعة التي أتيحت لنا في الأحكام الخاصة بهذا الصدد؛ ولكن في حالة عدم وجود حسابات مسبقة، هذا ينبغي أن يشير الى أن الأدلة تفتح أعيننا على الأقل، وأخذنا السياسية التي كانت مناسبة للمتابعة. على العكس من ذلك، لم نعرف يوما كيف نستغل الظروف المواتية الموجودة. وعبثا، كانت هناك قبائل ومدن توسلتنا دون جدوى لانقاذها من الفوضى، وأن نتكفل شخصيا بمهمة حكمهم أو ادارتهم؛ وعبثا، كانت

هناك طموحات قوية ونشطة قدمت لنا الدعم والضمانات؛ لم نقم شيء تقريبا، وتوقفنا عند كل لحظة بسبب أي صعوبة في التنفيذ. ولكن ما لم نرد القيام به قام به شخص آخر. بسبب الحاجة الى النظام، أنشأ عبد القادر سلطته. هذا كان بتفوقه على الفوضى، وحصل على الحب و الاعتراف من الشعوب. كانت هذه السلطة الجديدة تركز على أساس أن العمل الخيري يمكن أن يلاحظ،على الرغم من السياسة التي تجبرنا على قتلهم، ولم تعد عيون القبائل لا تزال تعيش عذاب الفوضى تلتفت الينا. لقد فقدنا جميع مزايا الموقف. لكن لا يزال هناك وسيلة لإنشاء سلطتنا في محافظة الجزائر العاصمة، وهي اجبار وقف عبد القادر لتوسعه أبعد من محافظة وهران، ووضع باي على رأس التيطري من ختيار من العرب، وهذا يعطينا في نفس الوقت ضمانات. يجب أن يتم تعيين قادة في جميع "الأوتان" (مقاطعات) في محافظة الجزائر العاصمة، التي أصبحت محددة في الأطلس، من أشخاص يستحقون الثقة، وفي الوقت نفسه يتمتعون بالتقدير من طرف المواطنين. كان تحت أوامر هؤلاء القادة شيوخ في كل اقليم. يتم تعيين البعض من القادةوالشيوخ من قبل الحاكم الفرنسي، ولكن يتم تعيينه باختيارهم حسب تصويت العرب، الذين ليس لديهم عذر بعد ذلك اذا لم ينصع لهم. كل قايد يجب أن يكون معه 25 أو 30 فارسا مجندا، ولكل شيخ 4 أو 5 منهم. وفي هذه القوة العامة، ينبغي للمسؤولين أن يسهروا على النظام في أراضيهم، و اعتقال المجرمين وتسليمهم إلى العدالة. يجب أن يكون لديهم الحق في فرض

عقوبات معينة. يوضع مفوض فرنسي مع كل قايد، لضمان مراقبة تحركاته وتمثيل سلطة فرنسا لدى العرب.

وينبغي أن تدفع الحقوق للقادة والشيوخ، ولكن هذه النفقات في هذا الشأن، الى جانب الفرسان المتبقين من الشرطة، يتم أخذها مما جمع في العاشور (العشر) التي يجب استعادتها وطلبها. وقد فرض القرآن ذلك وجعله واجبا بالنسبة للمسلمين. وعدنا العرب، عندما جئنا إلى أفريقيا، بالتغلب على المساهمات التي يدفعونها للأتراك، ولكن أيضا منذ أن برزت أعمالهم العدائية تخلينا عن وعودناوكان من الممكن أن نسمع بالمساهمات التي تخرج من بين أيديهم من دون فائدة لهم، وليس من الضرائب الضرورية للصالح العام. هم يفهمون جيدا هذا التمييز لأنهم يعرفون بأننا لا نستطيع الحكم دون مال، وإذا حكمناهم بالعدل، ووفقا لأفكارهم، فإنهم لا يتأسفوا على ما قدموا لذلك.

يجب أن يكون لكل "أوتان" أو مقاطعة صندوق منفصل، تديرها في الجزائر لجنة مكونة من اثنان من العرب و فرنسي واحد. تأخذ المحافظة من منتجات العاشور، ومن الغرامات التي فرضتها العدالة. الأموال اللازمة للمسؤولين للتعامل مع الموظفين والفرسان يتم جمعها، وما تبقى يستخدم في الأشغال العامة، وإغاثة الفقراء والمساكين من المزارعين. و بهذه الطريقة، السكان الأصليون يرون أننا لا نطلب منهم جزيات لمحتلين أراضيهم، كما كان ذلك في وقت الأتراك، ولكنها مجر ضرائب شرعية مكرسة للفائدة

العامة. كما سيتم تحقيق أهدافهم على حد سواء. بعد عدة سنوات من هذه النظام من الحكم، عندما كان السلام والحكم الرشيد في الادارة، ثم جلب الازدهار في البلاد بوفرة، وازدادت الضريبة دون جهد، ويمكننا أن نطلب منهم مساهمة في نسبة منصفة لصيانة الحامية الفرنسية.

يخضع الأوروبيون الذين يقيمون في عزلة في "أوتان" (مقاطعات)، مثل السكان الآخرين، للشرطة الإدارية للشيوخ والقادة، ويحتفظون فقط، بطبيعة الحال، بقضاتهم. عندما يكون هناك ما يكفي من الأوروبيين في نفس المنطقة لتشكيل القرية، يكون لهم عمدة أو شيخ، بغض النظر عن الاسم، ولكن سيخضع هذا الأخير بدوره للشرطة الإدارية للقايد في المقاطعة، كسائر الشيوخ الآخرين، وفي الأخير كان السكان الأوروبيين في زيادة، والقايد يؤخذ بشكل عشوائي من عشائر كل الأعراق (الأجناس)، و يعطى له اللقب الذي نريده، على الرغم من أنه يبدو لي من المعقول تماما الحفاظ على هذا الاسم المألوف لدى الجميع.

ينبغي لنا أن نتجنب في كل شيء يدخل الى "الأوتان" (المقاطعات) بما في ذلك الفرنسة، كل الاضطرابات والتفصيلات لدى إدارتنا المدنية. دون هذه الاحتياطات، لما تمكنا من فعل أي شيء، وقد فتحنا بالفعل الباب لإساءة المعاملة أكثر من اللازم.

بلديات فحوص أو ضواحي الجزائر العاصمة، لا تزال تقدم تقاريرها مباشرة إلى الحكومة المركزية، دون أي قايد وسيط، ولكن كان على السكان

الأصليين (الأهالي) أن يكونوا ممثلين بشكل فعال من التنظيم الحالي.

قد تجدون أنني أعطي جزء كبيرا لهذا الأخير، ولكن هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الاندماج. ليكون العرب معنا، يجب أن نتعامل معهم بالمساواة. النظام المعاكس كان يبعد جميع الرجال من الطاقة. ولكن نقاء نوايانا القوي، وموافقة جميع الناس العقلانيين، ولا يجب علينا أن نبتعد عن أية وسيلة للحد من الاختلال. ينبغي لجميع النقاط الاستراتيجية للبلد أن تحتل بالمعسكرات، وتهدف لتصبح في يوم من القرى، وعلى المستوطنين في الكثير من الأحيان الانتقال من قرية الى أخرى لدعم السلطة. لا ينبغي أبدا التراجع أمام متطلبات المتمردين، الذين يصيبون بشكل صحيح وقوي، والعمل ضد المتمردين، مع العرب المشاركين والموضوعين تحت أوامر قواتنا، على أن تكون القيادة تحت مبادئ الإنسانية والعقل، وسيما للإقناع بأن ذلك لا يفصح عن التقدير المبالغ فيه للحياة الفردية، التي لديها تأثير على الجماهير.

يمكن العثور في الطبقة الأرستقراطية العسكرية للقبائل على المعارضة المرتبطة بالمشروع الذي نعرضه، لأنه المطالبات المحددة لم تجد حساباتها هناك، ولكن الديمقراطية ستكون لنا. السياسة التي يتم اتباعها بالنسبة للعائلات النبيلة المنشقة، التي لا تتبع وسائل الإقناع، سيكون عددها قليلوتهدف الى تحطيمها تماما، والرفع على أنقاضها عائلات الشعب الذين، يعملون بالضرورة أمام النظام الجديد للأشياء على المحافظة عليها.

رأيي حول الأرستقراطية العربية مبني على التطورات الإيجابية، بغض النظر عن القياس بينها وبين كل الأرستقراطيات في العالم. مقياس الأبعاد لا يغير من جوهر المسألة. نحن أرستقراطيون في عش النمل كما هو الحال في دولة كبيرة[1].

المرابطون باللقب أو العمل هم عادة الرجال السلميون الذين يحتشدون دائما الى جانب الحكومة المنتظمة والعادلة. يجب علينا أن نعاملهم بالاحترام الذي يستحقونه. في الأخير، قد يكون من المناسب التعامل مع ذكاء العرب عن طريق نشر بعض الكتب التي تعيد لهم مختلف أذواق الأعمال الروحية، وإعطاء التعليم الليبرالي للشباب ذوي الارادة الكبيرة، والذين يمكن أن ندعوهم بعد ذلك للمناصب العامة. وفي الأخير يجب العمل على أن يكون الشعبين شعبا واحدا.

(1) الجنرال فوارول الذي في الحقيقة كان يريد أن يصنع معروفا (او يقوم بكل اهو جيد)، ولكن لم تكن لديه المثابرة بما فيه الكفاية، حاول تنفيذ جزء من الخطة (المشروع) التي وصفتها للتو، ولم يجد معارضة الا من جهة الأرستقراطيين. وهم الذين اغتالوا قايد بني خليل شجاع الذي لم ينتقم لموته. وبعد عام واحد استقال قايد كراشنة، الذي نأسف لضعفه، والذي تعب من المزاعم التي قيلت ضده. تم إرسالي لحضور اللقاء الذي سيتم تعيين خليفته خلاله، ولكن ما كان ضد توقعاتي، أن القايد وافق في تجمع المقاطعة على استئناف واجباته. حل الاجتماع، وخلال عودتي إلى الجزائر، انضم الي عدد كبير من رجال الشعب، ليصرحوا لي أن كل ما حدث كان من عمل الأرستقراطيين، الذين استغلوا ضعف القايد والذي أجبروه بالتهديدات على الحفاظ على مناصبهم. وبعد شهر من وضع هذا القايد الذي أصيب بالنقرس، اتخذت اجراءات ليمثل خليفته بشكل أفضل المصالح العامة لل"أوتان" (المقاطعة).

هذا أقل صعوبة مما نعتقد، وفي الحالة الفلسفة الدينية الحالية، يمكن أن يكون لذلك تداعيات ضخمة بالنسبة لمستقبل الإنسانية.

مهما كانت طبيعة الحكومات التي نتركها تستمر في الوقت الحاضر في الداخل، يجب أن يكون حول جميع الأماكن المحتلة بواسطة قواتنا منطقة أكثر أو أقل امتدادا، يتم وضعها مثل مقاطعة الجزائر العاصمة، تحت سلطتنا وتدار مباشرة بنفس الطريقة.

.4

طريقة مقاومة العرب.

لقد تقاتل العديد من الرجال دائما، على الرغم من أن العديد منهم يحلم بالسلام الدائم، ويفترض بأنهم سيقاتلون لفترة طويلة. ومع ذلك، فلم يتم إعطاء أي شخص أي اشارة إلى نقطة توقف كمال الإنسان، فمن الممكن أن نصل في يوم ما إلى هذا الوفاق العام الخالي من المتاعب. وفي الوقت نفسه، الرجال يكافحون في هذا القرن كما هو الحال في تلك القرون التي سبقتها، ولكن لا يحارب جميعهم بنفس الطريقة، وذلك لأنهم ليسوا كلهم في نفس الظروف من الحياة السياسية والاجتماعية.

هناك من الشعوب الهمج الذين يقاتلون فقط من أجل الصالح الخاص وبشكل فردي. الهجوم القوي يضعفه، ويقتله، ويذهب بعد ذلك. انها حرب الوحوش المفترسة.

كما يوجد البرابرة الذين يناضلون من أجل مجموعة من المصالح الخاصة قصد جمع المصالح العامة، أو تلك المصالح الخاصة بالقائد الذي فرضته عليهم الظروف.

هناك، أو بالأحرى كان هناك أشخاص متحضرون قاتلوا وحاربوا فقط للمصلحة العامة، حيث كانت المصالح الخاصة متعلقة بقضية عامة، والتي كانت قضية شخصية لكل مواطن.

وفي الأخير، هناك شعب متحضر، أكثر أو أقل حرية، أكثر أو أقل عبودية، والذي يجد أنه مهما كانت طبيعة وكثافة المصالح، فإن ذلك لا يستحق كل هذا العناء حتى يتم قتلهم، و يتولى هذه المهمة الفقراء الذين يتم شراؤهم بالمال، أو غير المساكين الذين يدينهم بدين، إذا لم يكن لديهم في محافظهم الخاصة (المال) الوسيلة للتغلب عليها.

العرب في الفئة الثانية من بين هذه الفئات الأربع. أما بالنسبة لنا، يمكننا أن نقول بأننا نتمي لجميع هذه الفئات دفعة واحدة، أو أننا كنا ننتمي الى هذه الفئات على التوالي في فترة قصيرة من الزمن. وفي ظل الجمهورية و جزء من الإمبراطورية، كان علينا أن ننتمي الى ثالث فئة. نحن الآن في الرابعة، والعادات الخاصة بالنزاعات أو الحروب الفردية تضعنا في بعض النواحي في الفئة الأولى.

الحروب التي كان العرب يقومون بها من قبيلة إلى قبيلة ليست دموية كثيرا وقصيرة الأجل، والمصالح التي وضعت الأسلحة في أيديهم لم تكن حية وليست دائمة؛ لكنها كثيرا ما تتكرر في بعض الأحيان لمختلف الأسباب. هؤلاء الناس ليسوا حاقدين، لكنها عصبيون جدا ويتسرعون لاستعمال الأسلحة. يتم تخفيض هذه الخلافات إلى سباقات، والى مفاجآت تسمى "روزيا" حيث يتم نهب القرى أو الدواوير، وفي بعض الالتزامات يكتفي فرسان كلا الطرفين ببساطة بتبادل بضع طلقات النار، من دون التوصل إل القتال الجسدي، انها فعلت ويحدث هذا بوجود القليل من النظام. القبيلتين العدوتين، توضعان في

مجموعات مختلطة، لتتقدم على مسافة معينة من بعضها البعض. ثم يخرج عدد من الجنود من كل موقف على التوالي ، على طول منحنى التي حيث يواجه العدو بالوصول في هذه المرحلة ، يقومون باطلاق عيارات نارية من البنادق الخاصة بهم، ويعودون الى منتصف المجموعة ليتقدم صف آخر من المنحنى. في حالات نادرة حيث يتعلق الأمر بالسكاكين أو الأسلحة البيضاء، يحول الفرسان بعد تجريدهم من الطلقات النارية، السلاح الى اليد اليسرى، لوضع السيف في اليد، ويصدرون تعليمات بالهجوم مع ما يكفي من القرار.

يتمرن العرب بانتظام على هذه المناورة، التي تعد واحدة من حلقات جميع المهرجانات والاحتفالات. تسهر نساء القبائل على حضور هذه الأنواع من البطولات، بالهتاف للفرسان الذين يظهرون مهارة وقوة أكثر، لابعاد السخرية والتهكم لدى أولئك الذين مروا بتجربة الهزيمة أو بعض الاحراج.

عادة ما يكون المرابطون المستعدون لاعادة الانسجام بين القبائل. هذه مهمة إنسانية بالنسبة لهم وأسهل بكثير من الكراهية التي لا توجد بكثافة بين العرب. ومع ذلك، فقد رأينا حروب القبائل التي انتهت بالتشتت التام للمهزومين. وبهذا طرد أولاد ماضي من سهول حمزة، قبيلة أريل، التي جاء جزء منها ليستقر في رسوتا تحت إدارة الجنرال فوارول. في بعض الأحيان تنتهي الحروب بخطأ المقاتلين، وينسحب الفائزون على التوالي من جزء للذهاب لتغطية غنائمهم ، ويحكوا عن مآثرهم لأسرهم. وفي أوقات أخرى تقوم القبائل بالكثيرمن الاساءة بحيث لا تترك لهم فرصة القيام بذلك.

وقد قال لي العرب أن قبيلتين أسستا مشروعا متبادلا لمفاجأة المحاربين الذين ذهبوا في نفس الوقت، وكل واحد منهم في جانب، ولكن بعد عبور مسارات مختلفة، وصلوا الى أرض أعدائهم، الذين تركوا من دون الدفاع، ودمروا بسهولة، بحرق المنازل وأخذ الماشية وحتى النساء والأطفال، دون أن يدركوا ما كان يحدث لهم. عندما عرفت الحقيقة من كلا الجانبين، لم يكن عليهم الا إعادة ما أخذوه، و تم استعادة السلم تلقائيا.

الفرسان العرب مسلحين ببنادق طويلة، يحملونها على الكتف، الى جانب مسدس أو مسدسين، يوضعان في حاملة المسدسات في حزام الكتف، موضوعة من اليمين إلى اليسار، بالاضافة الى سيف أو سكين، يدعى باتاغان. بينما يوجد لدى البعض منهم بعض الرماح، ولكن كان يوجد لدى القادة والفرسان الأغنياء بنادق و مسدسات ثانوية تتناسب مع صهوات أو سراج الخيول. تحمَل الخراطيش في حقائب صغيرة، أنيقة جدا ومريحة للغاية، توضع، مثل ما في بلدنا، من اليسار إلى اليمين، والتي يمكن أن يجعلوها بسهولة أمامهم. يوضع حامل المسدسات والحقيبة فوق "الحايك"، وهو نوع من الملابس المصنوعة من المواد الخفيفة، التي تحيط الجسم وتغطي الرأس، حيث تدعم بنوع من العمامة، تدعى "ريت"، وتتألف من عدة أدوار (دورات) من حبل أو قماش مصنوع من وبر الإبل. والحايك ضيق على الجسم بمختلف القطع من المعدات، وبوجود حزام، تسهل الحركات كثيرا. ولكن العرب يضعون فوقه "برنوسا" وفي بعض الأحيان برنوسين،

ما يجعل الزي غير مريح تماما: يجب أن تكون معتادا على ارتدائه جيدا حتى لا تشعر بالحرج والانزعاج من هذه التخمة من الأقمشة، التي تتركز على الذراع وتجعل الحركات أقل حرية. وفي القرى الأفريقية التي تشهد نوعا من التقدم، مثل مصر وتونس، يشبه زيها الموحد زي قواتنا المسلحة، الخالية من كل ما لديها من رداءة. وعلى العكس من ذلك وبسبب هذا الهوس الطفولي الذي يميزنا، قمنا بتدريب الأفراد الأصليين، أو بالأحرى الأفراد المختلطين، لأنها تتألف من العديد من الفرنسيين و الأفارقة، وقد احتفظنا بكل الزي الشرقي، بينما أفراد يرتدي الزواوة، بصرف النظر عن عدم لزوم العمامة والحجم الهائل للسراويل، زيا مجهزا تماما على نحو مناسب، ولكن زي "سباهيس" العاديين، في هذا الصدد، هو مجرد محاكاة ساخرة للعرب ومعقولة قليلا وبذوق سيئ للغاية.

العرب الذين برغمهم فقرهم على القتال بالمشي على الأقدام، و"القبايل"، الذين يعتبرون كلهم تقريبا مشاة، يحملون جميع أنواع الأسلحة من المدافع والبنادق والمسدسات والسيوف، والياتاغان وغيرها. ما لا يمكن أن نجده عندهم هي الأقواس، أو السهام، كما رأينا في يد الجحافل و الطرطيري، عندما أخرجتهم روسيا الى جنوب أوروبا في عام 1814 و 1815.

لدى "القبايل" تصنع الأسلحة التي لا يتم استيرادها من أوروبا أو بلاد الشام. وتقدر ياتاغان قليـــة بأسعار مرتفعة، وهي في الواقع أسلحة جيدة تماما. يصنع مسحوق البارود في عدة أماكن؛ لكنه ذو نوعية رديئة، وقليلا ما

يتم تصنيعه لأن صناعته بطيئة وصعبة، فجميع عمليات الخرس تتم باليد. كما هو الحال بالنسبة الى عبد القادر، وعلى الرغم من أن سلطته لم تصل حتى الآن لإقامة مصانع، يبدو أن مثل هذه المصانع غير موجود في أية منطقة من مجلس الوصاية. لا يزال "القبايل" من يقوم بتصنيع كميات أكبر من المسحوق. وتكون أكثر في جبال جنوب بجاية من أي مكان آخر.

يتوقف العرب في الريف و معهم القليل جدا من المؤونة. يحمل كل فارس في الحقائب التي يرتديها، والتي تدعى "جبيرن" قليلا من الشعير لحصانه وبعض الفطائر له. "جبيرن" العادية عبارة عن قطعة كبيرة وضيقة، مصنوعة من الجلود، وعملت بشكل جيد و زينت للغاية. تشبه في الشكل تلك التي تحملها فرقة الفرسان لدينا. وتوضع معلقة على السرج. هذا السرج يشبه شكلا من أشكال السرج المخيط لدينا، وهذا يعني، أن المقبض والنصل لديه مرتفعين بشكل مفرط، حيث تم تصميه تماما للفارس، ويربط الحزام وحمالة الصدر إلى الحصان. ركاب السرج واسعة جدا وقصيرة جدا. يتكون اللجام من دعامتين أمامية وتحت الحلق. الكابح الصلب جدا، لديه عصابة تمر تحت لحية (ذقن) الحصان، وكل شيء تم تسخيره بشكل ذكي ومريح، ويمكن تكييفه مع الخيل في لحظة. لا يوجد في بلدنا، مثل هذه الأحزمة الكثيرة الأمر الذي يجعل ربطها طويلا، ويبدو أنه أصعب مما نقوم به نحن كفن له قواعده وجدله، وهو الفن الذي كتبناه عن الناس الذين لديهم شيء أفضل من هذا للقيام به، ولم يكن ملوك فرنسا مزدرين لتثبيت مبادئ بأوامر المخصصة.

حاول السباهيس المنظمين الإبقاء على الزخارف العربية، وكانوا على حق، لأنه أفضل بكثير من الزي الموجود لديهم.

الفروسية أقل علمية لدى العرب بالمقارنة معنا، ولكنها أكثر انتشارا، لديهم القليل فقط من حملة الدروع، لكنهم فرسان جميعا. وباختصار، هم مميزون عنا في هذا الصدد. لا أحد يعرف أفضل منهم كيفية استخدام الخيول، ويحصلون على الجهود التي لا نجرؤ على طلبها. صحيح أنهم يقومون باستخدامها بسرعة إلى حد ما.

العرب هم أيضا مشاة جيدون، ولكننا نستحق هذا اللقب في ذلك أيضا، ويمكن أن نتجاوزهم عند المشي ونحن محملين. لأننا أقوى عموما. هو يعيشون الحرمان كعادة وليس كشيء مؤقت، وأشك أن في وسعهم المحاربة لاحتياجات شديدة ورهيبة كما يرجح أن يفعل الفرنسيون ذلك، هذه ما ينتج عنه تشكيل مجموعة من مختلف الأجناس المقسمة أو التي تعبر الأرضية الغنية لبلاد الغال (فرنسا)، وهم في هذا الصدد كالبغال يعيش بكل شيء وبلا شيء. يذهبون بسهولة إلى المسرات للرفاه، ولكن مزاجهم الحديدي لم يخفف الا قليلا فقط.

في الحروب التي شنوها ضدنا، لم يغير العرب شيء تقريبا من طريقتهم في القتال. ومع ذلك، في الأونة الأخيرة، شهدنا في بعض الأحيان تقديم خطوط منتظمة إلى حد ما من المتحاربين، بدعم من الفصائل الاحتياطية. في الجزائر لم يتوقعوا أبدا صدمتنا، وكانوا دائما منتشرين بين أعمدتنا التي

يعودون لمضايقتها في تحركات انسحابنا. هذا التكتيك، هو أفضل ما في وسعهم وأحيانا يوظفونه بطريقة ناجحة تماما. هجوماتهم المقسمة لم تكن قوية و مدفوعة بشكل كامل في بوجي (بجاية)، خلال رحلة الجنرال داموريموني.

ولكن بصفة عامة أي عمل على الأرض، وأدنى التحصينات هو بالنسبة للعرب قلعة منيعة، على غرار الإغريقي هوميروس، الذي حاول أن يؤذي العدو من خلال مواجهة أقل ، دون أن يرتبط بأدنى فكرة عن عار الفرار، عندما لا تبدو الأمور لصالحه . قال لي أواحد منهم بهذا الصدد: "لا أحد يجب أن يقتل، أكثر مما هو موجود عندكم. ولكن هنا، عندما يتفوق الخوف من الموت على المشاعر التي تدفعنا للقتال، نقوم بالانسحاب، بينما يظل جنودكم في مواقفهم، بالرغم من الخوف، وعادة ما يكون ذلك طاعة للزعماء الذين تتمثل مهمتهم في الموت (أن يقتلوا) دون أن يعرفوا لماذا، وهم من تتجذر فيهم هذه الفكرة". الجيوش مؤلفة لتكون خامدة ومقاتلة بالصدفة، لمصالح ليست خاصة بها وستكون لا شيء، بدون فئة ضباط المهنة الدائمة الذين يعملون للمصالح الجماعية، ويشرفهم دعمهم للدولة، ونتيجة لذلك يكون موقفهم الشخصي بالجبن كحل وسط. تتقاتل الشعوب من أجل مصالح الجميع، لكنها لا تمثل دائما منظمة عسكرية مدمجة، ولكن على الرغم من أنها لا تنتصر على الخطر مع مثل هذا الزهد، الا أنها تشن حربا بمثابرة أكبر، في كثير من الأحيان وبقدر أكبر من النجاح.

كنا دائما نبالغ في عدد العرب الذين نقاومهم، وفي الحقيقة، لم نواجه في الجزائر الحقيقة قوات أكبر من قوات بلدنا، الى جانب اطلاقهم النار كثيرا. كانت هذه بدعة، أو بالأحرى ضعف كان من الصعب جدا إبعاد الجنود عن تعودهم على ذلك. وخلال الرحلة الاستكشافية التي اكتشف فيها الجنود البرتوس، أطلقوا ثلاثة الى أربعمائة طلقة نارية من بنادقهم الى الأعلى. والجندي الذي يصبح في حالة سكر بعد حصول الفوضاء، التي أنتجها بنفسه، يعتقد انه شهد التزاما حقيقيا، بينما في معظم الأحيان لم يكن ذلك حتى مجرد ظل. تساهم مغالاة رسائلنا الإخبارية بقوة لإعطاء شبابنا الجنود المفاهيم الخاطئة حول الحرب. السماح لهم بالاعتقاد أن القضايا التافهة هي صفقات الكبيرة، يعرضهم الى فقدان السيطرة على أنفسهم ومواجهة خطر حقيقي. وهو شيء، لم يفكر فيه جنرالاتنا كثيرا. هذه الكذبات الرسمية لا تضيف شيئا إلى مجدها السابق، قد يعرض نجاحها في المستقبل للخطر.

كما كان العرب بعيدين عن مركز العمل، كانت تجمعاتهم صعبة وقصيرة المدة؛ ولكن منذ هذه السياسة الخاطئة للجنرال ديميشال الذي ترك قوة عظمى ومستقلة تستقر في محافظة وهران، فيما كان الجنرال ايرلون يعاني من التوسع إلى أبواب ميناء الجزائر، وهذا ما سيصبح أسهل وأكثر خطورة. لقد مررنا بتجربة حزينة خلال النصر الذي حققه عبد القادر على الجنرال تريزيل. بعد إن امضي عدة أيام في جيش عبد القادر،

أستطيع أن أعطي تفاصيل محددة حول هذه التجمعات المسلحة لدى العرب، مع أن الكل لا يمثل معا مجموعة كاملة مثل تلك التي توجد لديهم، والتي تديرها الإرادة القوية والنيرة لهذا الرجل الرائع.

عندما ذهبت، كمسافر بسيط، مع عبد القادر، عاد الأمير من البعثة التي وضعت تحت سيطرته محافظة التيطري وجزءا من الجزائر العاصمة.

يتألف جيشه من 1200 من المشاة، ممن يشكلون هيئة دائمة، و5 الى 6000 رجال من القبائل، مجهزون بكافة التجهيزات تقريبا، ولكن في هذا العدد، يجب أن نحتسب مجموعة من 3000 رجل من الفرسان المتميزين، وكان البقية كتلة من خليط من الناس المسلحين والمجهزين بشكل سيئ. تتألف المدفعية من أربعة أجزاء خفيفة، ولكنها كانت سيئة بمختلف عياراتها، موضوعة على عربات ؛ كانت هذه العربات مترهلة و بذراعين مرتبطين بالبغال المخصصة لسحب المدفعية. تم نقل الذخيرة على البغال، وكان هناك في الجيش عدد كبير من البغال والجمال لنقل الخيام والأمتعة. كان مع الأمير خمسون فارسا (موكالية) دائما ومجندا، وهم يشكلون حرسه الشخصي.

بما أننا في وقت الحصاد، كان الأمير لا يحتاج إلى الكثير من الناس، وقام تدريجيا باستبعاد فرسان القبائل التي أبتعد عنها واستبدلهم بفرسان القبائل التي اقترب منها، بحيث أنه مهما حصل من كل جانب، لم يزد جيشه، وثبت على الرقم 7 إلى 8000 رجل. لكنني اعتقد انه إذا كان يريد

أن يحصل على كل شيء لم يكن عنده دائما، كان بإمكانه أن يجمع خلال تقديم الأراضي من الضفة اليمنى من الشلف من 25 الى 30000 رجل.

في خطوات الانتقال من معسكر إلى آخر، كانت الأمتعة والمدفعية، والمخيمات، تنقل تحت حراسة من المشاة المجندين وتلك المجموعات من الأشخاص غير المسلحين جيدا، والتي تحدثنا عنها في وقت سابق. سار الأمير مع الفرسان في خط معركة متواصلة بعمق متفاوت، ولكن بشكل كبير جدا، وعلى مئة قدم ثبت على كل جناح سرب بشكل منتظم. وقف عبد القادر في الوسط، وأحيط به الضباط الرئيسيون وتواجد وراءه جيشه (موكالية)، الذي كان يرفع رايات عائلته، وقد تقدمه اللواء العام. وقد وضع هذا الأمير ببساطة شديدة ودون أي أنواع من الزينة، و وضعت فوق رأسه مظلة من ديباج الذهب فقط.

تم ترتيب المخيم بالطريقة التالية: كانت خيمة الأمير جميلة وواسعة جدا، في الوسط، وكانت تحت حراسة "الشاوش" فقط أو المحضرين. حول هذه الخيمة، وعلى بعد مسافة معتبرة، كانت تلك الخيمات الخاصة بالأمناء، وتلك الخاصة ب" الموكالية " الى جانب المتجر العام. وكان خمس أغوات قريبين من الأمير وكانت مواقعهم في اتجاهات ومسافات محددة من خيمة أميرهم. أماالقايد الذي وضع تحت أوامرهم فاستقر بنفس الطريقة حول الأغوات، و شيوخ والفرسان حول قائدهم.

شكلت ساحة المخيم مربعا بأربعة زوايا حيث وضعت المدفعية.

وضعت خيام المشاة المجندة على الجوانب الأربعة للمخيم، التي تحده، وبهذه الطريقة كانت المشاة تغطي الفرسان. تم رفع المخيم وتمديده بسرعة تثير الإعجاب، دون أن يبدو بأن أحدا تلقى الأوامر في هذه العملية، وفي وقت المغادرة، خرج الأمير من خيمته وذهب للجلوس على كرسي وضع أمام المدخل الرئيسي، حيث كان يسمح للجميع بتحيته.

وفي الوقت نفسه، تم إنزال خيمته وتحميلها على الجمال؛ وبهذه الإشارة، تم تنزيل جميع الخيمات الأخرى وحملت بنفس الطريقة. عندما وصلنا إلى موقع المخيم الجديد، كانت خيمة الأمير هي الأولى التي نصبت، وتلتها بعد ذلك الخيمات الخاصة بالأغوات في الاتجاهات والمسافات المحددة، ثم تأتي خيمات الأخرين من حوله. وقد تم كل ذلك في رمشة عين، ودائما بنفس الطريقة، بحيث كان المخيم لا يزال بنفس المظهر.

ساد النظام الكبير في جلسة واجتماع هؤلاء الرجال المسلحين مثل القبائل العديدة والمختلفة. بعيدا عن الصراخ والشجارات والشتائم، كان الجميع يعيش في السلام والاتحاد. كل يعرف ما عليه أن يفعل، ويفعل ذلك دون تردد ودون ضجيج. ومع ذلك لم يكن هناك أية قواعد للانضباط كما هو الحال لدينا. كل شيء واضح فيما يخص النداء، تفتيش الحراس والمعاقبة، بشدة مثيرة للضحك. أعترف بأنني كنت متفاجئا كثيرا لرؤية السلام والنظام في المخيم. هذا ما جعلني أقوم بتأملات حول الغرور في قوانيننا الشهيرة على الخدمة الداخلية للحملة. صحيح أن العرب ليس لديهم تجار النبيذ. هذا ما يفسر الكثير.

لقد حذرت القارئ بأنه لا ينبغي أن نحكم على جميع اجتماعات العرب بالاستناد على تلك التي وصفتها. ومع ذلك، كان يجب على جيش باي قسنطينة أن يكون لديه نفس العناصر التي توجد لدى عبد القادر؛ ولكن أشك في وجود حسن النية والتفاني للزعيم. في الواقع، لم يكن أحمد باي إلا ذيلا للحكومة التركية، في حين يبدو عبد القادر أنه قد دق ناقوس الخطر من الجنسية العربية، التي يجب أن تثير بالضرورة التعاطف لدى الشعوب الأصلية. أما بالنسبة للتجمعات التي كانت لدينا "للقتال" في ولاية الجزائر العاصمة، فقد كانت دائما قليلة ومفككة، حتى تلك التي كانت في سوق علي، تحت إدارة دوق روفيغو. و"القبايل" في بجاية أكثر عنادا من عرب الجزائر، لكنهم ليسوا أكثر اتحادا.

وقال عدة أشخاص أنه كان من المستحيل الوصول الى العرب، وبالتالي التخلص منهم. هذا غير صحيح، في البداية اعتقدت ذلك، وقد ذكرت في المقال السابق بأننا نسير بشكل صحيح، ونادرا ما كنا نلجأ إلى استخدام القوة، ولكن عندما يصبح العمل ضروريا، ستكون هناك وسيلة لدفع الحرب إلى النهاية، لا سيما في ولاية الجزائر العاصمة، حيث يكون العرب أكثر قابلية للخسارة من أي مكان آخر. للقيام بذلك، لا ينبغي أن لا نسير ضد قوات متحركة مثل ما كانت القوات الخاصة بهم، وبتكتلاتنا الثقيلة، والنشر ضدهم ما هو مميز من تركيبات الاستراتيجية غير المجدية تماما في هذا البلد. لا يجب أن نفقد صلاحية أننا نعطي منظمتنا العسكرية

في العديد من الحالات، ولكن يجب أن تكون لديها هيئة خفيفة من 1800 حتى 2000 من المشاة والفرسان والمدفعية الذكية والمجهزة بشكل صحيح، وتحمل معهم الغذاء والذخيرة. وتشكل هذه الهيئة دائما رأس العمود، وعندما تلتقي بالعدو، سيحاولون صده إلى النهاية. في البلدان المكشوفة حيث الكمائن ليست مخيفة، تحمل مجموعة الفرسان بالمؤن، ويختار كل رجل عدوه، ولا يتوقف حتى يهزمه. فمن المؤكد أن شعبنا الأكثر ارتفاعا سيصل على الأقل إلى المناطق الخاصة بالعدو. في الأماكن أين يمكن للمرء أن يخشى الكمائن، ينتظر مشاة جيش الفرسان للعبور معها في الممرات خطيرة، واستئناف طريقها بعد ذلك؛ هناك صفوف منتظمة تتبع المجموعة الخفيفة من المشاة، لدعمها في حالة الفشل، بدعم من المجموعات المدمجة. تتمتع بهذه الطريقة بفوائد التكتيكات الأوروبية وتلك المتعلقة بكيفية القيام بحرب العرب. يجب أيضا جعل القوات منظمة وأكثر تفطنا، وإزالة الأشياء الكثيرة غير المجدية، واستبدالها بالجمال كوسائل للنقل بدلا من الجرارات.

كتيبة الزواوة وهيئة "سباهيس" المنظمة يمكن أن تشكل نواة هذه المجموعة الخفيفة من الفرسان، التي يكون اسم الفيلق الأفريقي مثاليا لها.

.5

في مدن ومناطق أوطان محافظة الجزائر العاصمة.

الجزائر العاصمة.

الجزائر عاصمة الممتلكات الفرنسية التي تقع شمال أفريقيا، وتقع على خليج مفتوح جدا يمتد بين خليج أو كيب كاكزين وكيب ماتيفو. الميناء واسع جدا وغير آمن. ومع ذلك، هذا ليس موقعا بحريا غير مهم، لأنه لا يشكل إلا بعض الأخطار التي تهدد الملاحة في شهري فيفري ومارس. ومن المؤكد أيضا أنه في حرب بحرية سيكون من المفيد جدا لفرنسا.

بنيت الجزائر إلى حد كبير على منحدر تلي حاد. المدينة السفلى، وهي عبارة عن سهل، تعبرها ثلاثة طرق رئيسية تؤدي ثلاثتها الى مكان الحكومة، والتي تحتل المركز. هذا المكان الذي يطل على البحر، واسع جدا و وسوف يكون لطيفا جدا عندما تكون المنشآت التي يجب أن تحيط به قد تم بناؤها. البلدة العلوية هي متاهة من الشوارع الصغيرة الضيقة والمتعرجة. وواحدة منها فقط طويلة وأوسع قليلا من الأخرى. هي

تلك الموجودة أسفل المدينة، والتي تؤدي إلى القصبة، حيث أخذت اسمها.

بشكل عام الجانب المادي للمدينة هو مثير للإشمئزاز. البيوت التي ليس لديها تقريبا أي فتحات خارجية، هي متقاربة جدا بحيث تلمس بعضها تقريبا من الأعلى، والممرات الضيقة التي تسمى الشوارع، هي، في الواقع، قنوات مظلمة يمكن أن نتخذها مثل المجاري. لكن بعد بضعة أيام من التعرف على هذا البناء، الذي تتعارض فيه حرارة المناخ على بقية المحاسن. لم نصطدم إلا بالحركة الاستثنائية الموجودة في هذه المدينة، التي تزدحم شوارعها باستمرار مع حشد متنافر وغير متجانس من الناس بتنوع زيهم وعاداتهم، مما يعطي صورة أكثر تنوعا وإثارة للاهتمام .

الرغبة الكبيرة التي كانت لدينا هي أن نجعل من الجزائر واحدة من المدن الأوروبية، بتوسيع وتصويب الشوارع الرئيسية، التي كانت على نحو غير مناسب في كثير من الأحيان، والتي تحتاج إلى العديد من عمليات الهدم. الإدارة التي وضعت كل الإجراءات الرسمية للتدمير، والتي ذكرت بإعادة البناء، وعارضت بطء قراراتها في نشاط الأفراد الخواص الذين كانوا يسعون الى استبدال المباني المغاربية التي حطمتها المطرقة الإدارية بمباني أوروبية، مما أدى الى مرور مدة أربع سنوات من التدمير دون إعادة البناء. لكن في الأخير، ومنذ عام، تمت إزالة بعض الحواجز، وبدأت الجزائر العاصمة الجديدة في الظهور من تحت أنقاض القديمة. ولكن من المؤسف أن نتخلى تماما عن الهندسة المعمارية

العربية التي كانت رشيقة جدا ومناسبة جدا للمناخ، وسيكون من السهل جدا، وضع بضعة تعديلات طفيفة لتغيير عاداتنا.

نحن قد عرفنا من قبل الجزائر من وجهة نظر عسكرية، وتحدثنا عن جدرانها وحصونها، كما كانت في ذلك الوقت الذي احتلها فيه الفرنسيون. ونحن لن نكرر ذلك. كان يسكن في البلدة في تلك اللحظة 6000 أوروبي بما في ذلك الموجودون في ضواحي المنطقة، و14000 (14 ألفا) من المسلمين 5000 من اليهود.

يمكن أن نضخم هذه المقالة بمجموعة من التفاصيل والاعتبارات عن الجزائر، ولكن وجدت بالفعل، بأنها ستجد مكانها في أجزاء أخرى من هذا الكتاب.

"الفحوص" أو ضواحي الجزائر العاصمة، هي منطقة جميلة حيث الطبيعة مميزة جدا و تعبرها مجموعة من الوديان العميقة الواسعة، ووافرة النباتات؛ العين هناك تحدق بفرحة في مجموعة متنوعة من المواقع الخلابة التي تنافس بعضها البعض، بحيث يجد المسافر صعوبة في التعرف على الأماكن التي لم يحل فيها بعد إلا بوجهتين أو ثلاث وجهات نظر فقط. كما أن الرتابة المثيرة للإعجاب، لا وجود لهذا إلا في هذا البلد الجميل، الذي يشبه المشكال البارع، وبدون التوقف عن التأمل المستمر لهذه المجموعات الجديدة.

يقطن الفحوص الآن سكان مختلطون يضمون السكان الأصليين و الأوروبيين، وهي خاضعة تماما كما هو الحال في مدينة الجزائر العاصمة نفسها:

تنقسم إلى سبعة أقاليم هي: بوزريعة؛ بني مسوس، زواوة؛ عين زبوجة؛ بئر خادم، القبة؛ الحامة.

كل هذه الأحياء لديها قائد والذي يعتبر لدى الأهالي مثل الشيخ، ولكن بالنسبة لنا فهو أكثر تواضعا من لقب شرطي. هؤلاء الشيوخ تحت قيادة قايد الفحوص، الذي يقطن بالجزائر العاصمة، ويحصل على راتب يقدر بـ 90 سنتيما. لليوم الواحد. يوضع تحت الأوامر المباشرة للقائد ومعه سبعة من الحراس الذين يتلقون نفس الأجر. راتبه كان يقدر ب 60 فرنك في الشهر. هو موضوع تحت الأوامر المباشرة لقائد الدرك. كل هذه المنظمة لا تخلو من العيوب تماما، كما ينظر إليها، لأنها تترك الأوروبيين دون رئيس (قائد)، باستثناء تلك القرى مثل القبة ودالي إبراهيم، التي كان لديها ما يشبه رؤساء البلديات بلقب قائد الأحياء. وينبغي تقسيم الفحوص إلى بلديات برؤساء بلديات أوروبيين ونواب من الأهالي. هذا ما يضمن العمل الإداري، الذي يعاني من نقص عمال أو وكلاء للوساطة في الريف، وجعل مراقبة أو رصد الدرك أسهل وأكثر انتظاما. في الحالة الراهنة، ترتكب مضايقات وأعمال عنف بين الجنسين الواحد ضد الآخر دون أن يلاحظها أحد تقريبا. هنا يوجد العرب الذين دمروا الممتلكات الأوروبية، وهناك يوجد الأوروبيون الذين قاموا بالاستيلاء التعسفي على ممتلكات العرب، من قبل حراس استولوا على ماشيتهم، وأراضيهم، ثم قاموا بالابتزاز بلا رحمة. هناك

من يتباهى علنا لأنه وجد بهذه الطريقة وسيلة للحصول على فائدة مضمونة من ممتلكاتهم: هذا اعتداء جماعي من المستعجل إيقافه[1].

بعد التعرف على كل الفحوص، يبقى لنا أن نتحدث حول كل حي سكني على حدة.

بوزريعة تأخذ اسمها من جبل بوزريعة، الموجود فيها: يحدها من الشمال والشرق البحر، ومن الغرب الساحل، ومن الجنوب بواديين بفصلانه، الأول من حي بئرخادم، والثاني من حي بني مسوس. وتنقسم أراضيه الى قسمين: القسم السفلي الذي يمتد على طول البحر، والعلوي والذي يضم سهولا من جبل بوزريعة وتوابعها. الجزء السفلي ضيق، وجميل جدا وخصب جدا، ويمتد لكيب كاكزين. انطلاقا من منطقة "بيسكاد"، التي لم يزرها الفرنسيون إلا نادرا، والمور الذي يقطنونها، يعيشون في عزلة تامة. المسار على طول البحر في هذا الاتجاه، والطريق الذي يربطه به في حالة سيئة جدا: ولكن هذا الجزء الجميل من الفحوص ، يستحق أن يعامل على نحو أفضل في هذا الصدد. عند مدخل هذا الجزء السفلي توجد مزرعة الداي القديمة، والتي جعلها دوق روفيغو مستشفى رائعا، على الرغم أنه جعل ليكون مكان إقامته في الصيف. وبجانبه يوجد مستشفى سالباتريار؛ وبعيدا عنه يوجد حصن الإنجليز، ويوجد بعيدا أيضا حصن بيسكاد، الذي كان موقعنا الأخير في هذا الاتجاه. بالصعود من الجزء السفلي الى الجزء العلوي لبوزريعة، يعض الممرات أهمها تلك التي تشكل الحوض الغربي لبوزريعة: هذه المسارات نادرة ومنبوذة. ومع ذلك، فهي

(1) تقسيم فحص الى بلديات حدث مؤخرا فقط سنعرف به عندما نتحدث عن إدارة الجنرال إيرلون.

مرغوب فيها جدا كواحدة على الأقل من الممرات الجيدة للسير في مصلحة استغلال المزارع في الأرياف الغنية، التي تغطي قمم بوزريعة المناسبة جدا لزراعة أشجار الزيتون. يحتوي الجزء العالي في هذه المنطقة على عدد كبير من المنازل المعزولة التي يقطنها المور، وهم في بوزريعة العظمى و وبوزريعة الصغيرة. غير بعيد كثيرا عن الأولى، توجد منطقة المرابطين بسيدي يوسف. بعد هذه النقطة، هناك حضور قليل للأوروبيين في المنطقة. هناك في حي بوزريعة يوجد 150 من الأهالي القادرين على حمل السلاح.

بني مسوس، على يمين الطريق المؤدي إلى دالي إبراهيم، وما وراء قنصلية هولندا، يوجد حي صغير لا مثيل له في الجمال والخصوبة؛ العديد من الأوروبيين لديهم ممتلكات هناك. هناك 42 من الأهالي القادرين على حمل السلاح. هناك قرية مور تحمل نفس الاسم.

عين زبوجة هي المنطقة التي تقع فيها قرية دالي إبراهيم، وهي جنوب بني مسوس قليلا أوسع وأقل جمالا من سابقتها. سكان المنطقة في حالة حمل السلاح بالنسبة إلى 67 من رجالها؛ في هذا الحي يوجد واد جميل يسمى القدوس. تم بناء قرية دالي إبراهيم في المقام الأكثر جفافا في البلاد. أردنا اختياره موقعا عسكريا كنتيجة مهيمنة، وقد ضحي بكل شيء من أجل هذا الاعتبار أو الحساب، الذي لم يعد أحد البؤر الاستيطانية التي كانت عندنا في الدويرة. ما يمكن أن يكون جيدا لاقامة معسكر، وهذا بالتأكيد لا يكلف أي شيء بالنسبة الى قرية زراعية، وكان على المستوطنين في دالي ابراهيم، في الصيف، جلب الماء على بعد نصف

ميل من منازلهم: في هذه القرية ذات المنازل البائسة تضم 230 شخصا، اللذين وزعت عليهم 304 هكتارا من الأراضي. إلى جانب دالي إبراهيم يوجد المعسكر الذي يحمل نفس الاسم، والذي تشغله كتيبة: وهو يتكون من ثكنات من طابق واحد من الطين وتم تغطيتها بالقش، ورتبت على شكل مضلع بأربعة جوانب لتقديم مظهر المعقل.

الزواوة، وراء بني مسوس، وباتجاه البحر، هو حي مليء بالسكان إلى حد ما، ولكنه غير واسع كثيرا، ويقال ان الزواوة أخذوا اسمهم من الأتراك، اللذين استقروا هناك حوالي قرن من الزمان. هناك في زواوة 73 رجلا من الأهالي ممن يحملون السلاح.

بئر خادم هي أكثر المناطق اكتظاظا بالسكان في الفحوص، وهي تمتد على طول المسار الجديد بهذا الاسم، من مرتفعات مصطفى باشا ، إلى جسر واد الكرمة: أنها تأخذ اسمها من مقهى مغاربي جميل، و نافورة رائعة تحتل المركز، نجد في الفحوص العديد من المقاهي التي تستخدم كنقاط للقاء أو الاجتماع بين السكان ، ولكنها ليست أكثر جمالا وأفضل موقعا من تلك الموجودة في بئر خادم. على بعد ربع ميل من المقهى، يوجد المعسكر الذي يسمى أيضا بئرخادم. نجد أيضا في أراضي بئر خادم معسكر تقصراين ، اللذي يقع بين دالي براهيم، وبئر خادم، والسكان الأصليون لهذه المنطقة من المحتمل أن يحمل 221 رجلا منهم السلاح.

القبة، ما بين بئر خادم و"آرات" (الحراش)، على مرتفعات جنوب شرق

مصطفى باشا هذا الحي عرضة لازدهار الزراعة فيه، ولكن الجزء الذي يجاور متيجة غير صحي، وهذا هو المكان الذي هنا نجد المزرعة المعروفة بالمزرعة النموذجية، والتي من المتوقع أن تكون قد سميت هكذا، ولم تكن أبدا من المزارع النموذجية. تحت إدارة الجنرال كلوزيل ، تم تشكيل شركة مجهولة لاستغلالها ، لكنها لم تفعل شيئا يمكن أن يجعل المزرعة تستحق ذلك اللقب. قرية القبة الأوروبية كانت تتميز بموقع أفضل، على الرغم من أنها أكثر بؤسا من دالي إبراهيم، وكان لديها 92 شخصا تم توزيعهم على 150 هكتارا من الأراضي. على بعد نصف ميل من هذه القرية، على قمة المرتفعات، يوجد المخيم الذي يحمل نفس الاسم. منطقة القبة الأصلية لديها 136 شخصا قادرا على حمل السلاح.

الحامة، أصغر منطقة في الفحوص، وتمتد على طول البحر تحت مصطفى باشا والقبة. وهي جميلة رائعة وخصبة، والتي يجتازها طريق المنزل المربع، على طول البحر، وتلك المنطقة المسماة قسنطينة ، على طول تلال مصطفى باشا، صعودا الى القبة، من خلال المقاطعة، و نزولا إلى الشرق سهول المزرعة النموذجية. نجد على هذا الطريق، على بعد ميل من الجزائر العاصمة، مقهى وقرية الحامة المعروفة بين الأوروبيين باسم "بلاتان". على طريق إلبيت المربع، نرى مقهى حسين داي، وحي الفرسان الذي يحمل نفس الاسم ليس بعيدا عن الحديقة الشهيرة للتجنس. لا يوجد سوى 41 رجلا قادرا على حمل السلاح.

البليدة.

تم بناء البليدة في سفح الأطلس الصغير على بعد 12 ميلا جنوب الجزائر، في وضع جميل وعلى الأراضي الخصبة جدا والماء موجود فيها بوفرة. ليس هناك ما هو أكثر جمالا من هذه المدينة الساحرة، ويحيط بها حزام سميك من أشجار البرتقال والليمون. بنيت البليدة بشكل منتظم عن الجزائر، وعادة ما تكون الشوارع على نطاق أوسع وأكثر توافقا. ولديها جدار واحد فقط في حالة سيئة. سكان المدينة، الذين يشهدون تطورا واسعا، كانوا يقدرون ب اثني عشر الى 15000 نسمة، لكنهم يتراوحون اليوم ما بين 5 و 6000 فقط. شهدت المنطقة زلزالا رهيبا في عام 1825 مما أثر عليها، بما في ذلك قتل الكثير من الناس. حاولت الحكومة التركية إعادة بناء بعض المنازل الأبعد من الجبل، ولكن الحظيرة المسيجة فقط هي التي بنيت في هذه المدينة الجديدة. وهذا ما يسمى البليدة الجديدة.

القليعة.

القليعة هي مدينة صغيرة جدا، أو بالأحرى قرية من 1500 الى 1800 نسمة، بنيت على شاطئ مازافران الأيمن، على بعد ثلاثة أرباع ميل من النهر، وعلى مسافة من هذا القبيل من البحر. و تقع في واد خصيب، وتحيط بها الحدائق الجميلة. القليعة هي مدينة مقدسة للعرب، أيضا، على الرغم من ضعفها، الا أنها لا تخاف من هجمات الأعداء.

دلس.

دلس هي مدينة صغيرة مثل القليعة، وتقع على حافة البحر، عند سفح تلة مغطاة بالمساحات الخضراء. تقوم مع الجزائر، التي تبعد عنها بحوالي 15 ميلا، بتجارة نشطة نسبيا في الفواكه و غيرها من المنتجات. سكان دلس متميزون في فن صباغة القماش.

شرشال.

شرشال هي قيسارية (القيصرية) القديمة، عاصمة موريتانيا القيصرية، التي أولى لها جوبا II اهتماما خاصا لتجميلها. ولم تبق الا القليل من بقايا الدولة السابقة. وبالكاد تمثل الآن ثلاثة الى 4000 نسمة. تحتوي المنطقة على ميناء صغير، ويتكون من شريط من الأراضي البعيدة قليلا عن البحر، والتي تبدو أنها وضعت بيد انسان. المدخل كان يحميه قصران مسلحان بالمدافع. سكان شرشال حربيون، وقد دافعوا دائما بنجاح ضد القبائل المجاورة عندما كانوا يتعرضون لهجوم. كانت تقيم بعض التجارة مع الجزائر.

مقاطعة بني خليل.

يحد مقاطعة بني الخليل من الشمال الفحوص أو ضاحية الجزائر، ومن الجنوب محافظة التيطري، ومن الشرق أرات (الحراش)، الذي يفصلها عن بني موسى والى الغرب شفة ومازافران اللذان يفصلانها عن مقاطعة واد السبت. وتتكون

من ثلاثة أقسام رئيسية وهي "الساحل"، سهل أو منطقة بوفاريك والجبل. الساحل هي الأقرب في التقسيم الى الفحوص. وفي التضاريس، هي مغطاة نبات المصطكي والبلميط (النخيل القزم) والآس(نبات عطري) وغيرها. لكنه يحوي بعض الوديان الخصبة والمروية جيدا: مجرى الماء الرئيسي للساحل هو واد كرمة أو نهر التين، الذي يصب في الأرات (الحراش)، ليس بعيدا عن المزرعة النموذجية. وينقسم الساحل إلى أربعة كانتونات أو أقاليم وهي أولاد فايد (أولاد فايت) والمعالمة وبن شاوا (بوشاوي) و الدويرة.

أولاد الفايد، الذي يوجد مقره بجانب البحر المجاور لسيدي فرج هو الاقليم الذي تقل فيه الجبال في الساحل. يحتل المركز سهلا خصبا هو سهل سطاوالي، الشهير بمعركة 19 جوان 1830 . كل شيء في هذا الكانتون (الاقليم) يعود بنا الى ذكريات تاريخ هذه الفترة، وهنا توجد سيدي فرج نقطة هبوط الفرنسيين. الطريق الذي بنوه يعبر الإقليم من الشمال الغر بي الى الجنوب الشرقي. وهو عملي جدا، على الرغم من أنه لم تتم المحافظة عليه. طريق الدويرة بدأت في 1833 وهي تمر الى شرق اولاد فايد. المراكز الرئيسية لسكان كانتون أولاد فايد هي عين أسطاوالي والشراقة و أولاد فايد، وحوش شيوا.

المعالمة منطقة واسعة، ولكن مأهولة بالسكان، بين أولاد فايد ومتيجة. وهي منطقة جبلية وتعبرها وديان واسعة وعميقة. المراكز الرئيسية للسكان فيها هي معالمة وحوش بن كندورة ، حوش بن عمر ودحكتة والسعدية، وبطرنة وبن شعبان، وحوش تونة وحوش بيري، وهي مزارع أو قرى قريبة من مازافران

والتي هجرت نتيجة نهب الحجوط. الطريق من الجزائر العاصمة الى القليعة، هو مسار سيئ جدا يعبر هذه البلدة من الشرق إلى الغرب. الاتصالات بين جانبي مازافران، يكون بمعبرين (جسرين) واقعين على بعد 2/1 ميل عن بعضهما البعض: الأول يسمى مقطع خيرة، وهو يوجد في رافد واد ومازافران وواد بوفاريك، في عمق أحد الممرات، أما الثاني فيوجد في الجزء السفلي من الوادي: وهو المعروف باسم مقطع النصارى. المنطقة الموجودة فوق وتحت هذين المعبرين أو الجسرين عبارة عن غابة جميلة، هذه الغابة رطبة وتدخل في الجزء الذي يمتد الى سهل متيجة، وهو في هذا الاتجاه، ويبدأ على مسافة قصيرة من مقطع خيرة.

الدويرة، أقل هذه الكانتونات اتساعا في الساحل، ولكنها جبلية مثل المعالمة، الموجودة شرقها، وتتركز الكثافة السكانية في حوش باب حاسم والكسارية والدويرة واولاد منديل، التي تقع عند سفح التلال. ويحتل معسكر الدويرة وسط البلدة.

بن شاوا، تقع في شرق الدويرة، و هي في جزء التلال من السهل. المراكز السكانية تتواجد في بن شا وا، وأولاد سليمان، وأولاد بن الحاج. الجزء الموجود في السهل تحتله غابة بئر توتة، التي تعبر الطريق الرابط بين الجزائر العاصمة والبليدة.

يوجد حي بوفاريك كله سهل ويعبره من الشرق إلى الغرب نهر يحمل نفس الاسم، ويصب في مازافران بالقرب من مقطع خيرة: تم

تقسيمه إلى ثلاثة كانتونات، والتي هي أوتا ومريجة والحمايد.

توجد أوتا ما بين طريق البليدة والأرات (الحراش): هي ليست خصبة جدا في محيط هذا الطريق، ولكنها تغير مظهرها على ضفاف النهر: المراكز السكانية الرئيسية هي أولاد شبل، وهي واحدة من أجمل القرى في السهل وقوريث وسوق علي، ومزرعة البيلك ، حيث يوجد مبنى كبير، و حوش[1] بايل الغرب.

المريجة، كما يوحي اسمها، رطبة ومستنقعية جدا وتتشكل المستنقعات فيها بالقرب من نهر بوفاريك. المراكز السكانية الرئيسية هي: حوش بن خليل ومريد وبوعاقب. بالقرب من هذا الحوش الأخير يوجد سوق بوفاريك؛ هناك عدة تيارات مائية (أنهار صغيرة) في هذا المكان، التي يعبرها طريق البليدة عبر عشرة جسور حجرية في حالة سيئة جدا.

الحمايد هو الجزء الأكثر جمالا من مقاطعة بني خليل. فهي تمتد إلى سفح الأطلس، و المراكز الرئيسية السكانية فيه هي قرواو و زحلوقة وهي قرى كبيرة جدا؛ حوش أربيزا وحوش الشاوش ومزارع بيلك، حيث يوجد أيضا عدد كبير من المباني التي يسيطر على سوق بوفاريك: طريق السوق الى البليدة يفصل بين الحمايد ومريجة.

جزء من مقاطعة بني خليل موجود في الجبل وهو غير معروف كثيرا. ويشمل قبائل "قبايل" بني مسرة، وبني مسوس وبني صالح . بني مسرة هي قبيلة ذات كثافة سكانية ضئيلة جدا؛ تسمي فروكة،

(1) الحوش هو مزرعة. - جمعة هي قرية. – الدشرة هو اسم القرى في الجبال. العرش هو مقاطعة فيها قبائل. - الدوار هي قرية من الخيام.

الجزء الثاني، 5.

جزء من أراضيها التي تلمس أراضي بني موسى. بني صالح توجد شرق بني مسرة، فوق البليدة ، وتضم هذه القبيلة حوالي 500 بندقية، ولكن 7 أو 8 فرسان فقط، وهي غنية وخصبة، وكان قائدها العربي بن براهيم، الذي كان لمرتين قائد المقاطعة. كان شيخ بني صالح في سن 8 سنوات بعد وفاة والده، الذي كان له هذا اللقب. بني مسوس توجد جنوب شرق بني صالح، تماما في قلب الجبل، وهي قبيلة صغيرة ترتبط بموقعها الى بني صالح.

يتم تقييم عدد سكان مقاطعة بن خليل بحوالي 3000 أسرة. من الصعب حكم هذه المنطقة المغيظة، ولكنها أقل شجاعة في السهل. يمكن أن تضم 700 فارسا و1200 من المشاة. الحجوط، التي تعامل الناس بازدراء كثير في بني خليل، كتبت ضدهم أغاني مرحة للغاية، حيث يعرفون بتجار الزبدة الجبن. تحت إدارة الأتراك، كان هناك في "أوطان" (مقاطعة) بني خليل قائدين للعاشور، واحد منهما بقي في الحمايد، والآخر في الساحل. قايد "أوطان" (مقاطعة) كان له في البليدة الجبل، ملازم أول يحمل لقب شيخ المشايخ، وكان في نفس الوقت قايد العاشور لهذا الجزء من المقاطعة.

بالإضافة إلى العشر، تدفع المساهمات في "أوتان" (المقاطعة) كل شهرين، تقدر بـ 2،675 ريال دران صغر (1،605 فرنك). بين الاحتفال برمضان وبيرام حوالي 8،800 ريال (5،280 فرنك) المبلغ الموجه الى الداي وموظفيه. وأخيرا يأخذ القايد شهريا، 200 ريال أو120 فرنك. ومجموع هذه المساهمات يرتفع بالتالي الى 16،350 فرنك في السنة.

يحصل قايد "أوطان" (مقاطعة) أيضا على بعض السلع التي توضع للبيع في سوق بوفاريك: يحصل في يوم واحد على 1 بوجو أي 1 فرنك و80 سنتيما. عن بغل، أو إبل أو ثور يتم حجزه، و كما كان يحصل على حصة كبيرة نسبيا من جميع الغرامات : يقدم له زوار البليدة أسبوعيا ربعين من الأغنام، ومقدار شعير و 8 خبزات.

يوجد في حوش بن عمر في الساحل، أطلال أو آثار مباني تقول عنها التقاليد القديمة للمنطقة أنها كانت قصرا لأميرة مسيحية، تدعى متيجة، التي أعطي اسمها لسهل متيجة. هذه الأميرة، التي يقال أنها كانت ذات سلوك غير منضبط جدا. هل كانت هذه كافا التي دفنها مارمول بالقرب من هنا؟

"أوطان" (مقاطعة) بني موسى.

"أوطان" (مقاطعة) بني موسى هي أقل اتساعا، ولكنها الأجمل والأكثر خصوبة في محافظة الجزائر: يحدها من الشمال الفحوص وفي الجنوب بني خليفة، و إلى الغرب الحراش، الذي يفصلها عن بني خليل وإلى الشرق منطقة كراشة. وتسقى المنطقة بالحراش وجومة وهو النهر الغزير التي يصب بالضفة اليمنى، تحت المزرعة النموذجية. تضم المنطقة قسمين رئيسيين وهما السهول والجبال.

سهول بني موسى هي منطقة جبلة ذات كثافة سكانية عالية مقارنة مع بقية مناطق متيجة: تحتوي على 101 حوش مشجرة، وبالقرب بالماء وقريبة من بعضها البعض، وتنقسم بدورها الى سبع مناطق، وهي: شبراية و أولاد حامد و الحميرات وأولاد سلامة، والمرابة الشرافة وبني حورلي والمرابة الغرابة.

الجزء الثاني، 5.

وينقسم الجبل إلى سبع مناطق، وهي بني عزون و بني محمد، بني كشميث وبني زرقين وبني أثيا وبني جليد وبني غمد.

ويقام سوق بني موسى كل يوم أربعاء، في المكان الذي اتخذ اسم "اربعا" هناك عند سفح الجبل.

تحت إدارة الأتراك كان هناك في بني موسى قايد للعشور. قايد "أوطان" (مقاطعة) غير محدد التعاملات: لم يكن لديه الا الحقوق التي يحصل عليها في السوق، وحصة من الغرامات. يدفع "أوطان" (مقاطعة) بني موسى مبلغا شهريا يقدر ب 700 فرنك، بالإضافة إلى العشر.

تستطيع بني موسى بالكاد توفير 200 فارسا و 300 من جنود المشاة.

"أوطا ن" (مقاطعة) خشنة.

يحد "أوطان" (مقاطعة) خشنة من الشمال البحر، إلى الجنوب مقاطعة بن جياد و حمزة، ومن الشرق بقورصو، الذي يفصل بينها وبين "أوطان" (مقاطعة) إيسر، و من الغرب بني موسى. تروى المنطقة بواد الحراش، Arath والحميز وواد الرغاية و قورصو، وهي تلمس الفحوص بالقرب من مصب الحراش، فوق وتحت المنزل المربع. لعبور هذه المنطقة يوجد فوق النهر جسر حجري ناعم جدا من خمسة أقواس.

سهل خشنة، بما في ذلك التلال بمثابة نوع من الطرق للسير الى الأطلس على الأقدام، وينقسم هذا الاتجاه إلى 8 مناطق، وهي زروالة، في التلال التي تحدثنا عنها. هذه البلدة جميلة بشكل مثير للإعجاب. كما نجد القرية الكبيرة

الجزء الثاني، 5.

والجميلة كدرة، جنوب زراولة في السهل. ميريجة وأولاد أداج وأولاد بسام، وأولاد ساعد وشعير بن جنان وأرواش.

يضم جبل خشنة: في الوسط، قبيلة "قبايل" أمال، وفي الغرب قبيلة واد الزيتون، التي يقطنها الكرغليون بالكامل تقريبا، أحفاد الذين تم نفيهم من قبل الداي، منذ ستين سنة تقريبا. من الشرق قبائل بني عائشة. هذه القبائل الثلاث غنية جدا بأشجار الزيتون، وتقيم مع الجزائر تجارة كبيرة في الزيت. طريق قسنطينة الذي يعبر خشنة، يمر على واد زيتون. سهل خشنة خصبة للحبوب بما فيه الكفاية: بعض المستنقعات بين المنزل المربع وكدرة، وعلى ضفاف واد رغاية: هناك على الضفة اليمنى من النهر، على بعد ميل من البحر، مزرعة جيلة بنفس الاسم، حيث يوجد ما يقرب من مستقر لـ900 حصان، يمكن أن يكون ذلك جيلا جدا ليكون موقعا عسكريا، ولكن ربما يكون غير صحي. حوش رغاية على بعد أربعة أميال شرق المنزل المربع: في نصف هذه المسافة، نجد راسوتا، حيث يوجد مبنى من الحجر في حالة سيئة. منطقة روساتا يحتلها العريب الذين جمعهم الجنرال فوارول تحت قيادة بن زكري. على بعد ربع ميل من هذه المزرعة نجد حصن المياه (برج الكيفان) على حافة البحر: كان العريب يسهرون على حراسته، وهناك بعض المدافع: على بعد ميلين من هنا يوجد خليد وحصن ماتيف، حيث لا تزال هناك بعض المدافع المثبتة.

خشنة غنية بالمراعي الخصبة والجميلة، وخاصة على حواف الحميز: حقق الجيش الفرنسي، في عام 1833، حصادا وفيرا من التبن. في عام 1834، ذهب الفرسان لأخذ الأخضر منه.

في هذه المقاطعات، بين كيب أو خليج ماتيفو ومصب الحميز، نجد آثار وبقايا روستانيوم، وهي مستعمرة رومانية تسمى أيضا روسغانيا او روسكانيا أو روستيزيا. يحتفظ حوش الرغاية أيضا بآثار بهذه الأسماء. لا يزال في هذه المدينة يوجد الحطام الذي يشكل ميناء ومقاطع من الجدران المرتفعة قليلا، والتي تنتشر على مساحة واسعة إلى حد ما، حتى تحت الأرض، بعض الفسيفساء، ولكن لا يلاحظ أي شيء ملحوظ عن وجود حصن. يمكن أن نجد الميداليات وشظايا التماثيل. يجدها المرء في الكثير من الأحيان.

نرى في كانتون أو بلدة أولاد بسام، تخطيطا يتم الاحتفاظ بشكله جيد، ولكن الجدران هوت على الأرض. الحفريات تنتج أيضا بعض الميداليات حول هذه النقطة.

بالقرب من القرية الجميلة الخضراء، توجد أنقاض من قلعة قديمة والتي تظهر بناءا رومانيا. يمكن أن تجمع 800 حصان و 1500 من المشاة.

أوتلزان ايسير.

يحد "أوطان" (مقاطعة) ايسير (يسر) من الشمال البحر، ومن جنوب حزة من الشرق "أوطان" (مقاطعة) ايسير، الذي يفصله عن سباعو وإلى الغرب فورصو، الذي يفصله عن "أوطان" (مقاطعة) خشنة الخصبة جدا، وإن كانت هناك بعض المستنقعات، ويحتوي على عدد كبير من القرى الصغيرة، جميعها قريبة جدا من بعضها البعض: جانب ايسير الذي يقع في الجبل يشهد تجارة كبيرة مع الجزائر بالزيت. ورغم أن هذا "الوطن" (مقاطعة) يقع في ولاية الجزائر

العاصمة، الا أن باي التيطري عين فيه قايدا. اليوم ليس هناك زعيم معترف به، ولكن منذ أن توقف بن زمون عن التصرف العدائي معنا، على الرغم من أنهم لا يعترفون بسلطتنا بأي شكل من الأشكال.

"أوطان" (مقاطعة) سباعو.

يحد "أوطان" (مقاطعة) سباعو من الشمال البحر، ومن الجنوب قبيلة قوية من "قبايل" فليسة؛ ومن الشرق الزواوة، وإلى الغرب من ايسير. وتسقى من إيسر، وبوبارك وواد سباعو، التي تتدفق في البحر.

قايد سباعو كان قويا جدا تحت الحكومة التركية، وكان لديه حق الحياة والموت، كما كان محاطا بالقبائل المستقلة، مما كان من الممكن أن يعطيه قوة كبيرة.

عاش في حصن سباعو على نهر من نفس الاسم. مازال هذا الحصن مسلحا بستة مدافع، لم يعد يحتله أي شخص. على بعد ميلين إلى الشرق، كان هناك حصن آخر حصن يسمى تيزي وزو، الذي يقال انه قد تم تدميره من قبل العرب: على مقربة من هذين الحصنين كان يقطن العمراوة، وهي قبيلة قوية من "القبايل" والتي تمتد على السهول والجبال. وبالاتجاه الى الشمال على بعد أربع ساعات سيرا على الأقدام من سباعو الحصن، توجد بلدة صغيرة تسمى دلس، على حافة البحر. ضواحي هذه المدينة تقطنها قبيلة "قبايل" فليسة البارد (فليسة البحر)، التي تعترف بسلطة قايد سباعو، والتي تمتد أيضا إلى القبائل "القبايل" في الجبال على مقربة من الشرق، من سهل متيجة. سنقدم التسميات

التالية حسب مقربة المناطق الى البحر: بني أوغانون، بني سيناد، بني سالم، بني يراتد، بني طهر، تزليونة، وبني خلفون.

إلى الشرق من هذه القبائل يوجد "القبايل" المتكونة من القبائل الرئيسية مستقلة وهي زفون، كايلا، بني ايدل، بني عبد الله وبني أوغليس ومزاية التي تحيط أراضيها ببوجي (بجاية).

قبيلة فليسة موتاقة في شمال "أوطان" (مقاطعة) سباعو، هي هائلة وقوية جدا. وهي مقسمة إلى 19 كانتونا والتي يمكن أن تضع كل 400 إلى 2000 رجل تحت السلاح. تقوم فليسة بصناعة مسحوق البارود والأسلحة، والتي تتمثل في الغالب في الياتاغان، و لها سمعة كبيرة في البلاد: في أرضيها يوجد جبل جرجرة، وهو أعلى نقطة من الأطلس الصغير، ومنزل كبير المرابطين بن إيري ؛ وفي فليسة أيضا، ولكن هذه المرة عند مدخل السهل، الى أقرب نقطة من ايسير يقطن الشهير بن زمون. منزله يوجد على بعد ميلين من برج منايل، مزرعة البيللك، التي تقع في ايسير، وتدعى بني شنشة.

ولاحتواء سكان فليسة بنى الأتراك قلعة فوق سباعو، في مكان يسمى بوغاي، وهو تحت حماية حامية قوية. كان لديهم زمول في سباعو وفي تيزي وزو.

"أوطان" (مقاطعة) حمزة.

تقع مقاطعة حمزة خارج سلسلة الأطلس الصغير،وكانت تنتمي إلى محافظة قسنطينة، ثم تيطري، التي فصلت عنها منذ 8 أو 10 سنوات. سكن قايد

الجزء الثاني، 5.

"أوطان" (مقاطعة) في سهل حمزة، في الحصن الذي يحمل نفس الاسم، حيث كان هناك حامية تركية قوية دائمة. لم يكن يحكم فقط في السهل، ولكن في قبائل "القبايل" بلعزار أيضا، وأولاد بني الله، وأولاد مدور، معه قبيلة أولاد بليل العربية، التي تشكل معا مجموعة فرسانه.

تم غزو حمزة مؤخرا من طرف قبيلة قوية من البدو الرحل أولاد المعادي، التي يتزعمها أبيل دياب بن حامد العدو الكبير لحامد باي: لقد كتبوا لنا عدة مرات لعرض خدماتهم في حالة التوجه الى قسنطينة. في عام 1833، هزموا القوات التي أرسلها حامد باي في محافظة التيطري الذي يعيش في دريسا وراء جرجرة.

بنيت قلعة حمزة على أنقاض مدينة من أوزا أو أوزيا. العرب يطلق على هذه الأطلال اسم سور الغزلان. بعض هذه كان قائما في عهد "شو" الذي يجرد العديد من المخطوطات أو النقوش اللاتينية هناك.

"أوطان" (مقاطعة) عريب.

عريب هي قبيلة عربية من الصحراء جاءت لتستقر في سهل حمزة، الذي كان له قايد خاص، المستقل عن قايد "أوطان" (المقاطعة)؛ منذ غزو أولاد المعادي، تفرقت عريب. أولئك الذين توجهوا الى متيجة تجمعوا بعد ذلك في حوش راسوتا تحت قيادة بن زكري.

"أوطان" (مقاطعة) بني جياد.

تقع هذه المقاطعة شمال مقاطعة الخشنة، و تتكون من الجبال والهضاب العليا: ويقطنها العرب وقبيلة "قبايل" كستولة. يوجد هناك الكثير من الفحم وتزرع أشجار الزيتون و الفوة (نبات صبغي). يعيش هذا البلد في فوضى عارمة. عين الدوق دو روفيغو بن شنعان في منصب القايد، الذي اغتيل بعد ذلك. أراد باي قسنطينة أن يضع أحدهم على طريقته، والذي كان دالي حاسم كرغلي من أولاد زتون، ولكنه طورد من طرف السكان.

"أوطان" (مقاطعة) بني خليفة.

يحيط بهذه المنطقة من الجنوب والغرب محافظة التيطري، يحدها من الشمال بني موسى، وإلى الشرق بني حمزة وبني جياد: ويسكن فيها كل من بني خليفة، وبني سليمان وبني سليم و، ولم يعين هناك أي قايد. المنطقة جميلة جدا وجد خصبة.

"أوطان" (مقاطعة) السبت.

"أوتان" (مقاطعة) السبت، هي الأكبر في محافظة الجزائر، وتمتد جنوبا إلى بلدة مليانة: يحدها من الشمال البحر، ومن الغرب بني مناصر، وبني خليل: الأنهار الرئيسية التي ترويها هي: بوررومي، وواد جر وواد شفة، التي تشكل معا مازافران، الذي يصب في البحر، على بعد ميلين من قليعة: تنقسم المنطقة الى السهل والجبل.

الجبل يشمل موزاية وسوماتة وبني مناد وبوحلوان. توجد موزاية غرب بني صالح، وهي قبيلة "قبايل" قوية يمكن أن تتطور ما يقرب من 1000 من المشاة، ولكن لا يوجد لديها فرقة الفرسان. وهي تمتد على جانبي الأطلس؛ الطريق الرابطة بين البليدة والمدية تفصلها عن سوماتة، وهذه الطريق عملية وجيدة في عدة أماكن: هنا يوجد ممر الثنية، المشهور بمعركة 21 نوفمبر 1830. هناك في أراضي هذه القبيلة استغلت مناجم الرصاص والنحاس في السابق، ويبدو أنه يمكن استخدامها مرة أخرى، لأنها لا تزال غنية جدا. سوماتة هي قبيلة "قبايل" الموجودة غرب من موزاية، وهي أقوى هذه الأخيرة. يمكن أن توفر 1500 من المشاة و 200 فارسا، وهي مقسمة الى خمسة مناطق. سوق سوماتة الذي يعمل كل يوم أحد في الموقع: يقع على بعد حوالي ساعة وواحدة سيرا على الأقدام من مزارع عين الدم، وعمورة وأوار الواد، التي تنتمي جميعا إلى البيلك. في شمال غرب سوماتة نجد بني مناد، قبيلة "قبايل" أخرى، والتي لديها اكثر من 1000 من المشاة و 60 فارسا، وهي مقسمة إلى 14 كانتونا: في هذه القبيلة استبعد الأغا السابق محي الدين بعد قضية سوق علي؛ وهناك بنى منزلا. بو حلوان هي في جنوب بني مناد التي كان يسكنها العرب والأتراك خلال الحكم التركي وكان معظمهم زموليين: لا يزال لديهم بعض النوع من التنظيم العسكري والاعتراف بسلطة أولئك الذين حكموهم في ظل الحكومة السابقة.

في سهل متيجة، تشمل مقاطعة السبت كل من الحجوط وثلاثة قبائل صغيرة وهي أولاد حميدان، زناكرة وبني علال. هذه القبائل الثلاث أتت أصلا من الصحراء، ولكنها استقرت منذ فترة طويلة في متيجة. عبر أولاد حميدان الطريق إلى الغرب، واستقروا في الضفة اليمنى لواد جر.زناكرة توجد على الضفة اليسرى للنهر، بالاتجاه نحو بني مناصر. بني علال توجد بين شفة وأولاد حميدان.

تشكل الحجوط مع القبائل الصغيرة الثلاثة متحدة مجتمعة، أكبر تجمع من السكان المحاربين في السهل. هم يعتزون بأنفسهم ومستقلون، وعلى استعداد تام ليشعروا جيرانهم بالتفوق. ولكن كان هناك الكثير من المبالغة في الحديث عن عمليات السطو فيها: لفترة طويلة، كان ينسب اليهم كل ما هو خطأ في السهل . الآن نحن نعرفهم أفضل من السابق، ولهذا يجب أن نبتعد عن هذه الاتهامات. أراضي حجوط جميلة جدا ومزروعة بشكل كامل، مما يشير الى بعض العادات في النظام والعمل. يقام السوق كل يوم سبت بالقرب من مزرعة السبت، الذي كان في السابق مقر الاقامة المعتادة للقايد. نرى في منطقة الحجوط من قمة تلة، حيث يمكنك رؤية البحر، هرما عاليا جدا، والمعروفة في المنطقة تحت اسم قبر الرومية (قبر المسيحية). يمكن أن يكون هذا النصب، وفقا لمارمول، المكان الذي بني لابنة الكونت جوليان، أي كافا الشهيرة، أو

الجزء الثاني، 5.

مكان دفن قدماء ملوك نوميديا، الذين وفق بومبونيوس ميلا، قد دفنوا بين جول وايكوزيوم، وهذا يعني بين شرشال والجزائر. وهذا ما يفسر هذا الاعتقاد، وعموما يقال كثيرا في البلاد "أن هذا المعلم (النصب) يحتوي على ثروة كبيرة. "في قصص رائعة حول هذا الموضوع[1].

تجدر الإشارة إلى زنكرة الذين يعيشون في الحجوط يحملون نفس اسم واحدة من الخمس قبائل الرئيسية في اليمن، والتي، وفقا لليو أفريكانوس، استقرت في أفريقيا. كما تذكر في كثير من الأحيان علاقة زناكرة في تاريخ العرب في إسبانيا. معرفة كل ما يعرف عن أصل أولئك الذين يعيشون حاليا في "أوتان" السبت هو أنهم أتوا من الصحراء.

---

(1) هذه واحدة من تلك القصص لإثبات أن العرب لم يفقدوا الاهتمام بهذا النوع من الحكايات المقتبسة من ألف ليلة وليلة. كان هناك، منذ فترة طويلة، في أرض الحجوط رجل يدعى يوسف بن قاسم وقد كان غنيا وسعيدا جدا في باطنه. كانت زوجته لطيفة وجميلة، واطفاله أقوياء. وبما انه كان شجاعا جدا، اراد أن يذهب إلى الحرب، ولكن على الرغم من شجاعته، تم اعتقاله من قبل المسيحيين، الذين اخذوه الى بلادهم، وتم بيعه على اعتبار من الرقيق. بالرغم من ان سيده كان يعامله بلطف بما يكفي، الا انه كان يعيش حزينا، وكان يذرف الدموع الغزيرة عندما يفكر في كل شيء فقده. وفي احد الأيام، كان يعمل في الحقول، وبدى مكتئبا اكثر من المعتاد، وبعد الانتهاء من مهمته، جلس تحت شجرة بدأ يفكربالم. وقال في نفسه: "يا للأسف! بينما انا ازرع حقول سيدي، فمن تراه يزرع حقولي؟ ما الذي يحدث لزوجتي واطفالي ؟ انا حكم علي أن لا اراهم مرة أخرى، وساموت في بلد الخونة؟ "وبينما كان يسمع شكاواه المحزنة، حتى أتاه رجل شديد، كان يرتدي زي العلماء. اقترب هذا الرجل وقال له:

أيها العربي، من أي قبيلة انت؟ أجابه بن قاسم ـ أنا من الحجوط.

في هذه الحالة، يجب أن تعرف قبر الرومية.

ـ نعم أعرفه... ولكن للأسف! مزرعتي، حيث تركت كل ما هو جميل، ليست سوى على مسافة ساعة من السير عن هذا النصب.

ـ هل ستكون سعيدا لرؤيته ثانية، والعودة إلى المجتمع الذي تحب؟

ـ هل تسألني عن ذلك؟ ولكن فائدة التمني دون تحقق أي شيء؟

ـ رد عليه المسيحي، استطيع فعل ذلك، أستطيع فتح أبواب عشيرتك (منطقتك)، وإعادتك الى احتضان عائلتك. ولكن، أشترط عليك خدمة مقابل ذلك. هل تشعر بانك يمكن أن تقوم بها؟

ـ هيا تكلم، ليس هناك ما لا أستطيع أن أقوم به مقابل التخلص من هذا الموقف التعيس، لكن لا تشترط علي ما يمكن أن يأخذ مني روحي.

ـ قال المسيحي:لا تقلق بهذا الشأن. سوف أذهب لأشتريك من سيدك، وسوف أوفر لك الوسائل للعودة إلى الجزائر العاصمة. عند العودة إلى المنزل، سوف تمضي ثلاثة أيام لتفرح مع العائلة والأصدقاء، وفي اليوم الرابع سوف تذهب الى قبر الرومية، ستشعل نارا خفيفة على مسافة قريبة من النصب، وستحرق فيها هذه الورقة التي سوف أعطيها لك. هذا الأمر سهل جدا للتنفيذ. أقسم لي بانك سوف تقوم بما طلبته منك وسوف أعيد لك حريتك.

وافق بن قاسم على ما طلبه منه المسيحي، وأعطاه ورقة مغطاة بالأحرف السحرية التي لا يستطيع فهم معنى. في اليوم نفسه، استعاد حريته، وتوجه الى الميناء البحري حيث أبحر الى الجزائر. لم يمكث سوى بعض اللحظات في هذه المدينة، وكان متحمسا جدا لرؤية زوجته و اطفاله، وذهب بأسرع ما يمكن الى قبيلته. أترك لكم فرصة تخمين وتخيل فرحته وفرحة عائلته. جاء أصدقاؤه أيضا للاحتفال معه، لمدة ثلاثة أيام وكان حوشه مكتضا بالزوار. في اليوم الرابع، تذكر أنه قد وعد مخلصه، ومشى في الفجر إلى قبر الرومية. وهناك أوقد النار، وأحرق الورقة

الغامضة، كما طلب منه؛ وبالكاد كانت أكلت النار أخر قطعة من هذه الورقة، حتى رأى بدهشة لا توصف، الآلاف من القطع الذهبية والفضية تخرج من النصب عبر الحجارة. بدا الأمر وكأنه خلية نحل تصدر بعض الضوضاء الغريبة. كل هذه القطع، وبعد الالتفاف حول النصب للحظة، اتخذت مسارها الى بلاد المسيحيين بسرعة قصوى، وشكلت ما يشبه عمودا طويلا غير منتهي، ما يشبه رحلات مجموعات الزرزور. رأى بن قاسم كل هذه الثروات تمر فوق رأسه. قفز بقدر المستطاع، وحاول بيديه الحصول على بعض الأجزاء الصغيرة منها، بجهود مضنية دون جدوى، وبعد ذلك قام برمي برنوسه الى أعلى مستوى ممكن. كان ذلك مناسبا واستطاع ان يسقط عند قدميه 02 قطعة من الذهب ومئة قطعة من الفضة، ولكن بمجرد ان لمست هذه القطع الأرض، حتى ظهرت قطع جديدة، وعاد كل شيء إلى سابق عهده. لم يتحدث بن قاسم عن ذلك الا إلى بعض الأصدقاء. وقد وصلت أحداث هذه المغامرة المذهلة الى الباشا الذي عرف بما حدث، فارسل عمالا لهدم قبر الرومية، للحصول على الثروات المتبقية فيه. بدأ هؤلاء بالعمل بحماس كبير؛ ولكن عند أول ضربة بالمطرقة الأولى، ظهر شبح في شكل امرأة على رأس القبر وهو يصرخ: علولة، علولة[1]، تعالى لمساعدتي أو تعالى لإزالة كنوزك. و على الفور خرجت كائنات ضخمة كبيرة مثل الجرذان من البحيرة، ولاذ العمال بالفرار من لدغاتها قاسية. ومنذ ذلك الوقت، كل لم تكلل أي محاولة لفتح قبر الرومية بأي نجاح، وقال العلماء ان هناك مسيحي واحد فقط يمكنه الحصول والاستفادة من الثروة المحجوزة.

---

(1) هذا هو اسم البحيرة التي تقع أمام قبر الرومية.

"أوطان" (مقاطعة) بني مناصر أو شرشال.

تضم مقاطعة شرشال مدينة بهذا الاسم، وقبائل من "القبايل" بني مناصر، وشنوان وتساورية: هي منطقة جبلية خصبة بالحبوب. النهر الرئيسي الذي يرويها هو تيفرت الذي يتدفق في البحر، بين شرشال وتنس.

بني مناصر، التي تحيط أراضيها بشرشال، وهي قبيلة كبيرة جدا، ويمكن أن تضم 2000 حتى 3000 شخص.

توجد شنوان شرق بني مناصر، وتقتصر على الحجوطيين. سكان هذه الأرض حربيون، ولكنهم سقطوا في وحشية فظيعة. توجد تساورية غرب بني مناصر، وهي تلمس اقليم تنس.

.6

حول الأحداث التي وقعت لجيش أفريقيا، نتيجة لثورة 1830[1].

نيم، في 24 جويلية 1831.

على الرغم من كتيب السيد كتروبارب الذي يحمل ذكريات الحملة الأفريقية، قد وصل بالفعل الى طبعته الثانية، لم أعرف ذلك الا منذ بضعة أيام. قرأته باهتمام وبالفائدة التي أن تلهم جميع الذين شاركوا في الحملة القصيرة والمجيدة في الجزائر، وهي الفائدة التي تتقاطع مع الصداقة التي تجمعني بالمؤلف. ومع ذلك، أعتقد أنه يجب الإشارة الى التأكيدات الخاطئة التي تمليها روح الحزب، والذي لم يستطع الا تضليل الرأي لدى مواطنينا على الطريقة التي استقبل بها جيش افريقيا في ثورة جويلية المقدسة.

كان صدور المراسيم (الأوامر) قد عرف في الجزائر يوم أو يومين من

(1) لم تنشر هذه المذكرة في الوقت الذي كتبت فيه، لأنه تم إرسالها إلى الناظر العسكري من جانب آخر غير الصحافة، وفشل في التصدي لها. وانا اقدمها هنا كمعلومة عن أحكام جيش افريقيا في بداية ثورة 1830.

قبل الانتقام الذي اجتذب الناس وحتى السماء نفسها، غاضبة في دين القسم. كان هذا الخبر موجود لدى بعض الناس فقط، والفرح الذي انتابهم لم يدم طويلا ليختفي في لمحة بصر. لم تنتشر كثيرا في الجيش، وبقيت متمركزة في القصبة. انتصار الحرية على الطغيان انتشر بسرعة البرق. تلقى القادة الأوامر للإتصال بأنفسهم بضباطهم. كان ذلك بعبارات غامضة، أي ما يشبه: كن حذرا وانتظر المزيد من المعلومات قبل أن تقرر. كتب في جدول أعمال السيد بورمونت بنفس الطريقة، وكان كما يلي:

الجزائر، 11 أوت 1830.

"أصوات غريبة تدور في الجيش، ولم يتلق المارشال القائد أي إخطار رسمي يمكن أن يعتمد. في جميع الحالات، خط واجبات الجيش سيرسم بهذا القسم وبالقانون الأساسي للدولة".

طلبت من السيد كترويارب إذا كان يرى هناك أي أثر للتفاني في الشرعية الوارد في الصفحة 105، المراد به تكريم زعيم جيش أفريقيا. أما بالنسبة لي، كل ما أراه هو اللامبالاة السياسية الذي لايستحق الثناء بلا أدنى شك، ولكنه أكثر مرونة ليتناسب مع متطلبات المستقبل التي لا تزال غير مؤكدة إلى حد ما. تم الحكم على السيد كترويارب بنفس الطريقة في شهر أوت الماضي، وسوف أثبت ذلك في الأسطر الموالية.

ولكن إذا كانت القيادات الرئيسية غير مبالية، وكان في شهر سبتمبر في

اجتماع عند الجنرال بووي، وقد كانوا حتى في الصفوف السفل في ذلك المكان. ثم تشكيل مجموعة قوية مباشرة لتحمل أي نوع من التقسيم مع غالبية مواطنينا.

اجتمع السيد بورمونت في 12، مع جميع كبار الضباط السامين في القصبة. يقال السيوف قد أخرجت، وأكثر من عقيد مزين الآن بالريش بالالوان الثلاثة سيقسم على الحديد على الموت من أجل الشرعية. السيد بورمونت، المتأثر بأبنائه الشجعان والمخلصين، بقي مع البعض من الشباب ذوي النية الحسنة، وتقاسم لحظة من هذا الحماس. كانت المسألة في قيادة الجيش في نورماندي حول دعم حقوق الأسرة المتراجعة؛ مشروع مثير جدا للسخرية ليكون لفترة طويلة للسيد دي بورمونت. كان هناك اتصال سخيف في العمق، وصبياني من حيث الشكل متنقل من سواحل بروفانس (المحافظة) بواسطة الماركيز غير المؤذي كثيرا ألبرتاس ، وأنا لا أعرف بأي وسيلة، أعطي بعض الأمل لأعداء الثورة، ويميل الى جانبهم حشد من السياسات المتنظرة. كان للسيد ايسكار الإقدام البارد على هذه القطعة السخيفة من القسم الثالث الذي يقشعر له البدن. السيد كترويارب يعرف ذلك أكثر مني.

أعطيت أوامر لعودة القوات التي كانت لدينا في بجاية ووهران إلى الجزائر. هذا التدبير (الاجراء)، الذي تمليها خطورة الظروف، لا يمكن أن تفعل أي شيء خاص بحكم مسبق على النوايا المستقبلية للسيد. دي بورمونت، بأنها يمكن أن تكون نتيجة للخوف الذي خلقه الانفصال المفاجئ مع إنجلترا. كان هذا، في

الجزء الثاني، 6.

الواقع، ما قدم في تفسير القائد العام عن هذه الحركات في تقريره الرسمي.

كان السيد يسبرز، رئيس هيئة الأركان العامة، المكلف باستقصاء ترتيبات (اجراءات) الاميرال دوبري. هذا الأخير، الذي تمت تغطيته بسخف، والذي سيكون، وآمل ذلك، غير قابل للمحو بسبب تقاريره المخادعة والمليئة بالأكاذيب، التي وردت وأجيب عنها بالتشويش، ومن خلالها اخترقت روح المعارضة لأي اجراء مدقع. ومع ذلك، وعد بعدم عرض المبنى الجديد قبل الجيش، و أضاف بانه سيغرق السفينة التي يرفع شراعها دون أمره. أنا لا أقول ذلك لاتهام السيد دوبري، الذي لا ألومه إلا على الغرور الذي يأتي كل يوم لمعاقبته بإيحاءات حزينة. اذا ما أراد هذا الأميرال اتخاذ هذه التسهيلات ليقرر، مهما يقال، فقد تصرف اتجاه ذلك كما تصرفت شخصياتنا السياسية دون استثناء. ومن المعروف جيدا الآن أن الثورة قام بها الشعب وحده، الشعب صاحب الأيدي سوداء ونكران الذات والتفاني في أداء الواجب. ولكن لنعد إلى موضوعنا.

تأكد السيد دي بورمونت من عدم التسرع بسبب البحرية، ما بث فيه راحة كبيرة. وبشهادة جميع الذين عرفوه، يعتبر التردد جزء عميقا من شخصيته. في اليوم الموالي للجمعية الصاخبة في القصبة، قدم أدلة جديدة. كانت هناك مجالس جديدة، ولم يتم قبول سوى الجنرالات، ولم يقرر شيئ. الجنرال تولوزي ولاهيت تحدثا أولا، خصوصا حول الحاجة إلى الفصل بين قضيتنا وقضية البلد. أحتفظ بتفاصيل الجنرال تولوزي نفسه. قدمها في سبتمبر، على الطاولة، لدى الجنرال

بوبي. سلوك الجنرال لاهيت هو على الارجح ما قاله السيد كتروبارب الذي سماه الجحود الواضح ، والذي أراد تمريره بهدوء لكي لا يزعج قلب القارئ الحساس. لم ينظر الجيش الى ذلك بنفس المنظور. وبالمصادفة، التي لا يمكن تفسيرها، لقيت مواهب هذا الجنرال الشجاع تقدير السيد كوت أنغولم. هل كان هذا السبب الذي من شأنه أن ينسى السيد لاهيت مهامه اتجاه المواطنين؟

استمر تردد السيد بورمونت حتى 16 أوت. أراد أن يمدد ذلك مرة أخرى. من جهة، تلقى رسالة ودية من الجنرال جيرارد، الذي طمأنه على موقفه الشخصي. ومن جهة أخرى، مودته الطبيعية لأسرة كان قد ضحى بكل شيء من أجلها، مما كان يجعله يرغب في موقف جيش لم يحسم أمره بعد في ظل الراية البيضاء، يمكن أن يقدم له بعض الفرص في انتخاب الدوق دي بوردو. هذا الحساب تم إحباطه. كانت الفكرة الراسخة لدى الجيش هي الاتحاد مع الوطن الأم. لقد أعلنت الجمهورية، نابليون الثاني ، أو السيد دي بوردو الذي كنا سنكتتبه. أردنا في المقام الأول لأن نبقى فرنسيين. كانت القضية الرئيسية هي انتصار الحرية التي نصفق لها بقوة وكانت القوة في يد الشعب. كنا نرغب في البقاء معا من أجله، لنقدم شكلا من أشكال الحكم إلى الذي اعتمده. هذا لم يكن يشبه اللامبالاة السياسية لمعظم قادتنا في أي شيء. أردنا ان تعرف بالثورة، التي اعتمدنا لها الألوان التي كنا نريدها كنتيجة، كنا نريد وكان لنا الحق في ذلك، وقد حصلنا على ذلك بالرغم من المقاومة العنيدة .

الجزء الثاني، 6.

قلنا أنه تم تشكيل مجموعة لمقاومة أي تقسيم بيننا وبين فرنسا.كان على عدد كبير من الضباط الذهاب الى السيد دي بورمونت ليطلبوا عرض الألوان الوطنية. كان على السيد الجنرال لاهيت أن يطلع على هذا المشروع من قبل نقيب المدفعية ماريي، والذي يعتبر الآن قائد سرب القناصين الجزائريين، الذي أبلغه عن موافقة جميع أولئك الذين شكلوه. وصل ذلك الى آذان السيد دي بورمونت وسارع بلا شك الى تقريره. تقدم السيد الجنرال أوريل في مساء يوم 16، إلى القسم 3، الذي كان أكثر إضطرابا، وجعل الضباط يتخلون عنه، قائلا انه سيكون عملا من أعمال العصيان المهدرة، بما أننا سنكون راضين. في الواقع، ظهر جدول الأعمال الذي استبدل العلم ذو الألوان الثلاثة بالعلم ذو اللون الأبيض الذي ظهر بعد ساعات قليلة، المصمم على النحو التالي:

الجزائر، 16 أوت 1830.

"صاحب الجلالة، الملك تشارلز 10و صاحب السمو، دوفين في تنازلوا 2 أوت عن حقهما في التاج لصاحب السمو دوق بوردو. مرر المارشال، قائد الجيش، القانون الذي يتضمن هذا التنازل المزدوج، و الذي يعترف لصاحب السمو، دوق أورليانز كملازم عام للمملكة".

"مطابقة لأوامر صاحب السمو، الملازم العام للمملكة، الشارة والعلم بالالوان الثلاثة سيكون بديلا للشارة والعلم الأبيض".

"غدا، فى الساعة 8:00 صباحا، سنرفع العلم بألوانه الثلاثة. أعلام ومعايير الأفواج تبقى واردة في حالاتهم. ستتوقف القوات عن حمل الشارة البيضاء، سيتم استبدالها بالألوان الثلاثة،عندما نتلقى كمية كبيرة نسبيا بحيث يمكن أن تأخذ جميع القوات على حد سواء دفعة واحدة".

يبدو أن هذا الضابط يعرف منذ البداية سيادة الدوق دي بوردو. كنا قلقين قليلا. المهم كان الانضمام إلى الثورة الذي ورد تقريبا.

زعم السيد كتروبارب بأنه لن تكون هناك أي صرخة لتحي أو تنحني أمام العلم الجديد، وتوجه الى حيث أغلبية الجيش بصعوبة. لكن الكثير من الأعلام الملونة تم نقلها بواسطة الضباط والجنود على الأكواخ والخيام والمنازل الريفية حول الجزائر العاصمة. أوقف مفهوم وشعور الملاءمة، الذي كان مشرفا جدا، أية حال صاخبة من خلال تغيير الألوان. كان لدينا أيضا واجبات الوفاء تجاه هذا العلم الآخر، الذي حملته أذرعنا المنتصرة الى الشاطئ الافريقي: عرف الجيش كيف يوفق بين الجميع.

قدمت طريقة حتى يتسنى للجميع معرفة مشاعره الخاصة، في اشتراك مفتوح مع جرحى شهر جويلية. وفي غضون أيام قليلة أنتجت كميات كبيرة.

كان ظهور الألوان الوطنية إشارة لانطلاق عدد كبير من الضباط، الذين أضعهم في ثلاث فئات: الأولى، المكونة حصريا من الجنرالات وكبار الضباط الذين يسعون لتكريس العدالة دون انتظار الحكومة الجديدة: ذكريات مؤلمة

وقفت ضدها. والثانية، التي كانت أكثر عددا، تم تشكيلها من الضباط من جميع الرتب، الذين أعلن عنهم بالقوة عن طريق الحساب أو التدريب، عندما كان نصر الثورة مازال يبدو غير مؤكد، ولم يريدوا أن ينفوا ذلك، الا بالعودة بعد ذلك مرة أخرى كما فعل الكثير منهم. أما الفئة الثالثة فقد شملت عددا قليلا من المناصرين للسلطة التشريعية الحقيقية والصادقة، وهم أناس طيبون وأصحاب قرار، وأضع منهم في المقدمة السيد كتروبارب. هؤلاء أعطوا، ببساطة، استقالاتهم. سعت معظم البقية الأخرى تحت الباب من الخلف، ما إذا كان يطلب منهم تنفيذها أو إصلاح أو إجازة نقاهة. بالعودة إلى فرنسا، وجدوا حكومة متسامحة، تحت أعلام انتهت بالتنظيم، على الرغم من الاحتجاجات. مر القليل من العار، خاصة عندما كان التقدم هو ثمن الانسحاب من المبادئ؛ وهو الشيء الذي حدث مع الكثيرين.

قال السيد كتروبارب أن الضباط الذين عادوا الى فرنسا في ذلك الوقت كان لضمان ان الجيش لن يخشى أي هجوم قادم قبل أن يغادر. لا أعلم شيئا بهذا الخصوص. وعلاوة على ذلك، فإن عددا من الذين ذهبوا كان بعد وصول الجنرال كلوزيل، وهذا يعني في الفترة التي كان يتوقع فيها المرء بالضرورة لعمليات عسكرية جديدة.

السيد كتروبارب كان يعتقد أن السيد بورمونت كان بامكانه الابقاء على مجلس وصاية السيد دي بوردو. وهذا يتطلب أمرين، القوة والطاقة بين أعداء

الثورة، والضعف لدى أصدقائه. ومع ذلك، للحصول على الحقيقة، يجب علينا أن نعكس هذا الاقتراح. كان الجنرالات وقادة الفيلق موجودين لمدة طويلة في صفوف الملكيين، وهذا صحيح، ولكن فيما يخص الموارد المالية ،لم يفكروا الا في مصالحهم المادية. ارتفاعها في معسكرات بونابرت، في الوقت الذي لم تعد تحسب فيه البلد من أجل شيء، وهؤلاء السادة قاموا بعملهم مثل "كوندوتيري" (تعني بالايطالية القائد) الحقيقي. الشعور السياسي الوحيد الذي يعرفونه هو الخضوع للسلطة. أثقل خطأ يمكن أن تقترفه ثورة جويلية، كان الضغط على البونابارتية، والتفكير للحظة واحدة بأن أناسا مثل هؤلاء يمكن أن يتواجدوا في مجتمع مخاطر بشكل كبير جدا ومربح بشكل ضعيف مما حلم به السيد كتروبارب، هو ما يمكن أن صبيانية (سذاجة) حقيقية. لنفترض، مع ذلك، أن الأشياء كان من الممكن أن تنجح، وكان على الجيش أن يقاوم، وجميع المشاعر، الحسنة والسيئة، والطموح، والوطنية، وحب الحرب، وشعور السلام كان قد حارب ضد القادة. قال السيد كتروبارب بأنه كان بامكاننا أن نسمح لكل شخص باختيار علمه: هل يمكن أن يقدم مثل هذا العرض بشكل جدي؟ بطبيعة الحال، في هذه الحالة، بوصول السيد دي بوردو إلى الجزائر العاصمة، كما افترض السيد كتروبارب، فبالكاد سيجد السيد كتروبارب نفسه لمساعدته على انزال المركب الذي ذهب للبحث، في أرض المنفى، عن أسرة جليلة. هذه الأفعال تبدو صبيانية (ساذجة) بوضوح.

وعلاوة على ذلك، هل كان للمجموعة الملكية فرص للنجاح في الجيش الأفريقي، الذي لم يفكر السيد.دي بورمونت في الاستفادة منه.

قدمه السيد كتروبارب للطرف المهزوم مثل القائد الذي يجب عليه أن يثبت عينيه عليه (يراقبه بشدة)، وفي هذه النية (الارادة)، رفعه إلى السماء. ومع ذلك، مؤلمة الظروف التي تواجد فيها السيد. دي بورمونت، كان الناشطون الملكيون بعيدون عن الاقتناع به. ترك السيد ايسكار الجيش قبل رفع العلم بالألوان الثلاثة، عامله بشكل سيئ بسبب أحكامه للانضمام إلى الحزب الفائز. هنا هو الحكم الذي أصدره السيد كتروبارب نفسه على هذا الجنرال العام، في أوت الماضي، والمحادثة الصغيرة التي جمعتني معه في ذلك الوقت. كان ذلك في 17 أوت، في نفس اليوم الذي رفع فيه العلم بألوانه الثلاثة. التقيت بالقرب من حصن باب عزون السيد كتروبارب الذي عاد من القصبة لم أره منذ تلك الأحداث. قلت له: "هناك أشياء عظيمة، ولكن آمل، مع ذلك، أن صداقتنا لن تعاني. الفرق في وجهات نظرنا السياسية لم تمنع تشكيلها، سقوط حزبكم لا ينبغي أن يدمره. أخذ يدي وقال لي "كن متأكدا من ذلك، أنا أحب دائما الناس الذين أستطيع تقديرهم. لكن بورمونت هنا... أنا "الطين دائما يبقى طينا". ويضيف "أنظر إلى كل شيء منحه النظام الملكي المنتهي، البائس! سأظل أحتفظ بشهادة حسنه (نذالته)". وأظهر لي بيانات جدول الأعمال الذي ذكرناه سابقا. ثم قال لي بأنه قدم استقالته للمارشال، الذي وجد كتاباته غير لائقة، ورفض التكفل بها، في حين قال له كتروبارب: "سيدي، يمكنك أن تبلغ عني إلى شرطة الحكومة الجديدة التي ستخدمها"، وأشياء أخرى كثيرة جدا وأكثر عنفا. هكذا كان رأي السيد

كتروبارب بالسيد بورمونت، قبل ست سنوات، مختلفة تماما، كما يمكن أن نرى، من تلك المصرح بها اليوم.

ربما اعتقد السيد كتروبارب أن الملكيين يجب، في هذه اللحظة، أن يجمعوا كل القوى وعدم صد أي شخص. الطريقة الذكية التي مدح بها السيد بورمونت يمكن أن تبرز بأن هذه الكلمات لم تصدر من القلب. كلمات الثقة وخطاب القسم التي توجد غالبا بجوار اسمه، تشكل تصالحا تعيسا. كانت نية السيد بورمونت في العودة إلى فرنسا، حيث أعطته الرسالة التي كتبها جيرار لمد الملا وضمانا لايجاد الترحيب والحماية. في الواقع، ساهم هذا الجنرال في مجمع كبير ومجيد يستحق الاعتراف به والامتنان له في فرنسا. الحكومة عنصر من الأمة. لكن المارشال سمح لاعتقاداته التي تشير إلى التلميحات وأشياء كاذبة.

على أي حال، السيد بورمونت المنتصر بالجزائر، لم يبحر إلى سواحل فرنسا، بل أبحر إلى إسبانيا على متن سفينة أجنبية. كل الذين أحاطوا به يوم الانتصار، لا أحد منهم حياه أو ودعه! ولكن العدو أحد الأعداء من الحرب المنتهية، تقدم إليه، والذي رمقه بنظراته على متن السفينة التي تقوده إلى أرض المنفى، ذرف بعض الدموع على مصائبه، ولم يخش أن يورق فكرة المجد باسمه.

نهاية المجلد الأول

جدول المحتويات

المحتويات الواردة في المجلد الأول

الجزء الأول

الجزء الثاني.

نهاية جدول المحتويات للمجلد الأول.



هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 50 لعيد الاستقلال

Assala culture

57، شارع ديدوش مراد، الجزائر
هاتف\فاكس: 021 444 700

